
بسم الله الرحمن الرحيم


بحوث قرآنية
على ضوء الكتاب والعترة



طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة





الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

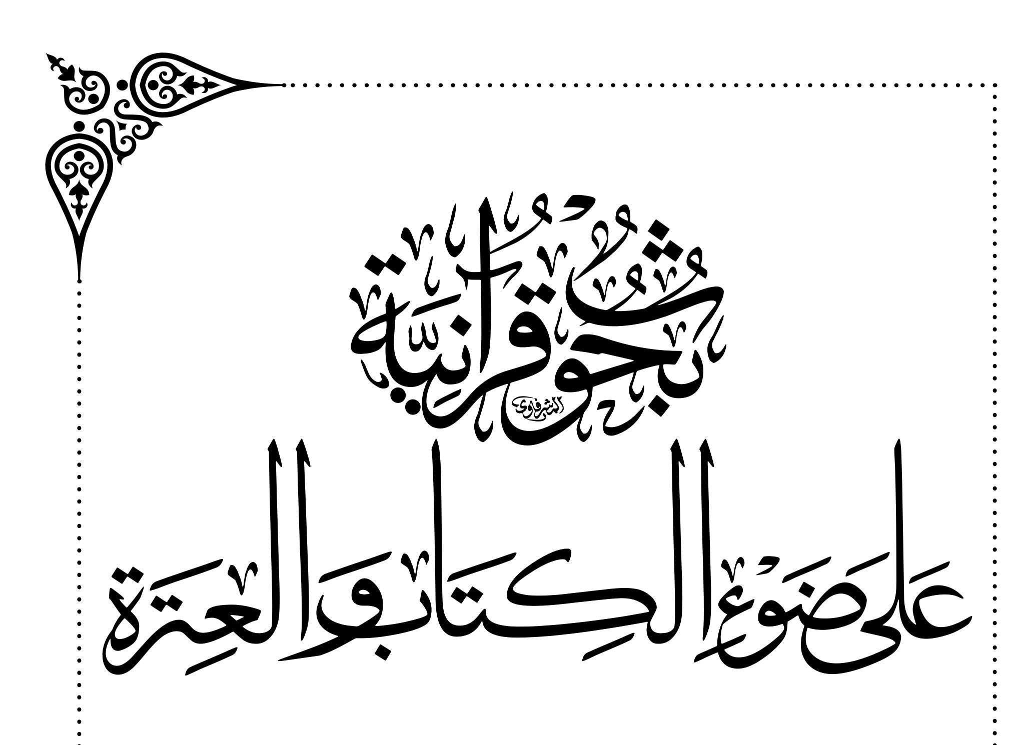
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١- ٣٩٩٥

الموسوي، ضرغام كريم كاظم، مؤلف.
تأصيل الفكر الإسلامي على هدي القرآن والعترة / تأليف الدكتور ضرغام كريم الموسوي. — الطبعة الأولى. — كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.
٣٤٦ صفحة ؛ ٢٤ سم. — (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٩٤٨)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٢٧٣)، (شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ؛ ٢٠٢).
يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٣١٧-٣٣٨).
١. القرآن — متفرقات. ٢. القرآن -- علوم. أ. العنوان.

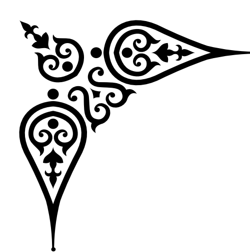
BP130 .M87 2022

تمت الفهرسة في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر.


بحوث قرآنية
على ضوء الكتاب والعترة


الدكتور
ضرغام كريم الموسوي



هوية الكتاب

عنوان الكتاب: تأصيل الفكر الإسلامي على هدي القرآن والعترة.

المؤلف: الدكتور ضرغام كريم كاظم الموسوي.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الحسينية المقدسة.

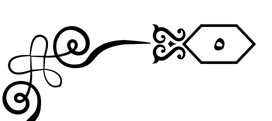
المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢٢ م - ١٤٤٣ هـ.

الطبعة: الأولى.

الإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.



مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

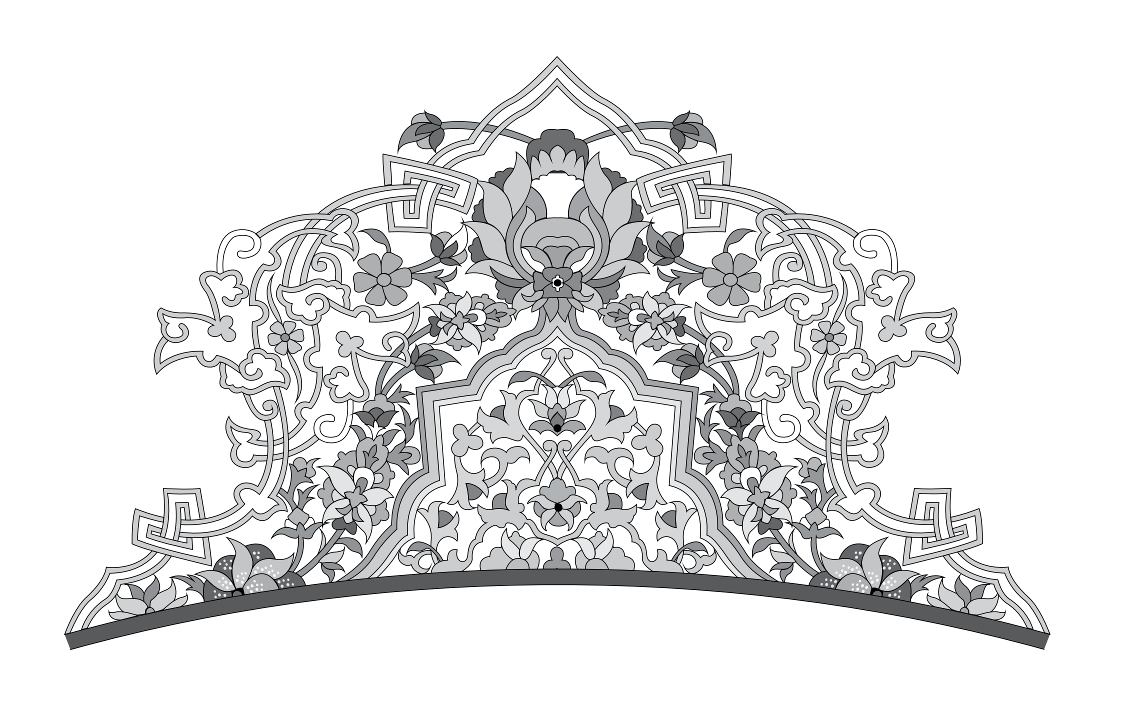
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

من نعم الله عز وجل أن يشغل الإنسان وقته في مذاكرة القرآن ودراسته، وكتابة البحوث حول موضوعاته، فمنذ وقت بعيد كتبتُ مجموعة من البحوث في الشأن القرآني، وبعد أن أصبح عددها يشكّل كتاباً، قرّرت أن أعيد النّظر فيها، وتدقيقها ومراجعتها وإضافة بعض ما أراه مفيداً، وخصوصاً بعد أن اطلعت على مجموعة من البحوث والكتب في الشأن ذاته، ولكن لم يسعفني الوقت لانشغالي بالدّرس والتّدريس، ولكن إرادة الله تعالى فوق كلّ شيء، فبعد أن ظهرت علامات وباء كورونا فرضت الدولة حظر التّجوال؛ لتقويض انتشار هذا الوباء - دفع الله تعالى هذا البلاء عن العراق والعراقيين والعالم - إذ استثمرت هذه الفرصة الثمينة بالشكل الأمثل لتحقيق ما أطمح له وتمّ بحمد الله تعالى، فخرج هذا الكتاب بهذا الشكل، فإنْ كان فيه قصور فإنّي اعتذر للإخوة القرّاء، وإن وجدت ملاحظا أرجو تسجيلها وإرسالها إليَّ، فإنّي سعيد بمن أهدى إليَّ هذه العيوب كي يتقوّم هذا العمل ويخرج بحلّة بهيّة، وأسأل الله عزّ وجلّ أن يكون هذا العمل ذخراً لي يوم الورود والحمد لله رب العالمين.

ضرغام كريم الموسوي





القرآن الكريم في الفقه الإسلامي

دراسة تأصيلية لأحكام القرآن الكريم في الفقه الإسلامي

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل القرآن، ذي المغفرة عظيم الإحسان، الّذي بكرمه وجود منان، والصّلاة والسّلام على خير الورى محمّد المصطفى، وعلى وصيّه علي المرتضى، وآل البيت مصابيح الدجى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبعد:

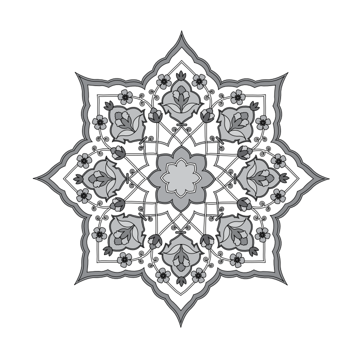
من خلال مطالعتي لبعض كتب الفقه وجدت هناك أحكاماً فقهية تخص القرآن الكريم، ففكرت في تحرير أدلة هذه الأحكام، متسائلاً هل توجد نصوص شرعية تغطّي كل هذا الكمّ الكبير من مسائل القرآن؟ وهل بالإمكان جمعها في كتاب مستقل؟ وخاصة بعد أَنْ أخذت العلوم تتخصص، إذ إن المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم والموجودة في كتب الفقه كثيرة يمكن أن تكون مجلدات، فجاء هذا المشروع الذي يمكن أن نعدّه الحجر الأساس في بيان أحكام القرآن الكريم في الفقه الإسلامي، وجاء هذا البحث من الحاجة الماسة لتعريف الجيل وعامة الناس بكيفية التعامل مع القرآن الكريم، إذ إنّ هناك من يتصرف مع القرآن عن غير علم، كما نشاهده عند باعة الكتب مثلاً، فانه يقول لبائع الكتب: كم ثمن هذا المصحف، أو أنّ المصحف يوضع ويهجر ولا يقرأ به، أو لا يعلم أَنَّ مس آياته لغير المتطهر ممنوع، وغيرها من الأحكام، التي تدخل في جميع مرافق الحياة، فالذي يقرأ هذا البحث سيجد بحق أَنَّ القرآن يحتاج منا مثل هذا العمل، كيف لا وهو دستور هذه الأمة ودليلها إلى الله.



واقتضت منهجية البحث أنْ يكون بمباحث ستة، إذ عرض المبحث الأول المطالب التي يتوقف عليها فهم البحث من قبيل: بيان معنى (الفقه، والقرآن)، وما المقصود بفقه القرآن، وهل هو المعنى الاصطلاحي أو المعنى اللغوي، وفي المبحث الثاني تعرض البحث إلى الأحكام التي تتعلق بالقرآن في باب حرمة القرآن والاعتقاد به، والقول بالقرآن الكريم. أما المبحث الثالث فقد كان ميداناً لعرض أهم المسائل في باب العبادات من طهارةٍ وصلاة وغيرها. أما المبحث الرابع فجاء في خصوص ما يتعلق بالقرآن الكريم من أحكام في باب العقود والمعاملات من بيع، وإجارة، ووقف، وميراث وغيرها. أمّا المبحث الخامس وهو ما نحن بأمسّ الحاجة إليه في بيان ما طرأ على الساحة من مستحدثات تتعلق بالقرآن الكريم إذ يصعب على الإنسان العادي أَنْ يحيط بها؛ بسبب ما حصل من ثورة في تكنولوجيا المعلومات. وفي المبحث السادس تعرّض البحث لأهم الآداب التي ينبغي لكل مسلم أن يلمَّ بها. وختم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها.

وبعد هذا أُحب أنْ أقول إِنَّ ما جمعته هو أقلّ القليل من المسائل وإلّا فإنَّ كتب الفقه مشحونة بفتاوى الفقهاء المتعلقة بالقرآن الكريم.

والله أسال أنْ يحسبه في ميزان أعمالي





المبحث الأول: مفهوم فقه القرآن وخصائصه

إنّ مفهوم فقه القرآن مكوّن من مفردتين هما (الفقه، والقرآن)، وإنّ بين هاتين المفردتين نسبة ولمعرفة هذه النسبة لا بد من معرفتهما وضعاً واصطلاحاً؛ كي يحصل تصور عنهما وعن تلك النسبة ويكون بيانهما على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً:

أولاً: الفقه في اللغة:

أصل الفقه من (ف ق هـ) وهو الفهم، والعلم بالشيء، وخصّه بعضهم بالفهم الدقيق[١]، لكن المعوّل عليه والمشهور هو مطلق الفهم، وصرح به القرآن؛ كما في قوله تعالى على لسان كليم الله موسى عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٢]؛ أي يفهموا قولي، وكما بيّن الله تعالى موقف قوم شعيب من نبيهم عليه السلام بقولهم: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾، أي لا نفهم كثيراً مما تقول، وقال تعالى في حال الكفار: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

---

(١) ظ: الجوهري: إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تح: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤- ١٩٨٧م طبع ونشر: دار العلم للملايين. بيروت لبنان ٦: ٢٢٤٣. وابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ط١-١٤٠٥هـ نشر وطبع: نشر أدب الحوزة قم - إيران٣:٢٦٤. والفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير ط١- ١٤١٤هـ طبع ونشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢: ٤٢٧. والفيروز آبادي: محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ط١-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي:١١٥١. وغيرها من المعاجم.

(٢) سورة طه: ٢٧-٢٨.

(٣) سورة النساء:٧٨.



بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[١].

ثانياً: الفقه في الاصطلاح:

اُختلف في تحديد المراد من الفقه في الاصطلاح إذ إِنَّه يطلق ويراد به أحد المعنيين: فمرة يطلق ويراد منه العلم بالأَحْكَامِ الشـرعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ، أَوْ ورد الإِجْمَاعُ عَلَيْهَا، أَوِ اسْتُنْبِطَتْ بِطَرِيقِ العقل أو الْقِيَاسِ عند من عده حجة، أَوْ بِأَيِّ دَلِيلٍ آخَرَ يَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الأَدِلَّةِ، سَوَاءٌ أَحصلت هَذِهِ الأَحْكَامُ بِأَدِلَّتِهَا أَمْ من دونها[٢]. فهذا الإطلاق يطلق على العلم بالأحكام الفرعية العملية نفسها.

وأخرى يراد به مَجْمُوعَةِ الأَحْكَامِ وَالْمَسَائِلِ الشرعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ. وَهَذَا الإِطْلاَقُ مِنْ قَبِيل إِطْلاَقِ الْمَصْدَرِ وَإِرَادَةِ الْحَاصِلِ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ﴾[٣]. أَيْ مَخْلُوقُهُ[٤].

فالفقه: هو العلم بِالأَحْكَامِ الشرعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ الأَدِلَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ[٥].

مناقشة: إِنَّ هذا الاختلاف لا يوصل إلى ثمرة عملية، ونحن سواء أَطلقنا كلمة العلم بالأحكام أم الأحكام فإنْ المقصود هو الأثر المترتب على العلم بها أو هي ذاتها؛ لأَنَّ المطلوب من المكلف هو إيجادها خارجاً؛ لأَنَّ الغاية من العلم أو الأحكام ذاته

---

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

(٢) ظ: الموسوعة الفقهية الكويتية كتاب الكتروني.٤٤.

(٣) سورة لقمان: ١١.

(٤) ظ: الموسوعة الفقهية الكويتية: مادة فقه.١٢: ٢٤٤.

(٥) ظ: القمي: أبو القاسم: القوانين المحكمة ط١- ١٤٣٠هـ تح: رضا حسين صبح طبع ونشر: دار المرتضى بيروت – لبنان: ٣٦ وأبو حبيب: سعدي: القاموس الفقهي ط٢-١٩٨٨م طبع ونشر: دار الفكر دمشق – سوريا: ٢٨٩.



هو امتثالها، والذي يرجح لدى الباحث أنَّه العلم بالأحكام الشرعية كما أنَّ الأحكام نفسها غير متصوّر؛ لأَنَّ بعض الأحكام لم تقع بعد أو أنّه خارج محلّ الابتلاء.

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم:

القرآن أَشهر من أن يعرف ولكن طبيعة البحث الأكاديمي والمنهج تقتضي الوقوف على مفردات التعريف وهي كالآتي:

أولاً: القرآن لغة:

أَصل القرأ الجمع والضم، وقرأت الشيء إذا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ، وما قرأت جنيناً أي لم تضمَّ في رحمها ولدا[١].

ثانياً: القرآن اصطلاحاً:

هو كلام الله تعالى المنزل على عبده ورسوله محمد صلَّى الله عليه وآله، وهو اسمٌ لكتاب الله المنزل خاصة بألفاظه، ومعانيه، وترتيبه بلا زيادة أو نقصان لثبوت ذلك بالنقل المتواتر، بل العقل[٢] ولا يسمى به شيءٌ غيره من سائر الكتب، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله دخل في انتقاء ألفاظه أو صياغته وهذه الأمور قد اتفق عليها جميع المسلمين[٣]. واختلف في اشتقاقه فقال أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ)[٤]: إنَّما سمي القرآن

(١) الجوهري: الصحاح: مادة قرأ ١: ٦٥.

(٢) ظ: الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ٩٣. والصفار: فاضل: أصول الفقه وقواعد الاستنباط ط١-١٤٣٠هـ،منشورات الاجتهاد١: ٧٦.

(٣) ظ: الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ٩٣. الخضري: محمد: أصول الفقه ط١-٢-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار الحديث القاهرة- مصر: ٢٠٧.

(٤) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري النحوي صاحب التصانيف ولد سنة ١١٠هـ ومات سنة ٢٠٩هـ ظ: سير اعلام النبلاء ٩: ٤٤٥.



قرآناً؛ لأنَّه يجمع السور فيضمّها قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[١]،أَي جَمْعَه وقِراءَته فَإِذا ﴿ قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[٢] أَي إذا جمعناه فاتبع قِراءَتَهُ[٣].

ويرى الشافعي(ت٢٠٤هـ)[٤]: أنَّ القرآن اسمُ علم لكتاب الله، غير مشتق كالتوراة والإنجيل[٥]. ويذكر أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ): أَنَّ القرآن مصدر واسم مصدر؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[٦] واسم؛ كقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾[٧].

وقال القرطبي(ت٧٦١هـ): اسم القرآن والتوراة والإنجيل ليس جامداً: (والصحيح الاشتقاق في الجميع)[٨].

ومن التعريفات فإِنَّ المختار لدى الباحث أَنَّه مشتق من الجمع والضمِّ.

المطلب الثالث: معنى فقه القرآن كمركب علم:

جاءت الشريعة لتعالج جميع أمور الحياة، فما من شيء إلَّا وهو خاضع للمنظومة

---

(١) سورة القيامة: ١٧.

(٢) سورة القيامة: ١٨.

(٣) ظ: ابن منظور: لسان العرب ١: ٦٥.

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، المطلبي، (أبو عبد الله) أحد الأئمة الأربعة عند أهل العامة وإليه تنسب الشافعية. ولد بغزة ١٥٠هـ بفلسطين، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وبمدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وقدم بغداد مرتين وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته ٢٠٤هـ. من تصانيفه: الأُمّ المسند في الحديث، أحكام القرآن، اختلاف الحديث، إثبات النبوة والرد على البراهمة، والمبسوط في الفقه. ظ: الزركلي: الأَعلام ٦: ٢٦.

(٥) ظ: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن:٢: ٢٩٨.

(٦) سورة القيامة: ١٧.

(٧) سورة الإسراء: ٤٥.

(٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن:٢: ٢٩٨.



الإسلامية، وحاول علماء الإسلام جاهدين إيجاد تكييف فقهي لكل ما استجد على الساحة، ومن الأمور التي عالجها الفقه ومن اليوم الأول هي الأحكام التي تتعلق بالقرآن الكريم، ككتاب سماويٍّ وكحاضر بين أَيدينا، ومن خلال مطالعتي لبعض الكتب الفقهية والروائية وجدت أحكاماً كثيرة تتعلق به، وإِلزامات فمنها ما هو متعلق بالأمور المعنوية كالاعتقاد، ومنها ما يتعلق به كجرم ملموس، فرأيت أَنَّ هذه المسائل يمكن أَنْ تجمع، وتكون فقهاً للقرآن فموضوع هذا الفقه هي مسائل مرتبطة بالقرآن الكريم لها توصيف فقهي بما فيها من إِلزامات وواجبات مطلوبة من المكلف؛ لأنَّ متعلق التكليف لا يخلو ان يكون علماً أو عملا أو أخلاقا، وهذا البحث منصب على إِبراز هذه التكاليف ويمكن صياغة تعريف (لفقه القرآن) من خلال تتبع المستويات المختلفة للتكاليف، المتعلقة به، **بأَنَّه ما يبحث فيه عن الأحكام الشرعية لكلِّ ما يتعلق بأمور القرآن الكريم. أو هو مجموعة الدراسات الشرعية المستندة للأدلة الأصولية الأساسية أو الاجتهادية التي تعنى بالقرآن الكريم وأحكامه.**

وعلى هذا فإِنَّ غاية هذا الفقه إِبراز التكاليف المتعلقة بالقرآن وأدلتها في المستويات المختلفة، فموضوعه القرآن الكريم بما هو نظام رباني، وبما هو موجود عيني بين أَيدينا متمثلاً بالمصحف الشريف.

المطلب الرابع: خصائص فقه القرآن:

إِنَّ هـذا الفقـه لا يحقـق مبتغـاه وأهدافـه حتـى يراعـي مجموعـة من الأمـور التي تتمثـل بـما يأتي:

١- إنه يقوم على مصادر الفقه الأساس حاله حال أي مسألة في الفقه، فهو يستمد



أدلته من الكتاب نفسه[١] والسنة والإجماع والعقل، كما إذا استوجب الأمر فإِنَّه يحدد له وظيفة شرعية حال فقد الدليل، وهذا يتضح من خلال النصوص الآمرة لشيء ما أو ناهية عن شيء آخر أو تبنّي فكرة أو قضية أو غيرها.

٢- إنّ هذا الفقه لا يتجاوز التراث الفقهي الإسلامي لما له من تركة هائلة أنتجتها عقول جبارة خلال ما يزيد على أربعة عشر قرناً، فهو ينطلق من التراث لرؤية معاصرة لموقف الشريعة من القضايا الفقهية المتعلقة بالقرآن، التي لم يُحدد لها بابٌ خاصٌ أو غاب عنها البحث الفقهي، أو ظهرت بعد عصر التشريع، أو كانت وليدة التطور العلمي الذي لم يكن حاضراً وقت نزول القرآن.

٣- الانطلاق من القاعدة الأصولية القائلة إنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، فان لم يرد حكم مسألة في كتاب أو سنة أو إجماع مع عدم مخالفتها لمشهور المذهب وضروراته فهو من المباح.

٤- إنّ فقه القرآن نابع من روح الإسلام الذي يتصدى لكل ما يواجه حياة الإنسان لكونه معالجا لما يتعرض له المجتمع من أمراض التخلف والجهل، فكيف يخلو أو يهمل اهم قضية وهي قضية الإلزامات في جانب القرآن.

٥- إنّه ينطلق من الحفاظ على روح الشرع إذ يوازن بين النظر إلى نصوص الشرع الجزئية ومقاصده الكلية، فلا يغفل ناحية لحساب ناحية أخرى.

٦- يراعي المعادلة الصعبة في الحفاظ على الثوابت، التي جاءت بها الشريعة وتلك الثورة الجبارة من التطور والمعلوماتية ودخول القرآن إلى تلك المجالات أوالانفتاح على العالم، التي توجب ترجمة القرآن أو تصدير أحكامه وتواتر الشبهات من خلال المستشرقين وغيرهم.

---

(١) لرب سائل يسأل هل هذا يلزم الدور فنقول: انه لا يلزم الدور؛ وذلك لأنه بعد اثبات صدوره من الله عز وجل عن طريق العقل والعجز عن مجارته يثبت انه كتاب الله فتثبت أحكامه تباعا.





المبحث الثاني: أحكام القرآن الفقهية في باب العقائد

المطلب الأول: تعظيم القرآن الكريم وإكرامه:

لقد وردت روايات عدة في وجوب إكرام القرآن، وحرمة أهانته منها: عن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين، إذا هم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون - وهو القرآن - قالوا: هذا منا هذا أحسن شيء رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم إلى أن قال: حتى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبار عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمن اليوم من أكرمك ولأهينن من أهانك)(١).

وعن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه، وأهل بيتي، ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي)(٢).

وفي مجمع البيان، عن الطبرسي، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (من قرأ القرآن فظن أنَّ أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد حقّر ما عظَّم الله وعظَّم ما حقّر الله)(٣).

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي: ط٤- ١٤٠٧ هـ الناشر: دار الكتب الإسلامية طهران ٢: ٦٠٣.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٠٠.

(٣) ط١- ١٤١٥- ١٩٩٥م طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ١: ٤٥.



وقَالَ الإمام الصَّادِقُ عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ القرآن، وَلَمْ يَخْضَعْ للهِ، وَلَمْ يَرِقَّ قَلْبُهُ، وَلَا يُنْشِئُ حَزَناً وَوَجَلًا فِي سِرهِ، فَقَدِ اسْتَهَانَ بِعِظَمِ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى، وَخَسر خُسراناً مُبِيناً، فَقَارِئُ القرآن مُحْتَاجٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: قَلْبٍ خَاشِعٍ، وَبَدَنٍ فَارِغٍ، وَمَوْضِعٍ خَالٍ...)[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اسْتِخْفَافاً بِالدِّينِ، وَمَنْعَ الْحُكْمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَأَنْ تَتَّخِذُوا القرآن مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُمْ وَلَيْسَ بِأَفْضَلِهِمْ فِي الدِّينِ)[٢]. إنَّ اتخاذ القرآن مزمارا كناية عن الغناء به، فهو ظاهر في المنع لما فيه من تخوف النبي صلى الله عليه وآله.

وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: بِإِسْنَادِهِ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: اجْعَلُوا لِبُيُوتِكُمْ نَصِيباً مِنَ القرآن - فَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا قُرِئَ فِيهِ القرآن آنَسَ عَلَى أَهْلِهِ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَكَانَ سَاكِنِيهِ مُؤْمِنُو الْجِنِّ، وَالْبَيْتُ إِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهِ القرآن وَحَشَ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ وَكَانَ سَاكِنِيهِ كَفَرَةُ الْجِنِّ)[٣].

وعن الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ فِي الْأَمَالِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَخْلَدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَدَّادٍ الْمِسْمَعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالقرآن إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ)[٤]. وعن أَنَسٌ، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله: (مَنْ رَفَعَ قِرْطَاساً مِنَ الْأَرْضِ مَكْتُوباً عَلَيْهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِجْلَالًا للهِ وَلِاسْمِهِ عَنْ

(١) مصباح الشريعة: ٢٨

(٢) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ط١ - ١٤٠٦هـ مشهد- ايران: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ٩١.

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦: ٢٤٩



أَنْ يُدَاسَ كَانَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَخُفِّفَ عَنْ وَالِدَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ)[١].

ونلاحظ من صور التكريم للمصحف ان لا يجوز تصغيره فقد جاء في الجَعْفَرِيَّاتُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام قَالَ: (لَا تَقُولُوا رَمَضَانَ) إِلَى أَنْ قَالَ: (وَلَا يُسَمَّى الْمُصْحَفُ مُصَيْحِفًا)[٢].

إذ إنّ المتبادر من الاستعمال على صيغة التصغير هو التحقير في بعض صوره؛ لأنه يُفهم التقليل وهذا ما قُرر في علوم العربية، فنهى الشارع عن تصغيره لما يورده من معان التقليل والتحقير.

كَرَاهَةِ السَّفَرِ بِالقرآن إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَعَدَمِ جَوَازِ بَيْعِ الْمُصْحَفِ مِنَ الْكَافِرِ: فقد جاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالقرآن إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ)[٣].

فمن خلال هذه النصوص التي تدل صراحة وظهورا مع تعاضد الروايات على أنه يجب على المسلم الاعتقاد بمكانة القرآن الكريم، وانه دستور هذه الأمة، وأنَّ ظاهر النصوص يفيد حرمة الاستهانة بالقرآن الكريم، كما تواتر عن أئمة المسلمين وإجماعهم. وسيرة المتشرعة في حرمة تحقير كتاب الله العزيز.

---

(١) ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام؛، ط١- ١٤١٠ طبع: مكتبه فقيه قم - إيران ١: ٣٢.

(٢) ابن الأشعث، محمد بن محمد: الجعفريات(الأشعثيات) ط١ الناشر: مكتبة النينوى الحديثة: ٢٤١.

(٣) ابن حيون: نعمان بن محمد المغربي: دعائم الإسلام، ط٢-١٤٢٧ هـ الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام قم - إيران ١: ٣٤٨.





المطلب الثاني: حرمة اعتقاد الزيادة والنقصان في القرآن الكريم:

من المسائل العقدية التي يجب الاعتقاد بها أنَّ ما بين أيدينا من كتاب هو كتاب الله عز وجل، وحرمة اعتقاد خلافه، وان نسب بعض إلى الإمامية هذه الفرية، ولكن لسنا بصددها، نرجع إلى صلب الموضوع فيقول صاحب منهاج البراعة: (واعلم أنّ الحق المحقق المبرهن بالبراهين القطعية من العقلية والنقلية أنّ ما في أيدي النّاس من القرآن الكريم هو جميع ما أنزل اللهّ تعالى على رسوله خاتم النّبيين محمّد بن عبد اللهّ صلى الله عليه وآله، وما تطرّق إليه زيادة ونقصان أصلا؛ ومبلغ سوره مائة وأربع عشرة سورة من لدن رسول اللهّ صلى الله عليه وآله إلى الآن بلا ريب، وأنّ ترتيب الآيات في السور توقيفي؛ إنّما كان بأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله كما أخبر به الأمين جبرائيل عن أمر ربّه، وأنّ النّاس كانوا في عهد رسول اللهّ صلى الله عليه وآله قبل رحلته يعرفون السور بأساميها، وأنّ رسم الخط في القرآن المجيد هو الرسم المكتوب من كتّاب الوحي في زمن الرّسول صلى الله عليه وآله)[1].

والذي تطمئن به القلوب ويزيدها إيماناً في عدم تحريف القرآن هو إنَّ الله تعالى ضمن حفظ كتابه وتعهّد إعلاء ذكره ووعد إتمام نوره ومن أصدق من اللهّ حديثا ووعدا ودونك الآية القرآنية في ذلك: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[2] ففي الآية تأكيدات عديدة من الجملة الاسمية، والضمائر الأربعة الراجعة إليه تعالى، وتكرار (إنّ) المؤكدة، ولام التأكيد في خبر (إنّ) الثانية، واسمية خبرهما، وتقديم الجار والمجرور على متعلقه. ومن الأدلة على أنَّ القرآن محفوظ قوله

(١) الخوئي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٦:٢٥٠.

(٢) سورة الحجر: ٩.



تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢)، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(٣)، فهو المعجزة الباقية من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله بل في الحقيقة كلّ سورة منه معجزة على حالها.

أما أدلة السُنة الشريفة فهناك مجموعة من الروايات نقتصر على بعضها، وهي: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يختلف فيها أحد، وهي رواية الثقلين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)(٤). وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز أن يأمر بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما أن أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت وان الموجود بيننا من كتاب الله مجمع على صحته.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: (ما بين الدفتين قرآن)(٥)، وقول الإمام أبي الحسن علي بن محمّد العسكري عليهما السلام في رسالته إلى أهل الأهواز، فقد كتب عليه السلام: «**اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أنّ القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون**

(١) سورة فصّلت: ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة الصفّ: ٨.

(٣) سورة القيامة: ١٦ - ١٩.

(٤) المفيد: محمد بن محمد: الإفصاح في الإمامة ط١-١٤١٣ هـ الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد قم: ٢٢٣.

(٥) الأصول الستة عشر: ط١- ١٤٢٣ هـ الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية، إيران قم: ٣٢٤.



وعـلى تصديـق ما أنـزل الله مهتـدون...»[١].

ومنها ما جاء في رسالة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إلى سعد الخير: «**...وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده...**»[٢].

وهنـا نذكـر مجموعـة من أقـوال العلماء في اعتقـاد الإماميـة بالقـرآن الكريم يقول الشـيخ الصـدوق (ت٣٨١ هــ): (اعتقادنا أن القـرآن الذي أنزله الله عـلى نبيه محمد صـلى الله عليـه وآلـه هـو ما بـين الدفتـين، وهو مـا في أيـدي النـاس ليـس بأكثر من ذلـك، ومبلـغ سـوره عند النـاس مائـة وأربع عشرة سـورة...، ومن نسـب إلينـا أنّا نقـول أكثر مـن ذلك فهـو كاذب)[٣].

ويقول الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): (بل أميل إلى عدمه - التحريف - وسلامة القرآن عنه)[٤]. وينقل الطبرسي كلام الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ): (المحكي أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن، فإن القرآن كان يحفظ ويدرس جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله ويتلى عليه)[٥].
رأي الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ): (وأما الكلام في زيادته ونقصانه، فمما لا يليق به أيضا؛ لأنَّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب

(١) ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي: تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام. ط٢-١٤٠٤هـ الناشر: جماعة المدرسين قم - إيران: ٤٥٨.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٨: ٥٣.

(٣) الصدوق: ابن بابويه، محمد بن علي: اعتقادات الإمامية ط٢- ١٤١٤هـ إيران- قم: ٨٤.

(٤) المفيد: محمد بن محمد بن النعمان: أوائل المقالات: تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ط٢- ١٤١٤ - ١٩٩٣ م الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان: ٨٢.

(٥) الطبرسي: تفسير مجمع البيان١: ١٥ الفن الخامس.



المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله وهو الظاهر في الروايات)[١].

فمن خلال ما تقدم تظهر عقيدة الشيعة في القرآن التي طالما طعن فيها وهذه أقوال علمائهم المبرزين.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالرأي:

إنّ ما أجمعت عليه الإمامية حرمة تفسير القرآن بالرأي، وهو ما يظهر من الأدلة النقلية عن أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: (فَأَمَّا مَنْ قَالَ فِي القرآن بِرَأْيِهِ، فَإِنِ اتَّفَقَ لَهُ مُصَادَفَةُ صَوَابٍ، فَقَدْ جَهِلَ فِي أَخْذِهِ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَكَانَ كَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً مَسْبَعاً مِنْ غَيْرِ حُفَّاظٍ يَحْفَظُونَهُ فَإِنِ اتَّفَقَتْ لَهُ السَّلَامَةُ، فَهُوَ لَا يَعْدَمُ مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْفُضَلَاءِ الذَّمَّ [وَ الْعَذْلَ] وَالتَّوْبِيخَ وَإِنِ اتَّفَقَ لَهُ افْتِرَاسُ السَّبُعِ [لَهُ] فَقَدْ جَمَعَ إِلَى هَلَاكِهِ سُقُوطَهُ عِنْدَ الْخَيِّرِينَ الْفَاضِلِينَ وَعِنْدَ الْعَوَامِّ الْجَاهِلِينَ. وَإِنْ أَخْطَأَ الْقَائِلُ فِي القرآن بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ مَنْ رَكِبَ بَحْراً هَائِجاً بِلَا مَلَّاحٍ، وَلَا سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ، لَا يَسْمَعُ بِهَلَاكِهِ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ: هُوَ أَهْلٌ لِمَا لَحِقَهُ، وَمُسْتَحِقٌّ لِمَا أَصَابَهُ)[٢].

وفي حديث آخر: عن الإمام الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْبَاقِرِ، عَنْ أَبِيهِ عليهم السلام: (أَنَّ أَهْلَ الْبَصرةِ كَتَبُوا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام يَسْأَلُونَهُ عَنِ الصَّمَدِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: أَمَّا بَعْدُ فَلَا تَخُوضُوا فِي القرآن، وَلَا

(١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن،تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي ط١- ١٤٠٩هـ طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي ١: ٣.

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٥



تُجَادِلُوا فِيهِ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: مَنْ قَالَ فِي القرآن بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار)[١].

وجاء في تفسير العياشي، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ القرآن، إِنَّ الْآيَةَ تَنْزِلُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ، وَأَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ، وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ مِنْ مِيلَادِ الْجَاهِلِيَّةِ)[٢].

وفي المصدر نفسه، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (مَنْ فَسر القرآن بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ لَمْ يُؤْجَرْ وَإِنْ أَخْطَأَ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ)[٣]. وعَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: (مَا عَلِمْتُمْ فَقُولُوا، وَمَا لَمْ تَعْلَمُوا فَقُولُوا: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَنْزِعُ بِالْآيَةِ فَيَخِرُّ بِهَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[٤].

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (مَنْ فَسر القرآن بِرَأْيِهِ إِنْ أَصَابَ لَمْ يُؤْجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ أَبْعَدُ مِنَ السَّمَاء)[٥].

وهناك أحاديث كثيرة لا يسع المقام لها، ولكن نقتصر على هذه المجموعة، والظاهر منهما ان التوعد في النار واستلزام الإثم من الأمور التي تدلّ بالملازمة على الحرمة

---

(١) الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: التوحيد، تح: جامعة مدرسين ط١- ١٣٩٨ق قم – إيران: ٩٠- ٩١.

(٢) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العيّاشي: ط١-١٤٢٢ هـ المطبعة العلمية طهران – ايران١: ١٠-١٢.

(٣) المصدر نفسه ١: ١٠-١٢.

(٤) المصدر نفسه ١: ١٠-١٢.

(٥) المصدر نفسه ١: ١٠-١٢.



كما قرره علماء الأصول والفقه، وأَنَّهُ لا يجوز تفسير القرآن بالرأي ويدخل ذلك في الكذب على الله في التفسير وأسباب النزول، كما لو ادعى أنّها نزلت في فلان أو أنّها نسخت أو أنَّها متشابهة.

المطلب الرابع: محو القرآن وإِحْرَاق الْورق الذي فيه القرآن:

من صور التقديس والاحترام أنه يجب التعامل مع محو المصحف بما يتفق مع قدسيته، وان ما يظهر من النصوص حرمة إحراق الورق الذي فيه القرآن، ومن هذه الروايات ما جاء في الكافي: عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الْقَرَاطِيسِ تَجْتَمِعُ هَلْ تُحْرَقُ بِالنَّارِ وَفِيهَا شَيْ ءٌ مِنْ ذِكْرِ الله؟ قَالَ: لَا تُغْسَلُ بِالْمَاءِ أَوَّلًا قَبْلُ)[١]. وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ، قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: يَقُولُ لَا تُحْرِقُوا الْقَرَاطِيسَ، وَلَكِنِ امْحُوهَا وَحَرِّقُوهَا)[٢]. وعَنْ زُرَارَةَ قَالَ: (سُئِلَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: عَنِ الِاسْمِ مِنْ أَسْمَاءِ الله يَمْحُوهُ الرَّجُلُ بِالتُّفْلِ؟ قَالَ: امْحُوهُ بِأَطْهَرِ مَا تَجِدُونَ)[٣]. وعَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: قَالَ: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله امْحُوا كِتَابَ الله تَعَالَى وَذِكْرَهُ بِأَطْهَرِ مَا تَجِدُونَ، وَنَهَى أَنْ يُحْرَقَ كِتَابُ الله وَنَهَى أَنْ يُمْحَى بِالْأَقْلَامِ)[٤]. وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام: (فِي الظُّهُورِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: اغْسِلْهَا)

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٧٣- ٦٧٤.

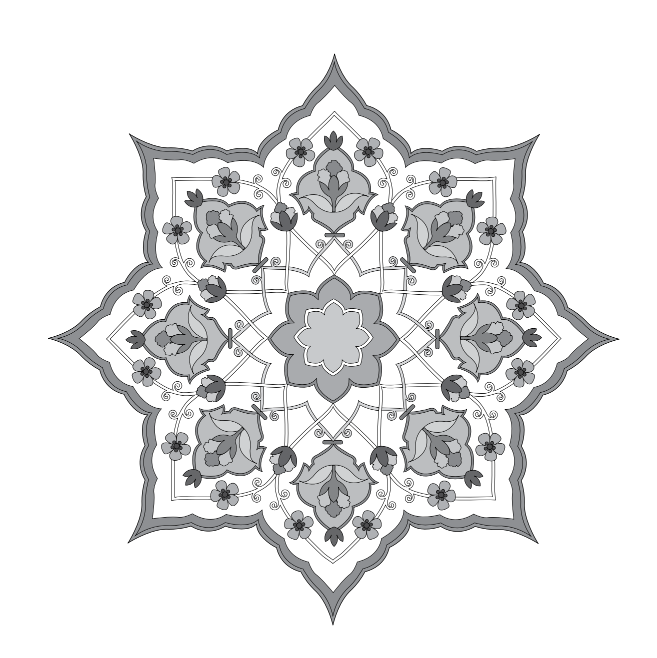
(٢) المصدر نفسه ٢: ٦٧٣- ٦٧٤.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦٧٣- ٦٧٤.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٦٧٣- ٦٧٤.



[١]. ومن طرائق العامة عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله: (أكرموا القرآن، ولا تكتبوه على حجر، ولا مدر، ولكن اكتبوه فيما يمحى، ولا تمحوه بالبزاق، وامحوه بالماء)[٢]. وبالإضافة إلى النصوص المتقدمة فقد دلت سيرة المتشرعة على ذلك، ودل العقل بالملازمة بين وجوب احترام الشيء وحرمة إهانته.



(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٧٣- ٦٧٤.

(٢) المتقي الهندي: كنز العمال: تحقيق: الشيخ بكري حياني تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ١: ٥٥٥.



المبحث الثالث: أحكام القرآن الفقهية في باب العبادات

المطلب الأول: في الطهارة:

وبحثه الفقهاء على مستويين:

الأول: مس المصحف للمحدث: ذهبت جلُّ الإمامية: إلى حرمِة مسِّ كتابة القرآن إلّا عن طهر(١)، وادعى الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ) الإجماع في الخلاف(٢)، ولكنه ذهب إلى الكراهة في المبسوط(٣).

واستدل الفقهاء بحرمة مسِّ المصحف للمحدث بمجموعة من الروايات منها:

جاء في فقه الإمام الرضا عليه السلام: (...وَ لَا تَمَسَّ القرآن إِذْ كُنْتَ جُنُباً أَوْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ وَمَسَّ الْأَوْرَاق...)(٤).

وجاء في الصحيح من مسائل علي بن جعفر أنه قال: (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَحِلُ لَهُ

---

(١) ظ: الحلي: العلامة: تحرير الأحكام تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري إشراف: جعفر السبحاني ط١-١٤٢٠هـ،المطبعة: اعتماد الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام مكتبة التوحيد – قم – إيران١: ٩٢. والشهيد الأول: البيان تحقيق:الشيخ محمد الحسّون ط١-١٤١٢هـ المطبعة: صدر – قم:٥٦. والبحراني: الحدائق الناضرة المحقق،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة٣: ٤٦.

(٢) ظ: ١: ٩٩.

(٣) ظ: ١: ٢٩.

(٤) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام – مشهد، ط١-١٤٠٦هـ. ص٨٤.



أَنْ يَكْتُبَ القرآن فِي الْأَلْوَاحِ وَالصَّحِيفَةِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ؟ قَالَ عليه السلام: لا وَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ وَيَدْخُلُ الْكَنِيفَ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ فِيهِ ذِكْرُ الله أَوْ شَيْءٌ مِنَ القرآن أَيَصْلُحُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لا)(١).

وفي الكافي، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: عَمَّنْ قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ، وَلَا يَمَسَّ الْكِتَابَ)(٢).

وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: (أَنَّهُ قَالَ لِوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ: اقْرَأِ الْمُصْحَفَ فَقَالَ: إِنِّي لَسْتُ عَلَى وُضُوءٍ، قَالَ: لَا تَمَسَّ الْكِتَابَ وَمَسَّ الْوَرَق)(٣).

وَرُوِيَ عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(٤) أَيْ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَات)(٥). وعَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَمَسُ الْجُنُبُ دِرْهَماً وَلَا دِينَاراً عَلَيْهِ اسْمُ الله، وَلَا يَسْتَنْجِي وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ فِيهِ اسْمُ الله، وَلَا يُجَامِعُ وَهُوَ عَلَيْهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْمُخْرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ)(٦).

أما الدليل الخاص بالحائض هو ما روي مرسلاً عَنْ الإمام مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قَالَ: (مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ وَقَالَ: لَا يَجُوزُ لِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالْمُحْدِثِ مَسُّ الْمُصْحَفِ)(٧).

---

(١) العريضي: مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، ص: ١٦٨.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣:٥٠.

(٣) ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية؛ ط١-١٤٠٥ ق. دار سيد الشهداء للنشر قم - ايران ٢: ١٢.

(٤) سورة الواقعة: ٧٩.

(٥) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية؛ ج ٢؛ ص١١.

(٦) الطوسي: محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام ط٤-١٤٠٧هـ. دار الكتب الإسلامية طهران- ايران ١:٣١.

(٧) الطبرسي: مجمع البيان ٩: ٣٧٧.



وصريح النصوص المتقدمة وظاهرها وغيرها يحرم على الجنب والحائض مس كتابة القرآن الكريم.

الثاني: حرمة تنجيس المصحف: إذ لا خلافَ في حرمة تنجيس القرآن؛ لكونه يدخل في باب الهتك، وان كان يدخل في المبحث الثاني من وجوب تكريم كتاب الله لكن نتكلم هنا على الحكم الفقهي للتنجيس، فقد استدل بظاهر الآية الشريفة ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١]، وبالحسن عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (... فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لَأُكْرِمَنَ الْيَوْمَ مَنْ أَكْرَمَكَ وَلَأُهِينَنَّ مَنْ أَهَانَكَ)[٢].

ومن الأحاديث المتقدمة استدل على أمور:

١- وجوب إزالة النجاسة عنه بفحوى حرمة مسّ المحدث له[٣].

٢- يحرم كتابة القرآن بالمركَّب النجس ولو كتب جهلًا أو عمداً وجب محوه، كما أنه إذا تنجس خطَّه ولم يمكن تطهيره يجب محوه[٤].

٣- وضعه على النجاسة محرم من جهة هتك حرمته، ومناف لتعظيمه المأمور به، ولا إشكال في أنّ هتكه حرام[٥].

٤- وجوب إخراج ورق القرآن - ولو بأجرة - إذا وقع في بيت الخلاء أو بالوعته،

(١) سورة الواقعة: ٧٩.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٠٢.

(٣) ظ: الغروي: علي: شرح العروة الوثقى: الطهارة: تقرير بحث السيد الخوئي ط٢- ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م الناشر: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي (موسوعة الإمام الخوئي) ٣: ٢٩١.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٩٢.

(٥) ظ: المصدر نفسه ٣: ٢٩٥.



وإن لم يمكن فالأحوط والأولى سدّ بابه وترك التخلّي فيه إلى أن يضمحلّ(١).

٥- تنجيس مصحف غير موجب لضمان نقصه الحاصل بتطهيره(٢).

٦- وجوب تطهير المصحف كفائي لا يختصّ بمن نجّسه ولو استلزم صرف المال وجب، ولا يضمنه من نجّسه إذا لم يكن لغيره، وإن صار هو السبب للتكليف بصرف المال، وكذا لو ألقاه في البالوعة، فإنّ مؤونة الإخراج الواجب على كلّ أحد ليس عليه، لأنّ الضرر إنما جاء من قبل التكليف الشرعي، ويحتمل ضمان المسبّب كما قيل، بل قيل باختصاص الوجوب به، ويجبره الحاكم عليه لو امتنع، أو يستأجر آخر، ولكن يأخذ الأُجرة منه(٣).

٧- إذا كان المصحف للغير ففي جواز تطهيره بغير إذنه إشكال إلّا إذا كان تركه هتكاً، وإنْ لم يمكن الاستئذان منه فإنّه حينئذ لا يبعد وجوبه(٤).

المطلب الثاني: في أحكام الميت:

أولا: استفادة الميت من قراءة القرآن:

في هذا المحل نتعرض إلى مسألة خلافية، وهي مدى استفادة الميت من القرآن بكون انه انقطع عن هذه الدنيا، فذهب قسم إلى عدم انتفاعه بأي عمل بعده(٥)،

---

(١) الغروي: علي: شرح العروة الوثقى ٣: ٣٠١.

(٢) ظ: المصدر نفسه ٣: ٣٠١.

(٣) ظ: المصدر نفسه ٣: ٣٠١.

(٤) ظ: المصدر نفسه ٣: ٣٠١.

(٥) ظ: الدويش: أحمد بن عبد الرزاق: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الناشر: دار العاصمة ٩: ٣٩.



وذهب قسم إلى الاستفادة بأي عمل يقدم إلى الميت منهم الإمامية، وعند الرجوع إلى الروايات نجد أنَّ الميت، كما يستفيد وهو حي من الطاعات كذلك يستفيد منها وهو ميت واستدلوا على ذلك بما روى حَمَّادُ بْنُ عُثْمَانَ [عِيسَى] فِي كِتَابِهِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (إِنَّ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَالصَّدَقَةَ وَالْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَكُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُ الْمَيِّتَ حَتَّى إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَكُونُ فِي ضِيقٍ فَيُوَسَّعُ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ: هَذَا بِعَمَلِ ابْنِكَ فُلَانٍ وَأَخِيكَ- فُلَانٍ أَخُوكَ فِي الدِّينِ)[١].

وفي حديث آخر: عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الله الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ فِي حَدِيثٍ: (أَنَّ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام كُفِّنَ بِكَفَنٍ فِيهِ حِبَرَةٌ اسْتُعْمِلَتْ لَهُ بِأَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ عَلَيْهَا القرآن كُلُّهُ)[٢].

فان هذا العمل لو لم يكن له أثر لم يقدم عليه أهل البيت عليهم السلام، أو نهى عنه المعصومون بعده، أو لما ذُكر، فهذا العمل من مواطن السنن التي يمكن ان يستفيد منها بحكم.

وعن سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: (رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ لِابْنِهِ الْقَاسِمِ: قُمْ يَا بُنَيَّ فَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِ أَخِيكَ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا- حَتَّى تَسْتَتِمَّهَا، فَقَرَأَ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا﴾[٣] قَضَى الْفَتَى، فَلَمَّا سُجِّيَ وَخَرَجُوا أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: كُنَّا نَعْهَدُ الْمَيِّتَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ يُقْرَأُ عِنْدَهُ ﴿يس وَالقرآن الْحَكِيمِ﴾[٤] فَصرتَ تَأْمُرُنَا بِالصَّافَّاتِ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَمْ (تُقْرَأْ عِنْدَ) مَكْرُوبٍ مِنْ مَوْتٍ قَطُّ إِلَّا عَجَّلَ اللهُ رَاحَتَهُ)[٥].

---

(١) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ١: ٣٤٠.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٣: ٥٣.

(٣) سورة الصافات: ١١.

(٤) سورة يس: ١-٢.

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ١٢٦.



ومن طرائق العامة من حديث معقل بن يسار (يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له اقرؤوها على موتاكم)[١].

ثانيا: دفن المصحف مع الميت:

من الأمور التي يمكن فرضها أو تصورها هو أن يوصيَ الإنسان بدفن المصحف معه إذا مات لما للكتاب من مكانة عند الله عز وجل، وقد أكدت الروايات على ذلك فربما هذه المكانة تدفع الإنسان أن يجعل معه في القبر قرآنا، وقد جاء في استفتاء لاحد المراجع بما هو نصه: (أوصى شخص بأن يدفن معه في قبره مجموعة من المصاحف كان يقرأ بها القرآن لمدة طويلة من الزمن، فهل تصح منه هذه الوصية؟).

وكان الجواب: إذا كانت مصاحف متعددة، فلا تخلو من إشكال[٢].

والذي يختاره الباحث أنّ هنا مجموعة من الأمور يجب أنْ تلاحظ منها:

١- خوف تنجس المصحف بما يخرج من الميت من صديد وغيرها.

٢- أنْ لا يدخل هذا الفعل في باب هتك حرمة القرآن وإلّا جاز وضع المصحف مع الميت في القبر لما تقدم في حديث كفن الإمام الكاظم عليه السلام الذي كتب عليه القرآن كله.

---

(١) أحمد بن حنبل: مسند أحمد: الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان٥: ٢٦.

(٢) الشيرازي: مكارم: الفتاوى الجديدة: ٢٩٢.



المطلب الثالث: في أحكام قراءة القرآن:

وهنا محاور عديدة منها:

أولا: أحكام قراءة القرآن:

١- قراءة القرآن في غير الصلاة:

فقد جاءت مجموعة من الروايات تؤكد على قراءة القرآن الكريم وتعهده، وإنَّها من الأمور المستحبة، وأن تكون هذه القراءة واعيّة، وأن لا يتغنى به كما في مجالس اللهو والطرب، وأن تكون على النحو العربي الصحيح ومراعاة الأعراب، ومن هذه الروايات ما روي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَرَتِّلِ القرآن تَرْتِيلاً ﴾[1]؟ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بَيِّنْهُ تِبْيَاناً، وَلَا تَهُذَّهُ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرْهُ نَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَكِنْ أَفْزِعُوا قُلُوبَكُمُ الْقَاسِيَةَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ)[2].

ورواية ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (إِنَّ القرآن نَزَلَ بِالْحُزْنِ فَاقْرَءُوهُ بِالْحُزْنِ)[3].

ورواية عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: اقْرَءُوا القرآنَ بِأَلْحَانِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلِ الْفِسْقِ وَأَهْلِ الْكَبَائِرِ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ مِنْ بَعْدِي أَقْوَامٌ يُرَجِّعُونَ القرآن تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالنَّوْحِ

---

(١) سورة المزمل: ٤.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٢: ٦١٥.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦١٥.



وَالرَّهْبَانِيَّةِ لَا يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ قُلُوبُهُمْ مَقْلُوبَةٌ وَقُلُوبُ مَنْ يُعْجِبُهُ شَأْنُهُمْ)(١).

ومنها: رواية عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: (ذَكَرْتُ الصَّوْتَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ يَقْرَأُ فَرُبَّمَا مَرَّ بِهِ الْمَارُّ فَصَعِقَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ، وَإِنَّ الْإِمَامَ لَوْ أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمَا احْتَمَلَهُ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِ، قُلْتُ: وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالقرآن؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله كَانَ يُحَمِّلُ النَّاسَ مِنْ خَلْفِهِ مَا يُطِيقُونَ)(٢).

ومنها: رواية ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ سُلَيْمٍ الْفَرَّاءِ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (اعْرِبِ القرآن فَإِنَّهُ عَرَبِي)(٣).

وفي رواية أخرى قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ [فِي] الْمُصْحَفِ نَظَراً مُتِّعَ بِبَصرِهِ، وَخُفِّفَ عَلَى وَالِدَيْهِ، [وَ] لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الْمُصْحَفِ نَظَرا)(٤). وقال عليه السلام أيضا: (مَنْ قَرَأَ القرآن فِي الْمُصْحَفِ مُتِّعَ بِبَصرِهِ، وَخُفِّفَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَإِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ)(٥).

ومنها: رواية إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَحْفَظُ القرآن عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي فَاقْرَؤُهُ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي أَفْضَلُ أَوْ أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: بَلِ اقْرَأْهُ وَانْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ فَهُوَ أَفْضَلُ أَ مَا

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦١٥.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) قطب الدين الراوندى: سعيد بن هبة الله: الدعوات (سلوة الحزين)، قم، ط-١، ١٤٠٧ق نشر: مدرسة الإمام المهدى عليه السلام:١٩٧.

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٢: ٦١٣



عَلِمْـتَ أَنَّ النَّظَـرَ فِي الْمُصْحَفِ عِبَـادَةٌ)[١].

٢- قراءة القرآن في الصلاة:

وهنا أيضا أمور كثيرة منها:

أ- قراءة البسملة في الصلاة والجهر بها:

أما وجوب قراءة البسملة فقد ذهبت الإمامية إلى وجوب قراءتها في الصلاة ومستندهم صحيحة مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: إِذَا قُمْتُ لِلصَّلَاةِ أَقْرَأُ بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فِي فَاتِحَةِ القرآن؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: فَإِذَا قَرَأْتُ فَاتِحَةَ القرآن أَقْرَأُ بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَعَ السُّورَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ)[٢].

هـذه الروايـة ظاهـرة في وجـوب قراءة البسـملة لكـن لدينا روايـة أخرى صريحة ونـص في وجـوب البسـملة وهـي: مـا رواه يَحْيَـى بْـنِ أَبِي عِمْـرَانَ الْهَمْـدَانِيِّ قَـالَ: (كَتَبْـتُ إِلَى أَبِي جَعْفَـرٍ - الجـواد - عليـه السـلام: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ مَـا تَقُـولُ فِي رَجُلٍ ابْتَـدَأَ بِـ(بِسْـمِ الله الرَّحْمـنِ الرَّحِيـمِ) فِي صَلَاتِـهِ وَحْـدَهُ فِي أُمِّ الْكِتَـابِ فَلَـمَّا صَـارَ إِلَى غَـيْرِ أُمِّ الْكِتَـابِ مِنَ السُّـورَةِ تَرَكَهَـا فَقَالَ الْعَبَّـاسِيُّ: لَيْسَ بِذَلِـكَ بَأْسٌ فَكَتَـبَ بِخَطِّهِ يُعِيدُهَـا مَرَّتَـيْنِ عَـلَى رَغْـمِ أَنْفِـهِ يَعْنِي الْعَبَّـاسِيَّ)[٣].

أما الجهر فقد استدلوا بمجموعة من الروايات نذكر منها: ما عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (يَا ثُمَالِيُّ إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا أُقِيمَتْ جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى قَرِينِ

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦: ٢٠٥.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٣: ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٣١٢-٣١٣.



الْإِمَامِ فَيَقُولُ: هَلْ ذَكَرَ رَبَّهُ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ ذَهَبَ وَإِنْ قَالَ: لَا رَكِبَ عَلَى كَتِفَيْهِ فَكَانَ إِمَامَ الْقَوْمِ حَتَّى يَنْصَرِفُوا قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَ لَيْسَ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ يَا ثُمَالِيُ إِنَّمَا هُوَ الْجَهْرُ بِـ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم)[١].

ورواية صَفْوَان الْجَمَّالِ - التي وصفها المجلسي والمازندراني بالصحيحة - إذ قَالَ: (صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَيَّاماً فَكَانَ إِذَا كَانَتْ صَلَاةٌ لَا يُجْهَرُ فِيهَا جَهَرَ بـ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَكَانَ يَجْهَرُ فِي السُّورَتَيْنِ جَمِيعاً)[٢].

فالصورة المحتملة ثلاث:

الأولى: البسملة في ما حقه الجهر، وهذه الصورة لا خلاف فيها في وجوب الجهر بها وهذا مستفاد من ظاهر الروايتين.

الثانية: وهو الجهر بها في الأوليين من الاخفاتية وهنا قولان: أحدهما: الوجوب لعموم الروايتين، وعدم وجود المقيد[٣]. الآخر: الاستحباب[٤].

الثالثة: وهو الجهر بها فيما يقرأ بدل التسبيح فاختلف فيه أيضا والمشهور هو الاخفات[٥].

---

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢:٢٩٠.

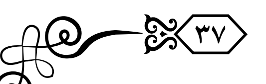
(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٥.

(٣) الحلي: الحسن بن يوسف: منتهى المطلب: تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ط١-١٤١٥ طبع ونشر: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة ٥: ٩٤.

(٤) الطوسي: الخلاف١: ٣٣١.

(٥) الحلي: الحسن بن يوسف: منتهى المطلب ٥: ٩٤.





ب- قراءة الفاتحة والسورة في الفريضة والترتيب بينهما:

من الأمور التي يكاد الإجماع عليها هو قراءة الفاتحة في الصلاة، بل إنَّ من أسماء سورة الفاتحة الصلاة ومما استدل به على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة قَولَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)[١].

وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ فِي الصَّحِيحِ، عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فِي صَلَاتِهِ، قَالَ: لَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَقْرَأَهَا فِي جَهْرٍ أَوْ اخْفَاتٍ)[٢]. وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَيْضاً فِي الصَّحِيحِ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام: (أَنَّ اللهَ فَرَضَ الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، وَالْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ، فَمَنْ تَرَكَ الْقِرَاءَةَ مُتَعَمِّداً أَعَادَ الصَّلَاةَ، وَمَنْ نَسِيَ الْقِرَاءَةَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُ وَلَا شَيْ ءَ عَلَيْه)[٣].

وجاء في مسائل علي بن جعفر، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ فَقَرَأَ السُّورَةَ وَلَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَعَهَا أَ يُجْزِيهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُتَعَمِّداً بِعَجَلَةٍ كَانَتْ؟ قَالَ: لَا يَتَعَمَّدُ ذَلِكَ وَإِنْ نَسِيَ فَقَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ أَجْزَأَه)[٤] وعَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: (قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: لَا تَقْرَأْ فِي الْمَكْتُوبَةِ بِأَقَلَّ مِنْ سُورَةٍ وَلَا بِأَكْثَرَ)[٥].

إذاً ظاهر الرّوايات ونصها يقول: إنَّ العمل العبادي إذا خلا من الفاتحة لا يسمى صلاة.

---

(١) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ٣: ٨٢.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٧.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٣٤٧.

(٤) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ٢٣٦.

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣ ص٣١٢-٣١٣.



أما مسألة الترتيب فقد أفتى الفقهاء بوجوب الترتيب بين الفاتحة والسورة، وكذلك المولاة في أجزاء السورة الواحدة من كلماتها وحروفها[١].

ج- قراءة القرآن في الصلاة للمضطر:

إنَّ الشريعةَ السمحةَ جعلت للمضطر أحكامه الخاصة، ومما ناله التيسير هو القراءة في الصلاة، واستدل على جواز الاقتصار على الفاتحة للمريض والمضطر جملة من الروايات منها:

ما جاء في صحيح عُبَيْدِ الله بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (لَا بَأْسَ أَنْ يَقْرَأَ الرَّجُلُ فِي الْفَرِيضَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ إِذَا مَا أَعْجَلَتْ بِهِ حَاجَةٌ أَوْ تَخَوَّفَ شَيْئاً)[٢].

ومنها: ما في الصحيح، عن يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (يَجُوزُ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَقْرَأَ فِي الْفَرِيضَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَحْدَهَا وَيَجُوزُ لِلصَّحِيحِ فِي قَضَاءِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[٣].

ومنها ما في الموثق عَنْ حَسَنٍ الصَّيْقَلِ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَ يُجْزِئُ عَنِّي أَنْ أَقْرَأَ فِي الْفَرِيضَةِ- فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَحْدَهَا إِذَا كُنْتُ مُسْتَعْجِلًا أَوْ أَعْجَلَنِي شَيْءٌ فَقَالَ: لَا بَأْسَ)[٤]. ويلحق بالمضطر المريض فقد جاء عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (يَجُوزُ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَقْرَأَ فِي الْفَرِيضَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَحْدَهَا

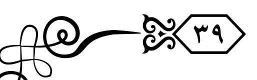
(١) اليزدي: العروة الوثقى٢: ٥١٥.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢:٧١.

(٣) المصدر نفسه ٢:٧٠.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٤.





وَيَجُوزُ لِلصَّحِيحِ فِي قَضَاءِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[١].

فهذه الروايات ومن خلال الجمع بينها تكون ظاهرة في جواز الاقتصار على الفاتحة للمضطر.

د- إعراب الكلمات في قراءة القرآن وإظهار الحركات وإخراج الحروف من مخارجها والقراءة بالقراءات المتواترة والمعتبرة:

اجمع علماء الإمامية على أن من ترك الإعراب عمدًا بطلت صلاته ذكر الأقوال كلها صاحب مفتاح الكرامة (ت ١٢٢٨هـ) بقوله: (بطلت إجماعاً كما في المعتبر، وبلا خلاف كما في المنتهى[٢]، ولا نعرف فيه خلافاً كما في فوائد الشرائع، وهو المعروف كما في الكفاية، والمشهور كما في كشف الالتباس، ولا فرق في ذلك بين الرفع والنصب والجرّ والجزم والضمّ والفتح والكسر والسكون، كما في الذكرى، والدروس، وجامع المقاصد، والروض، والمقاصد العليّة، والمسالك وعن السيّد جواز تغيير الإعراب الّذي لا يتغيّر به المعنى وأنه مكروه)[٣].

واستدل بما روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، إذ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (مَنْ زَادَ فِي صَلَاتِهِ فَعَلَيْهِ الْإِعَادَةُ)[٤] فالعموم دال على بطلان الصلاة بأي زيادة عمديّة ولمن يريد التفصيل ليراجع ولم اخرج الأقوال للاختصار.

أما إخراج الحروف من مخارجها فقد ذهب العلامة الحلي إلى وجوب إخراج

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٤.

(٢) ظ: ٥: ٦٣. واستدل بما يأتي: (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله صلىَّ بالإعراب المتلقّى عنه عليه السلام وقال: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»؛ ولأنّه تعالى: وصف القرآن بكونه عربيّا فما ليس بعربيّ فليس بقرآن).

(٣) العاملي: السيد محمد جواد: مفتاح الكرامة ٧: ٦٨.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٣: ٣٥٥.



الحروف من مخارجها فلو أخرج (الضاد) في ﴿ ولا الضّالّين ﴾ من مخرج (الظاء) بطلت صلاته إن كان عالماً أو جاهلاً يمكنه التعلّم إلّا إذا كان يتعذر عليه[١].

أمّا القراءات التي يجوز فيها الصلاة فهي التي نقلت بالتواتر أو كانت على النهج العربي الصحيح وحددها العلامة بالقراءات السبع ولم يجز بغيرها وإنْ كانت متواترة كما أنَّهُ لم يرتضِ قراءة ابن مسعود[٢].

هـ- الجمع بين سورتين في الركعة الواحدة:

اختلف الفقهاء في حكم الجمع بين السورتين في الركعة الواحدة على قولين:

احدهما: انه لا يجوز ومبطل للصلاة، وبه أفتى الشيخ في النهاية، وقال: (إن فعله أفسد صلاته)[٣]، وله قول آخر في المبسوط بانه غير مفسد[٤]. وهو ما أختاره السيد المرتضى - رحمه الله - في الانتصار[٥]، وجعله الشيخ في الخلاف الأظهر من مذهب أصحابنا[٦]. وذهب إليه العلامة الحلي في المختلف ومنتهى المطلب، واستدلوا بصّحيح محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: (سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَقْرَأُ السُّورَتَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ؟ فَقَالَ: لَا لِكُلِّ سُورَةٍ رَكْعَةٌ)[٧]. وما رواه، عن عمر بن يزيد قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: (أَقْرَأُ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: أَلَيْسَ يُقَالُ أَعْطِ كُلَّ

(١) العلامة الحلي: تحرير الأحكام ١: ٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٤٥.

(٣) الطوسي: النهاية: ص ٧٥.

(٤) الطوسي: المبسوط ١: ١٠٧.

(٥) الانتصار: ص ٤٤.

(٦) الطوسي: الخلاف ١: ٣٣٦ المسألة ٨٧.

(٧) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢: ٧٠.



سُورَةٍ حَقَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؟ فَقَالَ: ذَاكَ فِي الْفَرِيضَةِ فَأَمَّا فِي النَّافِلَةِ فَلَيْسَ بِهِ بَأْس)[١]. فهذا الحديث دلّ على ثبوت البأس في الفريضة بالمفهوم؛ كما أنَّ اصل البراءة يثبت قراءة سورة واحدة للاتّفاق عليه، بخلاف الجمع فيكون المصير إليه أولى[٢].

الآخر: هو الكراهة فقد جاء عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّمَا يُكْرَهُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فِي الْفَرِيضَةِ فَأَمَّا النَّافِلَةُ فَلَا بَأْسَ)[٣].

و- قراءة سورة الإخلاص بنَفَسٍ واحِدٍ:

ومن المكروهات قراءة سورة الإخلاص بنَفَسٍ واحِدٍ لما يفوت من فائدة التدبر، ومستندهم جمعا بين الأدلة؛ لأنَّ بعضها صرَّح بالكراهة، وبعضها صرَّح بالجواز، ففي ما روي عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بِإِسْنَادٍ لَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام صرَّح بالكراهة إذ قَالَ: (يُكْرَهُ أَنْ يُقْرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ)[٤].

وصرَّح بالجواز في ما روي عن مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام، إذ قال: (قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فِي الْفَرِيضَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةً أُخْرَى فِي النَّفَسِ الْوَاحِدِ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ قَرَأَ فِي نَفَسٍ وَإِنْ شَاءَ فِي غَيْرِه)[٥]، وفي موضع آخر (وَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فِي الْفَرِيضَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَبِسُورَةٍ فِي النَّفَسِ الْوَاحِدِ هَلْ يَصْلُحُ ذَلِكَ لَهُ أَوْ مَا عَلَيْهِ إِنْ فَعَلَ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ قَرَأَ فِي نَفَسٍ

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢: ٧٠.

(٢) ظ: منتهى المطلب٥: ٨١.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٣: ٣١٢-٣١٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها:٢٣٦.



وَاحِدٍ وَإِنْ شَاءَ أَكْثَرَ فَلَا شَيْ ءَ عَلَيْهِ)[١].

ز- قول آمين بعد الفاتحة:

ذهبت الإمامية إلى عدم جواز قول آمين في نهاية الفاتحة إذا عُدت جزءاً منها، فقد روي في الحسنة عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (إِذَا كُنْتَ خَلْفَ إِمَامٍ فَقَرَأَ الْحَمْدَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهَا فَقُلْ أَنْتَ: الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ، وَلَا تَقُلْ: آمِينَ)[٢]. وظاهر النهي المنع، وعمل المشهور مؤيد له، بل يكاد يجمع عليه عند الإمامية[٣]، إلّا ما نقل عن ابن الجنيد[٤]، وعلل ابن بابويه عدم الجواز بقوله: (ولا يجوز أن يقال بعد فاتحة الكتاب آمين؛ لإنَّ ذلك كان يقوله النصارى)[٥].

ح- تكرار الآية في الصلاة:

من الأمور التي يحتاج إليها الإنسان هو الإحساس بأنَّهُ جزءٌ من هذه المنظومة، وأنَّهُ مطالب بحقوق وواجبات، لكن لكثرة المسؤوليات يغفل عن كثير من الأمور، وفي الصلاة قد تقرع آية قلب المصلي، فعليه أنْ يعيدها وأنْ يكررها ليجلي ذلك الرين الذي على قلبه، وهو من الأمور الجائزة بل المستحبة في الصلاة، وهو ما فتى به الفقهاء على نحو لا يخرج الصلاة من صورتها[٦].

واستدل بما روي عن الصادق عليه السلام: (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ

---

(١) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ١٦٧.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٣: ٣١٣.

(٣) المفيد: المقنعة: ١٦ والانتصار: ٤٢ الطوسي: الخلاف٣٣٢:١ والمبسوط١: ١٠٦.

(٤) نقله في المعتبر:٢: ١٨١.

(٥) الصدوق: من لا يحضره الفقيه١: ٢٥٥.

(٦) اليزدي: العروة الوثقى ٢: ٥٢٣.



فِي الْفَرِيضَةِ فَيَمُرَّ بِالْآيَةِ فِيهَا التَّخْوِيفُ فَيَبْكِي وَيُرَدِّدَ الْآيَةَ؟ قَالَ: يُرَدِّدُ القرآن مَا شَاءَ وَإِنْ جَاءَهُ الْبُكَاءُ فَلَا بَأْس)[١].

ط- قراءة القرآن للصلاة في المصحف:

ومما يتعلق بقراءة القرآن جواز قراءة القرآن في المصحف، فقد أفتى بعض الفقهاء بجواز ذلك[٢]، فقد جاء في الخبر عن الصادق عليه السلام:(... عَنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ يَضَعُ الْمُصْحَفَ أَمَامَهُ يَنْظُرُ فِيهِ وَيَقْرَأُ وَيُصَلِّيَ؟ قَالَ: لَا يَعْتَدُّ بِتِلْكَ الصَّلَاة)[٣].

ك- قراءة القرآن في الركوع والسجود:

وهنا أمر آخر يتعلق في الصلاة، وأَنَّهُ ما مواطن قراءة القرآن في الصلاة، فقد أفتى الفقهاء بكراهة قراءة القرآن في الركوع والسجود[٤]، ودليلهم مجموعة من الروايات منها: ما جاء عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: نَهَانِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَلَا أَقُولُ: نَهَاكُمْ عَنِ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ، وَعَنِ الثِّيَابِ الْقَسِّيِّ، وَعَنْ مَيَاثِرِ الْأُرْجُوَانِ، وَعَنِ الْمَلَاحِفِ الْمُفْدَمَةِ، وَعَنِ الْقِرَاءَةِ وَأَنَا رَاكِعٌ)[٥].

وعَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ بِأَسَانِيدَ مُتَّصِلَةٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (إِنِّي قَدْ نَهَيْتُ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا اللهَ فِيهِ، وَأَمَّا

---

(١) العريضي، على بن جعفر، مسائل علّي بن جعفر ومستدركاتها: ١٦٨.

(٢) الخوئي: كتاب الصلاة٣: ٤٣٥.

(٣) العريضي، على بن جعفر، مسائل علّي بن جعفر ومستدركاتها: ١٦٨.

(٤) ظ: الجواهري: جواهر الكلام١٠: ١٢١ والحكيم: محسن: مستمسك العروة ٦: ٣٤١ والخوئي: كتاب الصلاة ٤: ٢٨٥.

(٥) الحر العاملي: محمد بن حسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ٦: ٣٠٨.



السُّجُودُ فَأَكْثِرُوا فِيهِ الدُّعَاءَ؛ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)[١].

وعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ يَقُولُ: (لَا قِرَاءَةَ فِي رُكُوعٍ وَلَا سُجُودٍ، إِنَّمَا فِيهِمَا الْمِدْحَةُ لله عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ الْمَسْأَلَةُ فَابْتَدِئُوا قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ بِالْمِدْحَةِ لله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اسْأَلُوا بَعْدَهُ)[٢].

وعَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليهم السلام قَالَ: (سَبْعَةٌ لَا يَقْرَءُونَ القرآن الرَّاكِعُ وَالسَّاجِدُ وَفِي الْكَنِيفِ وَفِي الْحَمَّامِ وَالْجُنُبُ وَالنُّفَسَاءُ وَالْحَائِضُ)[٣].

فظاهر النصوص إنَّهُ لا يجوز قراءة القرآن في السجود والركوع، وانما هي اذكار توقيفية ذكرت عن النبي صلى الله عليه وآله، لكنَّ المحقق البحراني ناقشها من حيث السند إذ قال: إنَّ اغلب هذه الرويات جاءت عن طرق العامة، وانها جاءت على نحو التقية، وانه لا وجود له في كلام المتقدمين وإنْ كان الاحتياط لا يترك[٤]. فلذلك عدل الفقهاء من المنع إلى الكراهة.

ل- قراءة القرآن بالعربية:

من الأمور التي اختلف فيها هو قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة، فقال الشافعي (ت٢٠٤هـ): (ترجمة القرآن لا تكفي في صحة الصلاة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها، وقال أبو حنيفة (١٥٠هـ): إنّها كافية في حق القادر والعاجز،

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة ٦: ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه ٦: ٣٠٩.

(٣) المصدر نفسه ٦: ٢٤٦.

(٤) ظ: البحراني: الحدائق الناضرة ٨: ٢٧٠.



وقال أبو يوسف ومحمد: إنّها كافية في حق العاجز وغير كافية في حق القادر)[١].

أمّا الإمامية: فقد ادع صاحب الجواهر الإجماع على عدم صحة الصلاة بغير العربية في حال الاختيار إذ يقول: (ولا يجزي للمصلي عن الفاتحة مثلا ترجمتها بالفارسية ونحوها اختيارا قطعا، وإجماعا لعدم الامتثال)[٢].

أمّا في حال العجز عن القرآن فقد كان هناك قولان:

أحدهما: إنَّ الترجمة لا تجزي وينتقل إلى الذكر وهو ما صرح به في الناصريات[٣]، والخلاف[٤] والبيان[٥]، والغنية[٦]، والمعتبر، والنافع[٧]، وجامع المقاصد[٨]، والتحرير[٩]، والمنتهى[١٠].

الآخر: إنَّ الترجمة تجب مع العجز عن القرآن وبدله من الذكر، كما في ظاهر نهاية الأحكام[١١]، والروض[١٢].

---

(١) الرازي: فخر الدين: تفسير الرازي ١٣: ٢٠٩.

(٢) الجواهري: محمد حسن: جواهر الكلام ٩: ٢٩٩.

(٣) مسائل الناصريات: في القراءة: ٢٢١ مسألة ٨٦.

(٤) الطوسي: الخلاف: في القراءة ١: ٣٤٣ مسألة ٩٤.

(٥) البيان: في القراءة: ٨٢.

(٦) غنية النزوع: في كيفية فعل الصلاة: ٧٨.

(٧) المعتبر: في القراءة ٢: ١٦٩. المختصر النافع: في القراءة: ٣٠.

(٨) جامع المقاصد: في القراءة ٢: ٢٤٦.

(٩) تحرير الأحكام: في القراءة ١: ٣٨.

(١٠) منتهى المطلب: في القراءة ١: ٢٧٣.

(١١) نهاية الإحكام: في القراءة ١: ٤٧٦.

(١٢) روض الجنان: في القراءة: ٢٦٣.





س- قراءة سور العزائم في الصلاة أو ما يفوت الصلاة من السور:

يقول الجوهري: اجمع الإمامية على عدم صحّة قراءة سور العزائم في الصلاة مضافا إلى حسنة زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: (لَا تَقْرَأْ فِي الْمَكْتُوبَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَزَائِمِ فَإِنَّ السُّجُودَ زِيَادَةٌ فِي الْمَكْتُوبَةِ)(١)، وموثق سماعة (مَنْ قَرَأَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فَإِذَا خَتَمَهَا فَلْيَسْجُدْ، فَإِذَا قَامَ فَلْيَقْرَأْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَلْيَرْكَعْ، قَالَ: وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِهَا مَعَ إِمَامٍ لَا يَسْجُدُ فَيُجْزِيكَ الْإِيمَاءُ وَالرُّكُوعُ، وَلَا تَقْرَأْ فِي الْفَرِيضَةِ اقْرَأْ فِي التَّطَوُّعِ)(٢)، فسبب عدم صحّة قراءة سور العزائم (فصلت، السجدة، النجم، العلق) في الصلاة لإيجابها زيادة السجدة(٣).

أمّا قراءة السور الطوال فإنَّهُ يفوت وقت الصلاة إذا كان الوقت ضيقاً(٤).

ثانيا: الاستماع إلى القرآن في الجمعة والجماعة:

إنَّ الجمعة ملتقى إسلامي لتداول أمور المسلمين، فمن أخلاقيات هذا الموقف هو الاستماع والانصات إلى كل ما يطرح في هذا الملتقى، ومن ضمنها القرآن الكريم، ويمكن تصوير الحالات التي تكون في صلاة الجماعة باعتبار الجهر والاخفات وسماع صوت الإمام وعدمه إلى ما يأتي:

الأولى: سماع صوت الإمام في الجهرية.

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٨.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢: ٢٩٢.

(٣) القطيفي: الشيخ أحمد آل طعان البحراني: الرسائل الأحمدية تحقيق ونشر: دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث، ط١ - ١٤١٩هـ المطبعة: أمين ٢: ١٥٩.

(٤) الشيرازي: محمد الحسيني: الفقه المحرمات ط٢ - ١٤٠٩هـ طبع: دار العلوم بيروت - لبنان: ٩٣.



الثانية: عدم سماع صوت الإمام في الجهرية لبعد أو غيره.

الثالثة: سماع الهمهمة من الإمام في الجهرية وليس القراءة.

الرابعة: قراءة الإمام في غير الجهرية.

أمّا الصورة الأولى - حال السماع - فقد اختلف الفقهاء فيها إذ أفتى بعض الفقهاء بوجوب الانصات إليه سواء سمع أم لم يسمع، وهو ما ذهب إليه الشيخ الطوسي، ودليله: (إجماع الفرقة وأخبارهم، وأيضا قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾[1] والأمر بالإنصات ينافي الأمر بالقراءة، وهذا يدل على أنَّهُ إذا جهر الإمام وجب الإصغاء إليه، فأما إذا خافت فالرجوع في ذلك إلى الروايات،....، منها: ما رواه يونس بن يعقوب قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ مَنْ اَرْتَضِي بِهِ أَقْرَأُ خَلْفَهُ؟ فَقَالَ: مَنْ رَضِيتَ بِهِ فَلَا تَقْرَأْ خَلْفَه[2])[3]. والحق بها الهمهمة في وجوب الانصات وسقوط القراءة.

وأفتى بعض بالتفصيل أي انه يجب الانصات فيما إذا سمع صوت الإمام وعدمه في حال العدم، واستدلوا بما روي عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْإِمَامِ أَقْرَأُ خَلْفَهُ؟ فَقَالَ: أَمَّا الصَّلَاةُ الَّتِي لَا يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ جُعِلَ إِلَيْهِ فَلَا تَقْرَأْ خَلْفَهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ الَّتِي يُجْهَرُ فِيهَا فَإِنَّمَا أُمِرَ بِالْجَهْرِ لِيُنْصِتَ مَنْ خَلْفَهُ، فَإِنْ سَمِعْتَ فَأَنْصِتْ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ فَاقْرَأْ)[4]. وصحيحة الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (إِذَا صَلَّيْتَ خَلْفَ إِمَامٍ تَأْتَمُّ بِهِ فَلَا

(١) سورة التوبة: ٢٠٤.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام ٣: ٣٣.

(٣) الطوسي: الخلاف١: ٣٤٠.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣٧٧.



تَقْرَأْ خَلْفَهُ سَمِعْتَ قِرَاءَتَهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً يُجْهَرُ فِيهَا وَلَمْ تَسْمَعْ فَاقْرَأْ)[١].

وأفتى بعض بالترك احتياطاً وبعض بالكراهة[٢]، فقد جاء عن مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (يُسْتَحَبُّ الْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا لِلْقُرْآنِ[٣]. وَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ خَلْفَ الْإِمَامِ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ، وَهُوَ يَقْتَدِي بِهِ هَلْ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ خَلْفَهُ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ لِيُنْصِتْ لِلْقُرْآن)[٤].

أمّا الحالات الأخرى فقد يكاد يجمع على أنَّ تكليف المصلي هو القراءة[٥].

ثالثا: أحكام السجدة لتلاوة القرآن:

وهي أنَّ من سمع آية السجدة في سور العزائم (فصلت، السجدة، النجم، العلق) وجب عليه السجود تعظيما لله عزّ وجل، ونذكر بعض النصوص بإيجاز وإلاّ فأن المقام يطول؛ لأنَّ أحاديث أحكام السجدة كثيرة ونذكر منها:

ما روي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ سَمِعَ السَّجْدَةَ تُقْرَأُ؟ قَالَ: لَا يَسْجُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُنْصِتاً لِقِرَاءَتِهِ مُسْتَمِعاً لَهَا أَوْ يُصَلِّيَ بِصَلَاتِهِ؟ فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي فِي نَاحِيَةٍ وَأَنْتَ تُصَلِّي فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَلَا تَسْجُدْ لِمَا سَمِعْتَ)[٦].

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣٧٧.

(٢) ظ: الحكيم: محسن: مستمسك العروة٧: ٢٥٠ والخوئي: كتاب الصلاة ٥: ٢٣٠.

(٣) الأصول الستة عشر: ٣٦٣.

(٤) العريضي، على بن جعفر، مسائل علّي بن جعفر ومستدركاتها: ١٦٨.

(٥) المحقق الحلي: المعتبر٢: ٤٢١.

(٦) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٣١٨



وعن مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عليه السلام: (عَنِ الرَّجُلِ يَتَعَلَّمُ سُورَةً مِنَ الْعَزَائِمِ فَتُعَادُ عَلَيْهِ مِرَاراً أَ يَسْجُدُ كُلَّمَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: يُسْتَحَبُّ الْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا لِلْقُرْآنِ)[١].

وفي كِتَابُ الْمَسَائِلِ، لِعَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ فِي صَلَاةٍ فِي جَمَاعَةٍ فَيَقْرَأُ إِنْسَانٌ السَّجْدَةَ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: يُومِي بِرَأْسِهِ قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ فِي صَلَاتِهِ فَيُقْرَأُ آخِرُ السَّجْدَةِ؟ قَالَ: يَسْجُدُ إِذَا سَمِعَ شَيْئاً مِنَ الْعَزَائِمِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ يَقُومُ فَيُتِمُّ صَلَاتَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي فَرِيضَةٍ فَيُومِي بِرَأْسِهِ إِيمَاءً)[٢].

وعَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: (لَا تَقْضِي الْحَائِضُ الصَّلَاةَ وَلَا تَسْجُدُ إِذَا سَمِعَتِ السَّجْدَةَ)[٣].

وَعَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: (سُئِلَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الرَّجُلِ إِذَا قُرِئَ الْعَزَائِمُ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: لَيْسَ فِيهَا تَكْبِيرٌ إِذَا سَجَدْتَ وَلَا إِذَا قُمْتَ وَلَكِنْ إِذَا سَجَدْتَ قُلْتَ مَا تَقُولُ فِي السُّجُودِ)[٤].

و عَنْ حَمَّادٍ عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَقْرَأُ السَّجْدَةَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ؟ قَالَ: يَسْجُدُ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله كَانَ يُصَلِّي عَلَى نَاقَتِهِ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ

---

(١) الأصول الستة عشر: ٣٦٣

(٢) العريضى، على بن جعفر، مسائل علّي بن جعفر ومستدركاتها: ١٧٣.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢: ٣٤٢

(٤) المصدر نفسه ٦: ٢٤٦



وَجْهُ اللهِ ﴾[١])[٢].

فظاهر النصوص واضح، وإنَّه مما لا خلاف فيه عند الإمامية سجود التلاوة في جميع القرآن مسنون مستحب إلّا أربعة مواضع هي: سورة لقمان، وسورة فصلت، وسورة السجدة، وسورة العلق[٣].

وقال الشافعي(ت٢٠٤هـ): الكل مسنون[٤]، وقال أبو حنيفة(ت١٥٠هـ): الكل واجب على القارئ والمستمع[٥].

رابعا: تزيين المساجد بكتابة الآيات القرآنية:

من خلال مراجعة بعض النصوص ظهر منها جَوَاز كِتَابَةِ القرآن فِي قِبْلَة المساجد وجدرانها، وَكَذَا ذِكْرُ الله فقد جاء في مسائل علي بن جعفر: (وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْجِدِ كُتِبَ فِي الْقِبْلَةِ القرآن أَوِ الشَّيْ ءُ مِنْ ذِكْرِ الله؟ قَالَ: لَا بَأْس)[٦].

وعَنْ أَبِي خَدِيجَةَ قَالَ: (رَأَيْتُ مَكْتُوباً فِي بَيْتِ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام آيَةَ الْكُرْسِيِّ قَدْ أُدِيرَتْ بِالْبَيْتِ وَرَأَيْتُ فِي قِبْلَةِ مَسْجِدِهِ مَكْتُوباً آيَةَ الْكُرْسِيِ)[٧].

فظاهر النص المتقدم وإقرار المعصوم عليه السلام أنه لا إشكال فيه، لكن العلامة

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٦: ٢٤٨

(٢) المصدر نفسه ٦: ٢٤٨

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن: الخلاف ١: ٤٢٥.

(٤) الأم ١: ١٣٦، والمجموع ٤: ٦١، والمغني لابن قدامة ١: ٦٢٤، وإرشاد الساري ٢: ٢٨١.

(٥) إرشاد الساري٢: ٢٨١، والمجموع ٤: ٦١، ومقدمات ابن رشد ١: ١٤٠،والمغني لابن قدامة ١: ٦٢٤.

(٦) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ٢٢٩

(٧) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ط٢-١٣٧١هـ دار الكتب الإسلامية قم- ايران ٢: ٦٠٩.

الحلي(ت٧٢٦هـ) أفتى بكراهته بقوله: (يكره أن يكتب في القبلة شيء، لأن التشاغل يحصل معه)[١]. ويستفاد من النص الثاني كتابة آية الكرسي مطلقا. وكان مالك يكره أن يكتب في القبلة في المسجد شيء من القرآن أو التزاويق[٢].

و قال أحمد: ولا يكتب في القبلة شيء وذلك لأنه يشغل قلب المصلي وربما اشتغل بقراءته عن صلاته[٣].

خامسا: من أحكام القرآن الكريم في باب الصيام:

١- قراءة القرآن في شهر رمضان:

ذكر الفقهاء جملة من الأمور المستحبة في شهر رمضان، منها قراءة القرآن فيه إذ هو من الأمور التي اجمع عليها العلماء، وهو ما استظهر من النصوص الآتية؛ فقد روي عن أَبِي عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضـر، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (لِكُلِ شَيْ ءٍ رَبِيعٌ، وَرَبِيعُ القرآن شَهْرُ رَمَضَانَ)[٤].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْـحَسَنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الْـحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام قَالَ: (الْـحَسَنَاتُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَقْبُولَةٌ وَالسَّيِّئَاتُ فِيهِ مَغْفُورَةٌ مَنْ قَرَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ آيَةً

---

(١) الحلي: الحسن بن يوسف: منتهى المطلب ٤: ٣٤٤.

(٢) الرعيني: الحطاب: مواهب الجليل تح: الشيخ زكريا عميرات ط١-١٤١٦ - ١٩٩٥ م الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٢: ٢٦٣.

(٣) ابن قدامه: عبد الرحمن: الشرح الكبير الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ١: ٦٢٧.

(٤) اليزدي: محمد كاظم: العروة الوثقى: ط١-١٤٢٠ نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ٣: ٥٥٠.



مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ كَمَنْ خَتَمَ القرآن فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ)[١].

٢- صوم قارئ القرآن في السفر إلى المحافل:

جاء في استفتاء وجّه إلى الشيخ مكارم الشيرازي: ما حكم قارئ القرآن الذي يدعى إلى مدن مختلفة لتلاوة القرآن هل يقصر أم يتم صلاتهُ ويصوم؟ الجواب: يتمّ صلاته ويصوم[٢].

سادسا: من أحكام القرآن في الحج:

١- استحباب قراءة القرآن في الحج:

من المستحبات الأكيدة في الحج هي تلاوة القرآن، والتدبّر في آياته، ولا ريب أنّ صفاء روح الحاجّ يساعده في وعي دروس القرآن، وفهم بصائره، ويستحب ختم القرآن في أيام الحجّ، فانّ في ذلك ثواباً عظيماً، ويستحب تدارس الآيات بعد تلاوتها، فانّه يسهم في معرفة حقائق القرآن[٣].

كما ذكر العلامة استحباب قراءة القرآن في الطواف[٤].

ومن النصوص الدالة على ما تقدم ما روي عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (مَنْ خَتَمَ القرآن بِمَكَّةَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَيَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٣٠.

(٢) الشّيرازي: ناصر المكارم: الفتاوي الجديدة اعداد وتنظيم: أبو القاسم عليّان نژاد كاظم الخاقاني٢: ٧٧.

(٣) السيستاني: علي: مناسك الحج،ط١- ١٤١٣هـ المطبعة: شهيد - قم: ٣٥٣.و المدرسي: محمّد تقي الوجيز في الفقه الإسلامي: مناسك الحجّ: ٤.



(٤) منتهى المطلب١٠: ٣٩٠.

الْجَنَّة)[١] وعن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ النَّضـر بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَادٍّ الْقَلَانِسِيِّ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: (مَنْ خَتَمَ القرآن بِمَكَّةَ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ وَخَتَمَهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ كُتِبَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْـحَسَنَاتِ مِنْ أَوَّلِ جُمُعَةٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ جُمُعَةٍ تَكُونُ فِيهَا وَإِنْ خَتَمَهُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ فَكَذَلِكَ)[٢] وعن مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْـحَمِيدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ قَالَ: (إِنَّهُ سَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لَهُ: سَعَيْتُ شَوْطاً، ثُمَّ طَلَعَ الْفَجْرُ، قَالَ: صَلِّ، ثُمَّ عُدْ فَأَتِمَّ سَعْيَكَ وَطَوَافُ الْفَرِيضَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَكَلَّمَ فِيهِ إِلَّا بِالدُّعَاءِ وَذِكْرِ الله وَقِرَاءَةِ القرآن قَالَ: وَالنَّافِلَةُ يَلْقَى الرَّجُلُ أَخَاهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَيُحَدِّثُهُ بِالشَّيْءِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ)[٣].

٢- صحة قراءة الحاج والمعتمر:

من الأمور المهمة والتي يجب أنْ يهتم بها الحاج والمعتمر هي القراءة الصحيحة في صلاة الطواف، وإلّا نجد أنَّ العلماء رتّبوا بعض الآثار على تلك القراءة فقد جاء في كتاب الحج للخوئي (ت١٤١٣هـ): (إذا كان في قراءة المصلي لحن، فان لم يكن متمكناً من تصحيحها فلا إشكال في اجتزائه بما يتمكن منه في صلاة الطَّواف وغيرها، وأمّا إذا تمكَّن من التصحيح لزمه ذلك، فإن أهمل حتى ضاق الوقت عن تصحيحها فالأحوط أن يأتي بعدها بصلاة الطَّواف حسب إمكانه، وأن يصليها جماعة ويستنيب أيضاً)[٤]. الحكم المتقدم فيمن كان عالما باللحن أما غير العالم فصلاته صحيحة يقول السيد

(١) البرقي: المحاسن ١: ٦٩.

(٢) الكليني: الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦١٢

(٣) الطوسي: تهذيب الأحكام ٥: ١٢٧

(٤) الخوئي: أبو القاسم: كتاب الحج ط١-١٤١٠هـ المطبعة: العلمية - قم الناشر: لطفي ٥: ٥٨.



الخوئي: (إذا كان جاهلا باللحن في قراءته وكان معذوراً في جهله صحت صلاته، ولا حاجة إلى الإعادة حتى إذا علم بذلك بعد الصلاة، وأمّا إذا لم يكن معذوراً فاللازم عليه إعادتها بعد التصحيح ويجري عليه حكم تارك صلاة الطواف نسيانا)[١].

وفي معناه ما ذهب إليه السيد السيستاني[٢].

ودليلهم ما روي عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: (سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَذَلِكَ أَنَّكَ قَدْ تَرَى مِنَ الْـمُحْرِمِ مِنَ الْعَجَمِ لَا يُرَادُ مِنْهُ مَا يُرَادُ مِنَ الْعَالِمِ الْفَصِيحِ، وَكَذَلِكَ الْأَخْرَسُ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الْعَجَمِ الْـمُحْرِمِ لَا يُرَادُ مِنْهُ مَا يُرَادُ مِنَ الْعَاقِلِ الْـمُتَكَلِّمِ الْفَصِيحِ. وَلَوْ ذَهَبَ الْعَالِمُ الْـمُتَكَلِّمُ الْفَصِيحُ حَتَّى يَدَعَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُومَ بِهِ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ بِالنَّبَطِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ، لَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ بِالْأَدَبِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى مَا قَدْ عَلِمَهُ وَعَقَلَهُ. قَالَ: وَلَوْ ذَهَبَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ حَالِ الْأَعْجَمِيِّ الْـمُحْرِمِ، فَفَعَلَ فَعَالَ الْأَعْجَمِيِّ وَالْأَخْرَسِ عَلَى مَا قَدْ وَصَفْنَا، إِذاً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فَاعِلًا لِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا يُعْرَفُ الْجَاهِلُ مِنَ الْعَالِمِ)[٣].

٣- كفاية القرآن عن الطواف عند المبيت في الكعبة شرفها الله:

جاء في استفتاء: هل تعد قراءة القرآن أو الدعاء أو الصلاة في المسجد الحرام أو النظر إلى الكعبة من العبادات التي تجب على الحاج عند البيتوتة في المسجد الحرام، أم لابدّ من الطواف عند البيتوتة؟ الجواب: كل ما ذكرت يعدُّ عبادة ويكفي[٤].

(١) الخوئي: أبو القاسم: كتاب الحج ٥: ٨٥.

(٢) مناسك الحج: ١٧٠.

(٣) الحميري، عبد الله بن جعفر: قرب الإسناد: ٤٩.

(٤) الشّيرازي: مكارم الفتاوي الجديدة: ١٢١.



المبحث الرابع: أحكام القرآن الكريم الفقهية في باب المعاملات

المطلب الأول: أحكام أخذ الأجرة على تعليم القرآن وكتابته وبيع المصحف:

وهنا مسائل:

الأولى: أخذ الأجرة على تعليم المصحف:

من الأمور التي طرحت في البحث الفقهي والتي تتعلق بالقرآن الكريم هي حكم أخذ الأجرة على تعليمه، إذ ظهرت مجموعة من الأقوال نبيّن أهمها:

أولا: جواز الأخذ من دون كراهة وهو ظاهر الإرشاد[١]. ومن المعاصرين السيد محمد سعيد الحكيم (قدس سره)[٢].

وعن طريق بعض العامة أنه يجوز أخذ الأجرة على التعليم، واستدلوا بما جاء في صحيح البخاري: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله)[٣].

ثانيا: جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن على كراهة، وهو ما اختاره الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي في النهاية، والعلامة الحلي[٤]، والمحقق البحراني، وادعى إنّه مشهور الفقهاء[٥].

واستدلوا بمجموعة من الروايات منها: عَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ قَالَ: قُلْتُ

---

(١) إرشاد الأذهان: في أقسام المتاجر ١: ٣٥٨.

(٢) الحكيم: محمد سعيد: منهاج الصالحين٢: ١٧.

(٣) البخاري: صحيح البخاري،ط بلا-١٤٠١ - ١٩٨١ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر ٣: ٥٣.

(٤) العلامة الحلي: المختلف ٥: ١٦.

(٥) البحراني: الحدائق الناضر١٨: ٢٣٠.



لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: (إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ كَسْبَ الْمُعَلِّمِ سُحْتٌ؟ فَقَالَ: كذب أَعْدَاءُ الله، إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ لَا يُعَلِّمُوا الْقُرْآنَ، وَلَوْ أَنَّ الْمُعَلِّمَ أَعْطَاهُ رَجُلٌ دِيَةَ وَلَدِهِ كَانَ لِلْمُعَلِّمِ مُبَاحاً)[١].

ثالثا: حرمة أخذ الأجرة على تعليمه مطلقا، وهو ما ذهب إليه أبو الصلاح (ت٤٤٧هـ)، إذ أطلق تحريم الأجر على تلقين القرآن، وتعليم المعارف، والشرائع وكيفية العبادات والفتوى[٢]. واستقربهُ العلامة في موضع آخر بقوله: (الأقرب تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن)[٣].

واستدل بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أَتَاه رَجُلٌ فَقَالَ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ. فَقَالَ لَهُ: وَلَكِنِّي أُبْغِضُكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ تَبْغِي فِي الْأَذَانِ كَسْباً وَتَأْخُذُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَجْراً)[٤].

واستدلوا أيضا بما رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: (يَا رَسُولَ الله أَعْطَانِي فُلَانٌ الْأَعْرَابِيُّ نَاقَةً بِوَلَدِهَا إِنِّي كُنْتُ عَلَّمْتُهُ أَرْبَعَ سُوَرٍ مِنْ كِتَابِ الله فَقَالَ: رُدَّ عَلَيْهِ يَا بْنَ مَسْعُودٍ، فَإِنَّ الْأُجْرَةَ عَلَى القرآن حَرَامٌ)[٥].

رابعا: الحرمة مع الشرط، وهو احد قولي الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، إذ قال: (إنَّ أخذ الأجرة حرام مع الشرط ومكروه بدونه)[٦].

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام ٦: ٣٦٥

(٢) الكافي في الفقه: فيما يحرم من المكاسب: ٢٨٣.

(٣) العلامة الحلي: نهاية الأحكام ٢: ٤٧٥.

(٤) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ١٧٨:٣.

(٥) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام مؤسسة آل البيت عليه السلام مشهد ط١-١٤٠٦ق.

(٦) الطوسي: الاستبصار: في باب الأجرة على تعليم القرآن ح ٢١٦ ٣: ٦٥.



واستدلوا بما جاء في فقه الإمام الرضا عليه السلام: (وَ اعْلَمْ أَنَّ أُجْرَةَ الْـمُعَلِّمِ حَرَامٌ إِذَا شَارَطَ فِي تَعْلِيمِ القرآن أَوْ مُعَلِّمٍ لَا يُعَلِّمُهُ إِلَّا قُرْآناً فَقَطْ، فَحَرَامٌ أُجْرَتُهُ إِنْ شَارَطَ أَوْ لَمْ يُشَارِطْ)[1]. فظاهر الحديث المنع من التعليم على هذا النحو ويمكن أنْ يكون التفصيل مؤكدا لمسألة التحريم وفي المصدر نفسه: رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[2]، قَالَ: (أُجْرَةُ الْـمُعَلِّمِينَ الَّذِينَ يُشَارِطُونَ فِي تَعْلِيمِ القرآن)[3].

خامسا: الكراهة مع الشرط وعدمها من دونه، وهو القول الآخر للشيخ الطوسي[4]. وابن إدريس ادعى الإجماع على ذلك نفياً وإثباتاً[5]. وكذلك قول المحقق البحراني[6].

المسألة الثانية: أخذ الأجرة على كتابة المصحف:

إنَّ مسألة أخذ الأجرة على كتابة المصحف تكاد تكون الأقوال فيها مطابقة للأقوال في أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وهناك مجموعة من الروايات تعرضت إلى هذا الأمر منها:

في مسائل العريضي: يقول: (وَ سَأَلْتُهُ عليه السلام: عَنِ الرَّجُلِ يَكْتُبُ الْـمُصْحَفَ بِالْأَجْرِ قَالَ لَا بَأْسَ)[7]، (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ هَلْ يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ الْـمُصْحَفَ

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٢٥٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٢.

(٣) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٢٥٣

(٤) ظ: الشهيد: الدروس٣: ١٧٣، والمحقّق الآبي: كشف الرموز١: ٤٤٣، والطوسي: النهاية:٣٦٧.

(٥) السرائر: في بيان المكاسب المباحة والمكروهة ٢: ٢٢٣.

(٦) ظ: الحدائق ١٨:٣٦٧.

(٧) العريضي: مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ٣٠٠



بِالْأَجْرِ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ)[١].

وعَنْ رَوْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ عليه السلام قَالَ: (...قُلْتُ فَمَا تَرَى أَنْ أُعْطِيَ عَلَى كِتَابَتِهِ أَجْراً؟ قَالَ: لَا بَأْسَ وَلَكِنْ هَكَذَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[٢].

المسألة الثالثة: إجارة الأعمى في قراءة القرآن:

ومن المسائل التي طرحت في البحث الفقهي مسألة استئجار الأعمى: قال جمع من العلماء: لا تجوز إجارة الأعمى على قراءة القرآن لإنتفاء الغرض[٣].

المسألة الرابعة: بيع المصحف:

أمّا بيع المصحف فقد اختلف الفقهاء على قوال:

الأول: حرمة بيع المصحف وهو مشهور فقهاء الإمامية[٤]، واستدلوا بمجموعة من الروايات، يدل ظاهرها على الحرمة، وإنَّ ما يباع هو الورق والجلد والحديد، كما أنَّ هذه الروايات دالة ضمنا على جواز أخذ الأجرة على كتابة المصحف، فمن هذه الروايات ما روي عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: لَا تَبِيعُوا الْـمَصَاحِفَ؛ فَإِنَّ بَيْعَهَا حَرَامٌ قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِي شِـرَائِهَا؟ قَالَ: اشْتَرِ مِنْهُ

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦١:١٧.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٥: ١٢١- ١٢٢.

(٣) الجواهري: محمد حسن النجفي: جواهر الكلام تح: الشيخ عباس القوچاني، ط٣-١٣٦٧ ش المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران ١٧: ٣٧٨. واليزدي: العروة الوثقى ٤:٥٥٢. والحكيم: محسن: مستمسك العروة ١٤٠٤ الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران١١: ٤٤. والسيد الخوئي وغيرهم.

(٤) الحلي: الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء١٢: ١٤٥. وابن العلامة: إيضاح الفوائد١: ٤٠٧. والمحقق الكركي٤: ٣٣ والشهيد الثاني: فوائد القواعد: ٥١٢ والبحراني١٨: ٢١٨.



الدَّفَّتَيْنِ، وَالْـحَدِيدَ، وَالْغِلَافَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنْهُ الْوَرَقَ، وَفِيهِ القرآن مَكْتُوبٌ، فَيَكُونَ عَلَيْكَ حَرَاماً، وَعَلَى مَنْ بَاعَهُ حَرَاماً)[١].

و عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيَابَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْـمَصَاحِفَ لَنْ تُشْتَرَى، فَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَقُلْ: إِنَّمَا أَشْتَرِي مِنْكَ الْوَرَقَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَدِيمِ وَحِلْيَتَهُ وَمَا فِيهِ مِنْ عَمَلِ يَدِكَ بِكَذَا وَكَذَا)[٢].

وَ عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنْ بَيْعِ الْـمَصَاحِفِ وَشِـرَائِهَا فَقَالَ لَا تَشْتَرِ كِتَابَ الله، وَلَكِنِ اشْتَرِ الْـحَدِيدَ، وَالْوَرَقَ، وَالدَّفَّتَيْنِ، وَقُلْ: أَشْتَرِي مِنْكَ هَذَا بِكَذَا وَكَذَا)[٣]. وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى قَالَ: (سَأَلْتُهُ عليه السلام: عَنْ بَيْعِ الْـمَصَاحِفِ وَشِـرَائِهَا؟ فَقَالَ: لَا تَشْتَرِ كَلَامَ الله، وَلَكِنِ اشْتَرِ الْـحَدِيدَ، وَالْجُلُودَ، وَالدَّفْتَرَ، وَقُلْ: أَشْتَرِي هَذَا مِنْكَ بِكَذَا وَكَذَا)[٤].

وَعَنْ رَوْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنْ شِـرَاءِ الْـمَصَاحِفِ وَبَيْعِهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يُوضَعُ الْوَرَقُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، وَكَانَ مَا بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَالْـحَائِطِ قَدْرَ مَا تَمُرُّ الشَّاةُ أَوْ رَجُلٌ مُنْحَرِفٌ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي فَيَكْتُبُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُمُ اشْتَرَوْا بَعْدُ قُلْتُ: فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ لِي: أَشْتَرِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيعَهُ...)[٥]. وَعَنْ عَنْبَسَةَ الْوَرَّاقِ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: فَقُلْتُ: أَنَا رَجُلٌ أَبِيعُ الْـمَصَاحِفَ فَإِنْ نَهَيْتَنِي لَمْ أَبِعْهَا فَقَالَ أَ لَسْتَ تَشْتَرِي وَرَقاً وَتَكْتُبُ فِيهِ؟ قُلْتُ: بَلَى

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧: ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه ١٧: ١٥٨.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧: ١٥٨.

(٤) المصدر نفسه ١٧: ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه ١٧: ١٥٩.



وَأُعَاجِهُا قَالَ: لَا بَأْسَ بِهَا)[١].

وعَنْ أَبَانٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنْ شراءِ الْـمَصَاحِفِ؟ فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَقُلْ أَشْتَرِي مِنْكَ وَرَقَهُ وَأَدِيمَهُ وَعَمَلَ يَدِكَ بِكَذَا وَكَذَا)[٢].

وَعَنْ جَرَّاحِ الْـمَدَائِنِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي بَيْعِ الْـمَصَاحِفِ قَالَ: (لَا تَبعِ الْكِتَابَ، وَلَا تَشْتَرِهِ، وَبعِ الْوَرَقَ وَالْأَدِيمَ وَالْـحَدِيدَ)[٣]. وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: عَنْ بَيْعِ الْـمَصَاحِفِ وَشرائِهَا؟ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يُوضَعُ عِنْدَ الْقَامَةِ وَالْمِنْبَرِ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ الْـحَائِطِ وَالْمِنْبَرِ قَيْدُ مَمَرِّ شَاةٍ وَرَجُلٍ وَهُوَ مُنْحَرِفٌ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي فَيَكْتُبُ الْبَقَرَةَ، وَيَجِيءُ آخَرُ فَيَكْتُبُ السُّورَةَ، كَذَلِكَ كَانُوا ثُمَّ إِنَّهُمُ اشْتَرَوْا بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ: فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَشْتَرِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيعَهُ)[٤].

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الله، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (إِنَّ أُمَّ عَبْدِ الله بْنِ الْـحَارِثِ أَرَادَتْ أَنْ تَكْتُبَ مُصْحَفاً، وَاشْتَرَتْ وَرَقاً مِنْ عِنْدِهَا، وَدَعَتْ رَجُلًا، فَكَتَبَ لَهَا عَلَى غَيْرِ شرطٍ، فَأَعْطَتْهُ حِينَ فَرَغَ خَمْسِينَ دِينَاراً، وَإِنَّهُ لَمْ تُبَعِ الْـمَصَاحِفُ إِلَّا حَدِيثاً)[٥].

وَعَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: لَا تَبِيعُوا الْـمَصَاحِفَ؛ فَإِنَّ بَيْعَهَا حَرَامٌ، قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِي شرائِهَا؟ قَالَ: اشْتَرِ مِنْهُ الدَّفَّتَيْنِ، وَالْـحَدِيدَ، وَالْغِلَافَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنْهُ الْوَرَقَ، وَفِيهِ القرآن مَكْتُوبٌ؛ فَيَكُونَ

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧: ١٥٩.

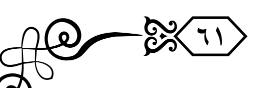
(٢) المصدر نفسه ١٧: ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه ١٧: ١٥٩.

(٤) المصدر نفسه ١٧: ١٥٩.

(٥) المصدر نفسه ١٧: ١٥٩.





عَلَيْكَ حَرَاماً وَعَلَى مَنْ بَاعَهُ حَرَاماً)[١].

وعن عَبْد الله بْن جَعْفَرٍ فِي قُرْبِ الْإِسْنَادِ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْـحَسَنِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَكْتُبُ الْـمُصْحَفَ بِالْأَجْرِ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ)[٢]. وعَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ هَلْ يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ الْـمُصْحَفَ بِالْأَجْرِ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ)[٣].

الثاني: الكراهة وهو ما ذهب إليه العلامة المحقق السبزواري إذ قال: إنَّ الأحاديث كلها ضعيف (غاية ما يستفاد من الأخبار الكراهة)[٤].

الثالث: الجواز وهو ما ذهب إليه المحقق البحراني إذ قال: (التحقيق الجواز لإطلاق الأدلة، وإطلاق كثير من الفتاوى في مقام ذكر شرائط البيع وغيره...)[٥].

المسألة الخامسة: بيع المصحف من الكافر:

منع الفقهاء بيع المصحف من الكافر[٦]، وان هذا البيع باطل، وعدم انعقاد اصل البيع، واستدلوا على الحرمة من فحوى ما دلَّ على عدم تملك الكافر للمسلم ﴿ وَلَنْ

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧: ١٦١.

(٢) المصدر نفسه ١٧: ١٦١.

(٣) المصدر نفسه ١٧: ١٦١.

(٤) السبزواري: محمد باقر: كفاية الأحكام: تحقيق: الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي ط١-١٤٢٣ طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة١: ٤٤٥.

(٥) الجواهري: محمد حسن النجفي: جواهر الكلام ٢٢: ١٢٦.

(٦) تحرير الاحكام٢: ٢٦١ وتذكرة الفقهاء١٠: ٢٣ وإرشاد الأذهان١:٣٦٠ ونهاية الإحكام٢: ٤٥٦. وإيضاح الفوائد ١: ٤٠٧ والدروس الشرعية ٣: ١٧٥ واللمعة الدمشقية: ١١١ وجامع المقاصد ٤: ٣٣ ومسالك الأفهام ٣: ١٦٦.



يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[١]، والحديث النبوي (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)[٢] وعدَّ العلماء الإسلام شـرطا في بيع المصحف: (إنّ المعتبر في بيع المصحف والعبد المسلم إسلام المشتري وقت التسليم)[٣].

المسألة السادسة: بيع الفضولي للمصحف:

إنَّ عقد الفضولي موقوفٌ على إذن المالك، فلا ينجز العقد ما لم يمضه المالك[٤]، قال السيد الخوئي: (لا يعتبر في العقد الفضولي كون المشتري للمصحف أو العبد المسلم مسلما حين العقد، بل لا بد من كونه مسلما حين الإجارة، فلو باع الفضولي المصحف أو العبد من الكافر فاسلم إلى زمان الإجارة فيكون البيع صحيحا)[٥].

فالمسألة مركّبة من أمرين:

أحدهما: في كون المبيع قابل للنقل والبيع.

الأخر: إنَّ من يبيع أو من يقوم بالبيع يجب أنْ يكون مسلما وقت البيع أو الإجازة.

المسألة السابعة: رهن المصحف:

وهنا يمكن تصور المسألة على نحوين: مرة يكون الرهن عند مسلم، وهو متفرع

(١) سورة النساء:١٤١

(٢) الصدوق: محمد بن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه ط٢-١٤٠٤هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة٤: ٣٣٤.

(٣) النائيني: كتاب المكاسب والبيع: تقرير: محمد تقي الآملي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة٢: ٢١٢.

(٤) ظ: الطائي: صالح: مصطلحات فقهية:١٧٥.

(٥) السيد الخوئي: مصباح الفقاهة: ٣: ١١٦.



على بيعه للمسلم بما تقدم من شـروط، وأخرى عند كافر واختلف في جواز رهن المصحف عند الكافر على قولين:

أحدهما: عن الطوسي (ت٤٦٠هـ) قال في المبسوط: (الأولى عندي أنه يصح أن يرهن مصحفا ويوضع على يد مسلم)[٦].

الآخر: لا يجوز، لما فيه من منافاة الإعظام لكتاب الله تعالى[٧]. وقال ابن الجنيد: لا اختار أن يرهن الكافر مصحفا، ولا ما يجب على المسلم تعظيمه، ولا صغيرا من الأطفال[٨]. وهو ما اختاره العلامة الحلي[٩].

المسألة الثامنة: غصب المصحف وضمان تلفه:

إنَّ الغصب هو الانفراد بإثبات اليد على مال غيره عدوانا، وهو اعمّ من السرقة ويختلف الغصب عن السرقة من جهات الأولى: إنَّ السرقة تكون سراً أما الغصب فيكون علنا. والثانية: ان السارق غير معلوم أما الغصب فيكون الغاصب معلوما والثالثة: إنَّ السرقة تكون من حرز والغصب يكون بالقوة والقهر.

ولا خلاف بين فقهاء المسلمين بحرمة الغصب، وهنا نتكلم عن غصب المصحف، وخصوصًا بعد اتفاقهم على ماليته من الورق والحديد والجلد، فهنا يترتب عليه جميع ما يترتب على غصب المال من الأحكام، فيجب عليه رده، وضمانه إنْ تلف مثلاً أو قيمةً[١٠].

(٦) الطوسي: المبسوط ٢: ٢٣٢.

(٧) الحلي: الحسن بن يوسف: مختلف الشيعة ٥: ٤٢٢.

(٨) المصدر نفسه ٥: ٤٢٢.

(٩) المصدر نفسه ٥: ٤٢٢.

(١٠) العلامة الحلي: تلخيص المرام في معرفة الأحكام:١٦٧.



والمراد من الضمان هو الالتزام برد مثل التّالف إن كان مثليًا أو قيمته إن كان قيميًا[١] أو النقص الحاصِلَين من التلف.

ويمكن تصوير الحالات الموجبة للضمان في حالتين؛ لانَّ الضمان لا ينحصر في الغصب فقط:

أحدهما: حصول النقص في قيمة المصحف بسبب التطهير، الذي يكون واجبا عند تنجسّه، ولا إشكال هنا في وجوب الضمان على المُنَجِس للمصحف، وكذا التطهير الموجبان للنقص في قيمة المصحف، وأضاف بعض الفقهاء مؤونة التطهير على المُنجس[٢].

الأخرى: أَنَّهُ لو غصب القرآنَ غاصبٌ فأتلفه ضمن للمغصوب منه قيمة النقش دون مجرد الورق والدّفتين وغير ذلك مما عدا النقش، وقال المحقق المامقاني (ت١٣٢٣هـ): (لو غصبه غاصبٌ فأتلفه ضمن للمغصوب منه قيمة النقش دون مجرد الورق والدّفتين وغير ذلك مما عدا النقش)[٣].

واستدلوا بعموم قاعدة من اتلف مال غيره فهو له ضامن.

ومما فرع على المسألة القراءة بالصحف المغصوب هل فيه ثواب؟ قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: فيه إشكال[٤].

(١) الموسوي: ضرغام كريم: معجم مصطلحات الفقه والفاظه٢: ٦١.

(٢) ظ: الحكيم: محسن الطباطبائي: مستمسك العروة الوثقى ١: ٥١٩.الصدر: محمد باقر: شرح العروة الوثقى ٤: ٣٢٢ - ٣٣١.

(٣) المامقاني: غاية الآمال في شرح المكاسب والبيع طبعة حجرية ١: ٢.

(٤) الشّيرازي: مكارم الفتاوي الجديدة: ٢٩٤.



المسألة التاسعة: وقف المصحف:

من الأمور التي تكاد تكون مسلّما عليها صحة وقف المصحف بحكم فتاوى الأصحاب ونصوصهم[١].

المسألة العاشرة: ثبوت خيار العيب:

المراد من خيار العيب ملك فسخ العقد وإقراره[٢] لوجود عيب في المبيع أو العوض، كما لو اشترى شيئا فوجد فيه عيبًا، فإنّ له الخيار بين الفسخ برد المعيب وإمضاء البيع، فإن لم يمكن الرد جاز له الإمساك والمطالبة بالأرش، ولا فرق في ذلك بين المشتري والبائع، فلو وجد البائع عيبا في الثمن كان له الخيار المذكور[٣].

وتأسيسا على ما تقدم من حرمة بيع المصحف إلّا على الوجه المذكور أي ما يمثل القيمة المالية للورق والجلد والحديد والحبر فلو بانَ عيبٌ في الورق أو الخط أو الحروف أو النقاط أو الحركات أو الصفات الأخر فهنا يثبت خيار العيب من حيث الرد أو الإمساك مع المطالبة بالأرش.

وذهب ابن نجيم إلى أنَّ هذه الأمور تعد عيبا فيثبت الخيار[٤].

---

(١) المامقاني: غاية الآمال في شرح المكاسب والبيع طبعة حجرية ١: ٢.

(٢) المروج: السيد جعفر الجزائري: هدى الطالب إلى شرح المكاسب ط٢- ١٣٨٣ ش،المطبعة: جزائري - قلم، الناشر: انتشارات دار المجتبى عليه السلام ٢: ٤٣.

(٣) اليزدي: حاشية المكاسب ط١- ١٣٧٨ هـ الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - إيران ١: ٣١.

(٤) ابن نجيم المصري: البحر الرائق تحقيق: ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط١- ١٩٩٧ م طبع ونشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان٦: ٧٧.



المسألة الحادية عشرْ: هبة المصحف والتصدق به:

لا إشكال في جواز هبة المصحف مجانا، وكذا التصدق به، وأمّا الهبة المعوضة فيمكن الحكم بالجواز فيها أيضا من جهة أنّ العِوَضَ إنّما هو في مقابل الهبة لا المصحف، ويمكن المنع لصدق أخذ العوض عليه عرفا، ومن ذلك يظهر حكم تمليكه بنحو الشـرط في ضمن العقد، فان فيه (أيضا) الوجهين من عدم كون الشـرط مقابل بالعوض في الإنشاء ومن صدق أخذ العوض عرفا هذا في شـرط النتيجة، وأمّا لو اشتراط عليه في ضمن عقد من العقود هبةَ مصحفٍ له مجانا فهو كالهبة المعوضة[١].

وقال السيد الخوئي: (مقتضى القاعدة انه - القرآن- كسائر الأموال يجري عليه حكمها من أنحاء النقل والانتقال، حتى الهبة المعوضة)[٢].

المطلب الثاني: اليمين والحلف والنذر:

أولا- الحلف بالقرآن الكريم:

الأصل في المسألة انه لا يجوز الحلف إلّا بالله عزّ وجلّ، فذهب العلماء إلى عدم الجواز بالحلف بالقرآن الكريم، ومنهم المحقق الحلي[٣]، والعلامة الحلي(٧٢٦هـ) إذ قال: (لا ينعقد اليمين عندنا – الإمامية – بغير الله تعالى وأسمائه وصفاته على ما تقدّم، فلو حلف بالقرآن، أو بكلام الله تعالى، لم ينعقد، وكذا بالمصحف)[٤].

(١) اليزدي: حاشية المكاسب ١: ٣١.

(٢) الخوئي: أبو القاسم: مصباح الفقاهة ١: ٧٤٤.

(٣) المحقق الحلي: المختصر النافع: ٢٣٥.

(٤) العلامة الحلي: الحسن بن يوسف: تحرير الأحكام تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري إشراف: جعفر السبحاني ط١- ١٤٢١هـ المطبعة: اعتماد. الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (ع) قم – ايران ٤:٢٩٧.



واستدلوا عليه بما روي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[1]. وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[2] وَمَا أَشْبَهَ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْسِمُ مِنْ خَلْقِهِ بِمَا شَاءَ، وَلَيْسَ لِخَلْقِهِ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ عَزَّ وَجَلَّ)[3].

وبما جاء في الأمالي للصدوق فِي مَنَاهِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: (أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَحْلِفَ الرَّجُلُ بِغَيْرِ اللهِ، وَقَالَ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾، وَنَهَى أَنْ يَحْلِفَ الرَّجُلُ بِسُورَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَقَالَ: مَنْ حَلَفَ بِسُورَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَعَلَيْهِ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا يَمِينٌ فَمَنْ شَاءَ بَرَّ وَمَنْ شَاءَ فَجَر)[4].

امّا المذاهب الإسلامية الأخرى فقد ذهب ابن قدامة (٦٢٠هـ) من الحنابلة إلى أنَّ اليمين منعقدة بالقرآن[5].

وذهب إلى ذلك النووي(٦٨٦هـ)[6] من الشافعية، وابن نجيم المصري(٩٧٠هـ) من المذهب الحنفي[7].

واستدلوا على ذلك أنَّ القرآن هو كلام الله وصفة من صفاته عز جل فتنعقد به اليمين[8].

---

(١) سورة الليل:١– ٢.

(٢) سورة النجم: ١.

(٣) النورى، حسين بن محمد تقى، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ١٧: ١٦٥.

(٤) الصدوق: ابن بابويه، محمد بن علي: الأمالي ٤٢٤.

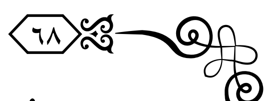
(٥) المغني ١١: ١٩٣.

(٦) المجموع ١٨: ٤٠.

(٧) البحر الرائق٤: ٤٨٢.

(٨) المغني ١١: ١٩٣.





ثانيا - النَذْر:

لغةً: من نذر وهو التخويف أو التخوّف[١]. اصطلاحاً: هو الالتزام بفعل شيء أو تركه لله سبحانه، ويتحقق بالصيغة بأن يقول: لله علي أنْ أفعل كذا[٢].

فلو نذر المكلف قراءة القرآن أو بعضه أو ترميمه أو كتابته عند تحقق شيء فحال تحقق ذلك الشيء يجب عليه إتيان ما أوجبه على نفسه على أنْ لا يعارض واجبا آخر.

قال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): (لو قيد النذر بقراءة سورة معينة، أو آيات مخصوصة، أو تسبيح معلوم، تعين، فيعيد مع المخالفة، فإن كان مقيدا بوقت وخرج، أعاد وكفرّ، ولو نذر أن يقرأ آيات معينة عوض السورة ففي الإجزاء نظر ينشأ من أنَّها واجبة، فتجب السورة مع الحمد كغيرها من الفرائض، ومن أنَّ وجوبها على هذا الحد فلا يجب غيره، فعلى الأول يحتمل عدم انعقاد النذر مطلقا، كما لو نذر صلاة بغير طهارة، وانعقاده فتجب سورة كاملة)[٣]. وفي حال الحنث يجب عليه على المشهور (كفارة من أفطر يوماً من شهر رمضان عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا مخيرا في ذلك)[٤].

---

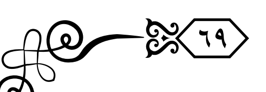
(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٥: ٤١٤.

(٢) الموسوي: ضرغام: معجم مصطلحات الفقه وألفاظه٢: ٤١٠.

(٣) العلامة الحلي: الحسن بن يوسف: ذكرة الفقهاء ٤: ١٩٩.

(٤) العلامة الحلي: مختلف الفقهاء ٨: ٢١٢.





المطلب الثالث: في باب الزواج:

ذهب الإمامية إلى جواز أن يكون المهر تعليم شيء من القرآن[١]، وممن ذهب إلى ذلك الشافعي(٢٠٤هـ)[٢]، وباقي الفقهاء يخالفون فيه[٣].

ودليل من أجاز: ما روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَتْ: زَوِّجْنِي فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ لِهَذِهِ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله زَوِّجْنِيهَا فَقَالَ صلى الله عليه وآله: مَا تُعْطِيهَا؟ فَقَالَ: مَا لِي شَيْءٌ، قَالَ: لَا، فَأَعَادَتْ فَأَعَادَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله الْكَلَامَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ غَيْرُ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَعَادَتْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فِي الْـمَرَّةِ الثَّالِثَةِ: أَ تُحْسِنُ مِنَ القرآن شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى مَا تُحْسِنُ مِنَ القرآن فَعَلِّمْهَا إِيَّاهُ)[٤].

وفي رواية أخرى يقول صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى: (قُلْتُ لِأَبِي الْـحَسَنِ عليه السلام: قَوْلُ شُعَيْبٍ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾[٥] أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ: الْوَفَاءُ مِنْهُمَا أَبْعَدُهُمَا عَشر سِنِينَ قُلْتُ: فَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ الشرطُ أَوْ بَعْدَ انْقِضَائِهِ؟ قَالَ: قَبْلَ أَنْ يَنْقَضِيَ قُلْتُ: فَالرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْـمَرْأَةَ وَيَشْتَرِطُ لِأَبِيهَا إِجَارَةَ شَهْرَيْنِ أَ يَجُوزُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيُتِمُّ الشرطَ، فَكَيْفَ لِهَذَا بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيَبْقَى

(١) المرتضى: الانتصار: ٢٩١. وابن فهد: المهذب البارع ٣: ٢٨٣. الكركي: جامع المقاصد ١٣: ٣٣٣.

(٢) عمدة القاري: ٢٠: ١٣٩، المغني (لابن قدامة) ٨: ٨ نيل الأوطار: ٦: ١٧٢.

(٣) نيل الأوطار: ٦: ١٧٢ عمدة القاري: ٢٠: ١٣٩.

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢١: ٢٤٢.

(٥) سورة القصص: ٢٧.



حَتَّى يَفِيَ؟ وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله يَتَزَوَّجُ الْـمَرْأَةَ عَلَى السُّورَةِ مِنَ القرآن، وَعَلَى الدِّرْهَمِ، وَعَلَى الْقَبْضَةِ مِنَ الْحِنْطَةِ، فَقُلْتُ: لَهُ الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْـمَرْأَةَ عَلَى الصَّدَاقِ الْـمَعْلُومِ يَدْخُلُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا شَيْئاً؟ قَالَ: يُقَدِّمُ إِلَيْهَا مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَفَاءٌ مِنْ عَرَضٍ إِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ أُدِّيَ عَنْهُ فَلَا بَأْس)[١].

وعن عَوَالِي اللآَّلِي، رَوَى سَهْلُ السَّاعِدِيُّ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله جَاءَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: لَا إِرْبَةَ لِي فِي النِّسَاءِ، فَقَالَتْ: زَوِّجْنِي بِمَنْ شِئْتَ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله زَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ تُصْدِقُهَا؟ فَقَالَ: وَالله مَا مَعِي إِلَّا رِدَائِي هَذَا، فَقَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِيَّاهُ تَبْقَى وَلَا رِدَاءَ لَكَ. هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِنَ القرآن؟ فَقَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: زَوَّجْتُكَهَا عَلَى مَا مَعَكَ مِنَ القرآن)[٢].

وفي دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: (أَنَّهُ قَالَ: لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَهَا سُورَةً مِنَ القرآن أَوْ يُعْطِيَهَا شَيْئاً مَا كَان)[٣].

المطلب الرابع: القرآن الكريم في الوصايا والمواريث:

أولا: القرآن الكريم يكون من الحبوة:

الحبوة: لغة العطية. واصطلاحا: اختصاص الولد الأكبر بثياب أبيه الميت وملابسه ومصحفه وخاتمه دون غيره من الورثة زيادة على حصته من الميراث[٤].

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٥: ٣٨٠

(٢) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ٢: ٢٦٣

(٣) ابن حيون: نعمان بن محمد المغربي: دعائم الإسلام ٢: ٢٢٢

(٤) الموسوي: ضرغام: معجم مصطلحات الفقه وألفاظه١:٥٦٦ .



وهذا مما انفردت به الإمامية، وتخالف في ذلك بقية المذاهب، واستدلوا بمجموعة من الروايات منها: ما جاء في مستدرك الوسائل أنَّ من جملة مختصات الولد الأكبر في الإرث هو المحصف: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، وَأَبِي عَبْدِ الله عليهما السلام، أَنَّهُمَا قَالا: (إِذَا هَلَكَ الرَّجُلُ، وَتَرَكَ بَنِينَ فَلِلأَكْبَرِ مِنْهُمُ السَّيْفُ، وَالدِّرْعُ، وَالْخَاتَمُ، وَالْـمُصْحَفُ، فَإِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ فَهُوَ لِلَّذِي يَلِيهِ مِنْهُم)[١].

ثانيا: الوصية:

الوصية هو تمليك عين أو منفعة، أو تسليط على تصرف بعد الوفاة. ويحتاج هذا العقد إلى الإيجاب والقبول، وتكفي الإشارة الدالة على القصد، ولا تكفي الكتابة، ما لم تضم القرينة الدالة على الإرادة، ولا يجب العمل بما يوجد بخط الميت[٢].

وتأسيسًا فإنَّ القرآن بما له من مالية ومنفعة فإنَّهُ مما يدخل في الوصية، وذهب الفقهاء إلى أنَّ الوصيةَ بالقرآن الكريم تصحُ إنْ لم يكون هناك ولد اكبر، إذ أنّهُ أحق من غيره به، وفي حال وجوده تتوقف الوصية على إجازته، وكذا لا يجوز الوصية به إلى غير المسلم، فإنَّهُ لا يجوز تعظيما لشعائر الله[٣]. وهو ما أجمعت عليه فتاوى الإمامية[٤].

(١) ابن حيون: نعمان بن محمد المغربي: دعائم الإسلام ٢: ٣٩٤.

(٢) الآبي: زين الدين أبي علي الحسن بن أبي طالب: كشف الرموز٢: ٦٦.

(٣) الشهيد الأول: الدروس الشرعية ٢: ٣٠٨.

(٤) الحلي: تذكرة الفقهاء ٢: ٤٦٥ والمامقاني: غاية الآمال في شرح المكاسب والبيع طبعة حجرية ١: ٢.



المطلب الخامس: القرآن الكريم في الحدود والتعزيرات:

أولا: كفر وارتداد المسلم المالك للمصحف:

من أحكام المصحف التي تتعلق بالارتداد فيما إذا ارتد المسلم، وهنا أفتى الفقهاء: بانتقال مصحفه إلى وارثه ولو كان الوارث هو الإمام[١].

ثانيا: سرقة المصحف:

اختلف الفقهاء في وجوب القطع بسرقة المصحف فمنهم من ذهب إلى وجوب القطع إذا كان المصحف يساوي نصابا، وهو ما ذهب إليه العلامة[٢].

واستدل بعموم قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٣]، وقول النبي صلى الله عليه وآله: (القطع في ربع دينار)[٤]، أي فيما قيمته ربع دينار، ولم يفصل، وبه قال مالك(١٧٩هـ)[٥]، والشافعي(٢٠٤هـ)[٦]، واحمد بن حنبل(٢٤١هـ)[٧].

وخالف في ذلك أبو حنيفة قال: لا قطع في شيء من ذلك[٨].

---

(١) الأنصاري: مرتضى: كتاب المكاسب ٢: ١٦٢.

(٢) الطوسي: الخلاف٥: ٤٢٩.

(٣) سورة المائدة: ٣٨.

(٤) الموطأ ٢: ٨٣٢ حديث ٢٤، وسنن النسائي ٨: ٧٩، وشرح معاني الآثار ٣: ١٦٥.

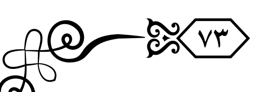
(٥) المدونة الكبرى ٦: ٢٧٧.

(٦) الأم ٦: ١٤٧.

(٧) ابن قدامة: المغني ١٠: ٢٤٩.

(٨) الكاساني: بدائع الصناع٧: ٧٢.





المبحث الخامس: المسائل الفقهية المستحدثة المتعلقة بأحكام القرآن

المطلب الأول: ترجمة القرآن لغير العربية:

اختلفت أقوال العلماء في جواز الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، والظاهر من كلماتهم أنه لا يمكن ترجمة القرآن حرفيًا، وانه إذا تُرجم لا تعد تلك الترجمة قرآنا، بل هو تفسير للقرآن؛ لأَنَّ ترجمة القرآن وتفسيره غير ممكنين لهذا الإنسان المحدود بحدود الزمان والمكان، وغير المحيط بكل العلاقات الكونية، ولا المطَّلع على النواميس الطبيعية، في مختلف المجالات. نعم، يمكن لمن يتصدى لترجمة القرآن أو لتفسيره أن يقول: هذا ما فهمته من القرآن، بحسب ما توفر لدي من أدوات تساعد على اكتشاف المعاني، من المفردات والهيئات التركيبية، وبحسب مستوى ثقافتي ومعارفي وقدراتي المحدودة بالنسبة إلى الله الذي ليس لعلمه حد[1]، وترجمة القرآن تتصور على نحوين:

الأول: ترجمته إلى الأقوام الأخرى ليعرفوا عظمة الإسلام، وهذا الدين، فهو ضـرورة تبليغية يستدعيها صميم الإسلام وواقع القرآن، قال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ): (و لا شك أنّ الترجمة مهما كانت من القوة والبلاغة في اللغة الأجنبية فإنّها لا تقدر على الإتيان بها بلسان آخر مهما كان المترجم قويا ماهرا في كلتا اللغتين العربية والأجنبية فإذا صحت الترجمة ولم يكن فيها أي تغيير وتحريف فهي جائزة، بل نقلها واجب على المقتدر فردا كان أو جماعة؛ لأنَّ فيها ابلغ دعوة للإسلام

(١) ظ: العاملي: جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ط٥- ٢٠٠٥ م-١٤٢٥ هـ المركز الإسلامي للدراسات٢: ٢٦٦.



ودعاية للدين)[١]، وقال السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ): (لقد بعث اللهّ نبيه لهداية الناس فعززه بالقرآن، وفيه كل ما يسعدهم ويرقى بهم إلى مراتب الكمال، وهذا لطف من اللهّ لا يختص بقوم دون آخر، بل يعم البشر عامة، وقد شاءت حكمته البالغة أنْ يُنزّل قرآنه العظيم على نبيه بلسان قومه مع أنّ تعاليمه عامة، وهدايته شاملة، ولذلك فمن الواجب أنْ يفهم القرآن كل احد ليهتدي به، ولا شك أنَّ ترجمته مما يعين على ذلك، ولكنه لا بد أنْ تتوفر في الترجمة براعة وإحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها؛ لان الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل ويجري ذلك في كل كلام إذ لا يؤمن أنْ تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل، ولا بد إذن في ترجمة القرآن من فهمه)[٢].

النحو الثاني: ما يترتب على ترجمة القرآن من آثار: وهذا تقدم ذكره في بعض موارد باب الصلاة وغيرها من العبادات، التي تحتاج إلى قراءة القرآن، أمّا هنا نتكلم عن فوت غايته بالترجمة، وهنا نعرض بعض كلمات العلماء في ترجمة القرآن: يقول الشهيد الأول(ت٧٨٦هـ): (إنَّ الغرض الأقصى من القرآن نظمه المعجز وهو يفوت بالترجمة)[٣]، وقال أبو الحسين بن فارس: (لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أنْ ينقله - القرآن- إِلَى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إِلَى الحَبَشية والرُّومية وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عزّ

(١) نقلا عن عبد الرحيم: رسالة القرآن والترجمة طبعة النجف الأشرف ١٣٧٥هـ: ٣-٤.

(٢) الخوئي: أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن ط٤- ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م الناشر: دار الزهراء بيروت - لبنان: ٥٠٥.

(٣) الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث،ط١- ١٤١٩هـ المطبعة: ستاره،قم- ايران ٣: ٣٠٩.



وجلّ بالعربيـة؛ لأنَّ العجـم لَمْ تتَّسـع فِي المجاز اتسـاع العـرب)[١].

فالترجمـة لا تكـون القـرآن عينـه من حيـث الإعجاز والبلاغـة، أمّا مـن جهة نقل معـالم وتعاليـم الديـن الإسـلامي فـلا إشـكال فيـه، بـل ظاهر كلـمات الإعـلام هو الجـواز إنّ لم يكـن الوجـوب، وخصوصـا بعدمـا تعـرّض إليه الإسـلام مـن هجمة شـرسة على أيـدي الكفـار والتكفيريين.

المطلب الثاني: أحكام الطهارة:

أولا: ترجمة القرآن إلى رموز للمكفوفين:

طريقة برايل هي نمط من القراءة ابتكرها لويس برايل (١٨٥٢م) يستعين المكفوفون بها على القراءة. وتعتمد هذه الطريقة على لمس الخط النافر لمجموعة رموز بأصابعهم وتشكّل تلك الرموز الكلمات[٢].

ولمساعدة المكفوفين المسلمين قامت مؤسسات عدة بكتابة القرآن بخط برايل وبناء على ما تقدم يمكن تصوير الأحكام المتعلقة بهذا النمط من الكتاب في محورين:

الأول: جواز الترجمة. وقد أفتى مجموعة من الفقهاء بجواز ترجمة القرآن إلى هذه اللغة. منهم السيد محمد سعيد الحكيم (قدس سره)[٣].

المحور الثاني: حكم مسّ هذه الكتابة تقدم أنَّ الفقهاء افتوا بحرمة مسّ خط القرآن

(١) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ط١- ١٤١٨هـ-١٩٩٧م الناشر: محمد علي بيضون:١٩-٢٠.

(٢) الموسوعة العربية العالمية. المكتبة الشاملة.

(٣) http://www.alhakeem.com/ar/questions

بالعربية للمحدث فهنا سؤال يطرح هل يشمل هذا الحكم القرآن الذي كتب بخط برايل أم لا!؟ علما أنَّ حروفه هي ليست حروف القرآن العربية عينه؟.

فقد أفتى بعض الفقهاء: بأنَّ النقاط النافرة التي هي علامات على الحروف الأصلية ليس لها حكم الحروف الأصلية، ولا يتوقف مسّها في الموارد التي تستعمل فيها بعنوان كونها علامات على حروف القرآن الكريم والأسماء الطاهرة على الطهارة من الحدث[١].

على حين أفتى بعض بحرمته كونه يكون مقروؤا فيمثّل القرآن، ومنهم السيد السيستاني إذ قال: (لا يجوز اللمس في الفرض بعد صدق القرآن عرفاً على المكتوب بالطريقة المذكورة)[٢]، وكذلك السيد محمد سعيد الحكيم (قدس سره)[٣].

ثانيا: الصور الفوتوغرافية والرقمية للآية القرآنية:

لو صورت آية من القرآن بصورة فوتوغراف هل يشملها حكم المس قال السيد الخوئي: (لا فرق بين أنحاء الكتابة من الكتب بالقلم أو الطبع)[٤] وكذا السيد محمد سعيد الحكيم: (الظاهر أن الصور الفوتوغرافية لكتابة القرآن بحكم القرآن في المسّ)[٥].

أمّا الصور الرقمية فقد ذهب بعض الفقهاء إلى حرمة مسّها أيضا وبعض إلى عدم حرمته لعدم الاتصال المباشر[٦].

---

(١) الخامنئي: علي: أجوبة الاستفتاءات ط١-١٩٩٥م دار النبأ للنشر والتوزيع - الكويت: ٤٧.

(٢) https://www.sistani.org/arabic/qa

(٣) http://www.alhakeem.com/ar/questions

(٤) الخوئي: أبو القاسم: شرح العروة ٤: ٤٨١.

(٥) الحكيم: محمد سعيد: منهاج الصالحين ط١-١٩٩٤ م الناشر: دار الصفوة بيروت- لبنان ١: ٥١.

(٦) الخوئي: أبو القاسم: كتاب الطهارة٣: ٥٣٢ والآملي: الشيخ محمد تقي: مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى،ط١-١٣٨١ المطبعة: مصطفوي٣: ١٥٦.



ثالثا: ترجمة القرآن إلى لغة غير العربية:

وهنا سؤال هل ترجمة القرآن لها حكم القرآن من جهة المسّ؟ فقال بعض العلماء: لا إشكال في مسّ ترجمة القرآن بالفارسية أو غيرها من اللغات(١)؛ لأنَّ الترجمة ليست بقرآن فلا تلحقها أحكامه(٢).

رابعا: التوائم المتلاصقة:

إذا وُلِدَ توأمان متلاصقان، وبقيا متلاصقين،، فلكل حكمه، ومنه يعلم أنه لو احتلم أحدهما لا يجب الغسل إلّا عليه، ويجوز للثاني مسّ القرآن مثلاً أو قراءة آيات السجدة(٣).

خامس: الطوابع البريدية وشعارات المؤسسات الدينية:

في بعض البلدان توضع آية من القرآن على الطابع البريدي، أو طبع لفظ الجلالة وأسماء الله عز وجل عليها؛ أو توضع على شعار المؤسسات، فما هو الحكم في هذه الأمور؟ أجاب بعض المراجع: أنه لا إشكال في طبع ونشر الآيات القرآنية وأسماء الجلالة وأمثالها، ولكن يجب على من تصل بيده مراعاة أحكامها الشرعية فيها من التجنب عن الهتك والتنجيس، وعن المسّ من دون الطهارة(٤).

---

(١) المنتظري: حسين علي: الأحكام الشرعية على مذهب أهل البيت عليهم السلام الناشر: نشر تفكر ط١-١٤١٣هـ مطبعة: القدس قم - ايران: ٥٩.

(٢) الشبر: السيد علي الحسيني: العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى،ط - ١٣٨٥هـ ٢: ٦٨.

(٣) الخوئي: أبو القاسم: كتاب الطهارة٣: ٥٣٦ الشيرازي: محمد الحسيني: المسائل المتجددة: ١٦.

(٤) الخامنئي: علي: منتخب الأحكام تحقيق: إعداد: حسن فياض: ٤٩.





سادس: المجلات والصحف التي فيها آيات قرآنية:

من المشاكل التي نتعرض لها اليوم هو وجود الآيات القرآنية في بعض الصحف والمجلات، ونجد أنَّ هناك من لا يراعي الأحكام الشرعية المتعلقة بها، وعدم احترامها ورميها في النفايات أو استعمالها في تنظيف الأشياء أو توضع في صناديق الزجاجيات للحفاظ عليها من الكسر أو احتمال حرقها للتخلص منها أو وقوعها تحت اليد، أو القدم فقد أفتى بعض الفقهاء بأَنَّهُ (لا فرقَ بين ما كان في القرآن أو في كتاب، بل لو وجدت كلمة من القرآن في كاغد بل أو نصف الكلمة كما إذا قص من ورق القرآن أو الكتاب يحرم مسها أيضاً)[١].

على حين أفتى بعض بأَنَّهُ (لا مانع شرعا من كتابة آيات القرآن الكريم وأسماء المعصومين عليهم السلام في الصحف والمجلات وغيرها، ولكن يجب الاجتناب عن هتكها وتنجيسها، وعن مسّها بلا طهارة)[٢]. فالمراد من عدم المانع هو الحكم الأولي لكتابة القرآن في الصحف أما لو حصل عنوان الهتك فلا إشكال في الحرمة.

المطلب الثالث: قراءة القرآن والاستماع إليه:

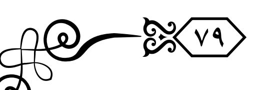
أولا: استماع القرآن من المذياع وآلة التسجيل والهاتف:

فصّل السيد الخوئي(ت ١٤١٣هـ) في المسألة قال: لا تجب بمجرد السماع ولا بالاستماع إلى المذياع إذا لم يعلم بأن البث مباشر مثلا ووافقه جواد التبريزي في

(١) الفياض: محمد إسحاق: تعاليق مبسوطة١: ٢٣٠.

(٢) الخامنئي: علي: منتخب الأحكام تحقيق: إعداد: حسن فياض: ٤٩.





التعليقة[١]. وكذا السيد الخامنئي[٢].

على حين ذهب السيد محمد الحسيني الشيرازي إلى وجوب السجدة مطلقا يقول: تجب السجدة باستماع آية السجدة من الهاتف، والمذياع، والمسجلة وغيرها. للصدق العرفي، والانصراف بدوي، فإنه يصدق: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القرآن لَا يَسْجُدُونَ﴾[٣]، كما يصدق: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤] وما أشبه ذلك.

وهنا مسألة أخرى في قراءة أجهزة التسجيل للقرآن هل يمكن أن تكون مؤدية للمستحب الذي هو قراءة القرآن في الدار؟

فقد أجاب بعض العلماء بأنها تؤدي المستحب إلّا أنَّ مراتب الاستحباب تختلف بين قراءة الإنسان القرآن بصوت نفسه، أو فتحه للمسجلة التي تقرؤه بصوت سابق. إذ المفهوم عرفاً انتشار هذا الصوت ولو بصدى أو طير أو ما أشبه[٥].

فيمكن الإفادة من عمومات أدلة الانصات والاستماع للقرآن استحباب الاستماع إلى الصوت الذي ينقله الجهاز المسجل أو الأجهزة الصوتية الأخرى التي تتوفر اليوم؛ لأنها عامة في القراءة والسماع.

---

(١) الخوئي: أبو القاسم: صراط النجاة مع تعليق الميرزا التبريزي ١: ٨٥.

(٢) الخامنئي: علي: منتخب الأحكام تحقيق: إعداد: حسن فياض: ٩٥.

(٣) سورة الانشقاق: ٢١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٥) الشيرازي: محمد الحسيني: المسائل المتجددة: ٥٨.



ثانيا: حكم الجوائز في مسابقات حفظ وقراءة القرآن:

من الأمور التي ظهرت على الساحة إقامة المسابقات في حفظ القرآن وتلاوته وهنا تخصص جوائز من الأموال والأشياء العينة للفائزين فهنا يطرح سؤال ماحكم تلك الجوائز؟

وللإجابة عن هذا السؤال نلاحظ السيرة التي كان عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قال: (مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ طَائِعاً وَقَرَأَ الْقُرْآنَ طَاهِراً فَلَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا دِينَارٍ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ مُنِعَ فِي الدُّنْيَا أَخَذَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَافِيَةً أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا).

فأنَّ مثل هذه الأمور في ذاتها مستحبة لما فيها من تحبيب القرآن وترسيخه في نفوس أبناء الأمة فقد جاء في كلمة التقوى: (يحسن إنشاء هذه الرغبة في نفوس التلاميذ الصغار من المؤمنين وبعث الشوق في قلوبهم، بإجراء المسابقة بينهم في حفظ بعض السور من الكتاب الكريم فيمرنون فيها على التلاوة الصحيحة، ويرغبون في حفظ السور منه، ويحرضون على التسابق في ذلك، ويوعد السابق منهم بالمكافأة له على سبقه، فمن كانت تلاوته أصح وحفظه اتم فهو السابق الأول)[1].

ثالثا: حكم مكبرات الصوت الموجودة في المساجد:

بعد التطور العلمي الكبير والذي حصل في جميع مرافق الحياة نجد أنَّ المساجد تجهّز بأجهزة مكبرة للصوت وهنا يطرح سؤال عن كيفية استخدامها، فكان استفتاء ما حكم مكبرات الصوت، في المساجد والتي يسمع صوتها خارج المسجد؟ وما هو حكم بث القرآن الكريم قبل الأذان؟

(١) زين الدين: محمد أمين: كلمة التقوى ط١ - ١٤١٣هـ طبع ونشر: مؤسسة إسماعيليان - قم ٥: ٣٧٨.



الجواب: في الأوقات التي لا يكون فيها إيذاء وإزعاج للجيران وسكان المحلة لا إشكال في بث قراءة القرآن الكريم لعدة دقائق قبل الأذان[١].

المطلب الثالث: كتابة المصحف (الإخراج الفني للقرآن):

لقد وردت مجموعة من الروايات التي تحث على الاعتناء بإخراج المصحف وكتابته بصورة لائقة تتفق مع ما للقرآن من مكانة وعلى من يتبنى كتابة المصحف وطباعته ان يلتفت إلى هذه الأمور، وهنا نذكر مجموعتين من الروايات التي بينت هذا الأمر، فمنها مجموعة تحث على هذا الأمر تعظيما لكتاب الله، وأخرى تبيّن كيفية كتابة وإخراج المصحف:

المجموعة الأولى:

وهي التي تبيّن تعظيم القرآن من خلال تجويد الكتابة وهي:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَنْ كَتَبَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ فَجَوَّدَهُ تَعْظِيماً للهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ)[٢].

وعَنِ الْهَيْثَمِ أَبِي كَهْمَسٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: (خِصَالٌ يَنْتَفِعُ بِهَا الْـمُؤْمِنُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَمُصْحَفٌ يُقْرَأُ مِنْهُ، وَقَلِيبٌ يَحْفِرُهُ، وَغَرْسٌ يَغْرِسُهُ، وَصَدَقَةُ مَاءٍ يُجْرِيهِ، وَسُنَّةٌ حَسَنَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا بَعْدَهُ)[٣].

وعَنْ سَيْفِ بْنِ هَارُونَ مَوْلَى آلِ جَعْدَةَ قَالَ: (قَالَ أبو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: اكْتُبْ ﴿بِسْمِ

---

(١) الخامنئي: علي: منتخب الأحكام تحقيق: إعداد: حسن فياض: ١٢٢.

(٢) الصدوق: الأمالي: ١٦٩.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦٢:١٧.



اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ مِنْ أَجْوَدِ كِتَابِكَ وَلَا تَمُدَّ الْبَاءَ حَتَّى تَرْفَعَ السِّين)[١].

أما المجموعة الثانية:

وهي التي تبين كيفية كتابة المصحف وهي:

أولا: كتابة القرآن الكريم بالذهب وتزيينه:

أفتى الفقهاء بكراهة كتابة المصحف بالذهب كراهة شديدة وكذا تزيينه بالذهب[٢]، وقد أُستدل بمجموعة من الروايات، منها ما روي في موثقة سَمَاعَةَ قَالَ: (سَأَلْتُهُ عليه السلام عَنْ رَجُلٍ يُعَشر الْـمَصَاحِفَ بِالذَّهَبِ[٣]؟ فَقَالَ: لَا يَصْلُحُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَعِيشَتِي. فَقَالَ عليه السلام: إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَهُ لله جَعَلَ اللهُ لَكَ مَخْرَجاً)[٤].

وفي رواية أخرى: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَرَّاقِ قَالَ: (عَرَضْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام كِتَاباً فِيهِ قُرْآنٌ- مُخَتَّمٌ مُعَشر بِالذَّهَبِ، وَكُتِبَ فِي آخِرِهِ سُورَةٌ بِالذَّهَبِ، فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ فَلَمْ يَعِبْ فِيهِ شَيْئاً إِلَّا كِتَابَةَ القرآن بِالذَّهَبِ، فَإِنَّهُ قَالَ: لَا يُعْجِبُنِي أَنْ يُكْتَبَ القرآن إِلَّا بِالسَّوَادِ كَمَا كُتِبَ أَوَّلَ مَرَّةٍ)[٥].

ثانيا: كتابته المصحف باللون الأحمر:

ذهب بعض الفقهاء كراهة كتابة القرآن باللون الأحمر[٦]، وأُستدل عليه من مجموع الروايتين الآتيتين فعن عَلِيٌّ عَنْ أَخِيهِ عليه السلام قَال: (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ هَلْ يَصْلُحُ

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢:٦٧٢.

(٢) البحراني: يوسف: الحدائق الناضرة ١٨: ٢٢٠.

(٣) أي يكتب بالذهب على رأس كل عشر آيات عشرا بالذهب.

(٤) الطوسي: تهذيب الأحكام ٦: ٣٦٦

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٢: ٦٢٩

(٦) البحراني: يوسف: الحدائق الناضرة ١٨: ٢٢٠.



أَنْ يَكْتُبَ الْـمُصْحَفَ بِالْأَحْمَرِ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ)[١].

وفي رواية مُحَمَّدِ بْنِ الْوَرَّاقِ المتقدمة قَالَ: (... لَا يُعْجِبُنِي أَنْ يُكْتَبَ القرآن إِلَّا بِالسَّوَادِ كَمَا كُتِبَ أَوَّلَ مَرَّةٍ)[٢].

ثالثا: كتابة كلمات القرآن وحروفه:

من الأمور المستحبة والتي تدخل في تعظيم القرآن الكريم، هو اجادة كتابة كلماته وحروفه، فقد وردت عدة روايات منها عَنْ سَيْفِ بْنِ هَارُونَ مَوْلَى آلِ جَعْدَةَ قَالَ: (قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: اكْتُبْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ مِنْ أَجْوَدِ كِتَابِكَ وَلَا تَمُدَّ الْبَاءَ حَتَّى تَرْفَعَ السِّين)[٣].

وعن زيد بن ثابت أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إِذَا كَتَبْتَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ فَبَيِّنِ السِّينَ فِيهِ)[٤]. ورُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (لِبَعْضِ كُتَّابِهِ أَلِقِ الدَّوَاةَ، وَحَرِّفِ الْقَلَمَ، وَانْصِبِ الْبَاءَ، وَفَرِّقِ السِّينَ وَلَا تُعَوِّرِ الْمِيمَ، وَحَسِّنِ ﴿اللَّهَ﴾، وَمُدَّ ﴿الرَّحْمَنَ﴾، وَجَوِّدِ ﴿الرَّحِيمَ﴾، وَضَعْ قَلَمَكَ عَلَى أُذُنِكَ الْيُسرى فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لَكَ)[٥]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: لَا تَمُدَّ الْبَاءَ إِلَى الْمِيمِ حَتَّى تَرْفَعَ السِّين)[٦]. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ فَلْيَمُدَّ ﴿الرَّحْمَن﴾)[٧].

---

(١) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ٣٠٠.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٢٩

(٣) الكليني: الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٧٢.

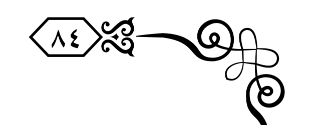
(٤) المجلسي: بحار الأنوار ٨٩: ٣٤.

(٥) المجلسي: محمد باقر: بحار الانوار ٨٩: ٣٤.

(٦) المصدر نفسه ٨٩: ٣٤.

(٧) المصدر نفسه ٨٩:٣٤- ٣٥.





المبحث السادس: آداب القرآن الكريم

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الرياء في تلاوة القرآن:

مما لا خلاف فيه هو حرمة الرياء، وكيف إذا كان كتاب الله هو الذي يذم ويلعن من لا ينصاع إلى أحكامه، فقد جاء في كتاب الزهد: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: يُجَاءُ بِعَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ صَلَّى فَيَقُولُ: يَا رَبِّ صَلَّيْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ. فَيُقَالُ لَهُ: بَلْ صَلَّيْتَ لِيُقَالَ مَا أَحْسَنَ صَلَاةً، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. وَيُجَاءُ بِعَبْدٍ قَدْ قَاتَلَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَاتَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَيُقَالُ لَهُ: بَلْ قَاتَلْتَ فيقال [لِيُقَالَ] مَا أَشْجَعَ فُلَاناً، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَيُجَاءُ بِعَبْدٍ قَدْ تَعَلَّمَ القرآن فَيَقُولُ يَا رَبِّ تَعَلَّمْتُ القرآن ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَيُقَالُ لَهُ: بَلْ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ مَا أَحْسَنَ صَوْتَ فُلَانٍ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ...)[1].

المطلب الثاني: الوقت الأفضل في ختمة القرآن ووجوب تعلم إعراب القرآن:

أولا: الوقت الأفضل لختمة القرآن:

باعتبار أنَّ القرآنَ كتابُ هدايةٍ، وأنَّهُ متعبدٌ في تلاوة والمقصود من تلاوته هو فهم ما فيه وتحمله علما وعملا، فكان من الأسئلة التي طُرحت على أهل البيت عليهم السلام ما مقدر الوقت الذي يختم فيه القرآن؟ فكانت هناك مجموعة من الروايات تبيّن الوقت

(١) الأهوازي، حسين بن سعيد الكوفي: الزهد:٦٢- ٦٣.



الأفضل في قراءة القرآن واقتصر على أهمها وهي: ما روي عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: أَقْرَأُ القرآن فِي لَيْلَةٍ؟ قَالَ: لَا يُعْجِبُنِي أَنْ تَقْرَأَهُ فِي أَقَل مِنْ شَهْرٍ)[١]. وعَنْ حُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قُلْتُ لَهُ فِي كَمْ أَقْرَأُ القرآن؟ فَقَالَ: اقْرَأْهُ أَخْمَاساً اقْرَأْهُ أَسْبَاعاً أَمَا إِنَ عِنْدِي مُصْحَفاً مُجَزَّى أَرْبَعَةَ عَشر جُزْءاً)[٢]. وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: (سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام وَأَنَا حَاضر، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَقْرَأُ القرآن فِي لَيْلَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَالَ: فِي لَيْلَتَيْنِ؟ فَقَالَ: لَا حَتَّى بَلَغَ سِتَّ لَيَالٍ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَقَالَ: هَا ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقْرَأُ القرآن فِي شَهْرٍ وَأَقَلَّ إِنَّ القرآن لَا يُقْرَأُ هَذْرَمَةً، وَلَكِنْ يُرَتَّلُ تَرْتِيلًا، إِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ وَقَفْتَ عِنْدَهَا وَتَعَوَّذْتَ بِالله مِنَ النَّارِ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَقْرَأُ القرآن فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَالَ: فِي لَيْلَتَيْنِ فَقَالَ: لَا فَقَالَ فِي ثَلَاثٍ؟ فَقَالَ: هَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَعَمْ شَهْرُ رَمَضَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنَ الشُّهُورِ لَهُ حَقٌّ وَحُرْمَةٌ أَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ مَا اسْتَطَعْتَ)[٣].

ومن طرائق العامة: جاء في صحيح البخاري: عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: (اقرأ القرآن في شهر قال: إني أجد قوة، قال: اقرأ في عشرين قال: إني أجد قوة، قال: اقرأ في خمس عشرة قال: إني أجد قوة، قال: اقرأ في عشر قال: إني أجد قوة، قال: اقرأ في سبع ولا تزيدن على ذلك)[٤].

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦١٧.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦١٧.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦١٨ -٦١٩.

(٤) البخاري: صحيح البخاري ٦: ١١٤. وسنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق: سعيد محمد اللحام ط١- ١٤١٠ - ١٩٩٠ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١: ٣١٣.



ثانيا: تعلم إعراب القرآن:

مما اجمع عليه الفقهاء هو وجوب قراءة القرآن على النهج العربي الصحيح، ولم يستثنَي من ذلك إلّا العاجز أو من لا يستطيع التعلم[١]، وهناك روايات عديدة بينت ذلك الأمر منها: محمد بن علي بن الحسين في معاني الأخبار، عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عمرو بن جميع، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (تعلموا القرآن بعربيته، وإياكم والنبز فيه يعني الهمز، قال الصادق عليه السلام: الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾، وقوله ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ وقوله ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾)[٢].

وفي الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال تعلموا العربية فإنها كلام الله الذي كلهم به خلقه ونطق به للماضين الحديث)[٣]. وعن أبي جعفر الجواد عليه السلام: (قال ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلا كان أفضلهما عند الله عز وجل أدبهما قال: قلت: قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجلس فما فضله عند الله؟ قال بقراءة القرآن، كما انزل ودعائه من حيث لا يلحن، فان الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله)[٤].

---

(١) الحر العاملي: هداية الأمة إلى أحكام الائمة٣: ٦٧ والسبزواري: عبد الأعلى: مهذب الأحكام ٧: ١٣٦.

(٢) القمي: ابن بابويه، محمد بن علي: معاني الأخبار: ٣٤٥.

(٣) القمي: ابن بابويه، محمد بن علي: الخصال ١: ٢٥٨.

(٤) ابن فهد الحلي: أحمد بن محمد: عدة الداعي ونجاح الساعي: ٢٣.



المطلب الثالث: حكم اقتناء القرآن في البيت وترك الغبار على المصحف:

أولا: اقتناء المصحف:

يستحب اقتناء المصحف في البيت لما في الصحيح، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنه ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين)[١].

ثانيا: تراكم الغبار على المصحف:

من باب التعظيم للمصحف كراهة تراكم الغبار عليه، فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام (قال: ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)[٢].

الظاهر أن الشكاية على الحقيقة، ويمكن أن تكون مجازا عن عدم القراءة، ويستحب أنْ يقرأ في القرآن ولو كان حافظًا؛ لأنَّ فيه أعمال العين - كما تقدم - فيما خلق له، وجُرّب أنَّ الإفاضات الإلهية على هذه الحال أكثر غالبا.

المطلب الرابع: التغني في القرآن وتحسين الصوت والتفكر في معاني القرآن وأمثاله ووعده ووعيده:

أولا: التغني في قراءة القرآن:

إنَّ القرآن الكريم كتاب الهدية الكبرى يستحب توقيره من جميع الجوانب ومنها:

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦١٣.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦١٣.

القراءة بصوت حسن، فقد روي عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إقرَءُوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر؛ فإنه سيجيءُ من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم)[١]. وعن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن عليه السلام: (ذَكَرْتُ الصَّوْتَ عِنْدَهُ فَقَالَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَانَ يَقْرَأُ فَرُبَّمَا مَرَّ بِهِ الْمَارُّ فَصَعِقَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ، وَإِنَّ الْإِمَامَ لَوْ أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمَا احْتَمَلَهُ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِ، قُلْتُ: وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالقرآن؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يُحَمِّلُ النَّاسَ مِنْ خَلْفِهِ مَا يُطِيقُونَ)[٢]. وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال النبي عليه السلام: لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن)[٣]. وعن علي بن عقبة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته)[٤].

ثانيا: التدبر في معاني القرآن:

من الآداب القرآنية استحباب التفكر في معاني القرآن، وأمثاله، ووعده ووعيده عند قراءته: فقد روي عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦١٤.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦١٥.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦١٥.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٦١٦.



قال: (إن هذه القرآن فيه منار الهدى، ومصابيح الدجى فليجل جال بصره، ويفتح للضياء نظره، فان التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)[١]. ومثله عن عن سماعة قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار ومن العذاب)[٢]. وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص)[٣]. وعن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن ميمون القداح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعجب كيف

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٠٠.

(٢) الطوسي: تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٦.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٥٩٩.



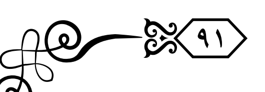
لا أشيب إذا قرأت القرآن)[١]. وفي المجالس عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام يصف المتقين قال: (أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به تهيج أحزانهم بكاء على ذنوبهم، ووجع كلوم جراحهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم، فاقشعرت منها جلوده ووجلت قلوبهم فظنوا أن صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا وتطلعت أنفسهم إليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم)[٢].

وفي معاني الأخبار عن داود الرقي، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبركم بالفقيه حقا؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخص في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه)[٣].

وعن الفضل بن الحسن الطبرسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة، فاسأل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٣٢.
(٢) الأمالي: للصدوق: ٥٧١.
(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ٣٦.





أقول وتقدم ما يدل على ذلك ويأتي ما يدل عليه)(١).

المطلب الخامس: مسائل متفرقة:

أولا: الاستعاذة في قراءة القرآن:

استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن، قَالَ الْـحَسَنُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْإِمَامُ عليه السلام: (أَمَّا قَوْلُهُ الَّذِي نَدَبَكَ [اللهُ] إِلَيْهِ، وَأَمَرَكَ بِهِ عِنْدَ قِرَاءَةِ القرآن: (أَعُوذُ بِالله [السَّمِيعِ الْعَلِيمِ] مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) فَإِنَّ أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: (أَعُوذُ بِالله) أَيْ أَمْتَنِعُ بِالله، (السَّمِيعِ) لِمَقَالِ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ وَلِكُلِّ الْـمَسْمُوعَاتِ مِنَ الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ (الْعَلِيمِ) بِأَفْعَالِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ [وَ مَا لا يَكُونُ] أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (وَ الشَّيْطَانُ) هُوَ الْبَعِيدُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ (الرَّجِيمُ) الْـمَرْجُومُ بِاللَّعْنِ، الْـمَطْرُودُ مِنْ بِقَاعِ الْخَيْرِ وَالِاسْتِعَاذَةُ هِيَ [مِمَّا] مَا قَدْ أَمَرَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ- عِنْدَ قِرَاءَتِهِمُ القرآن، فَقَالَ: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾)(٢).

ثانيا: الاستشفاء بالقرآن:

لقد وردت مجموعة من الروايات تجوز الاستشفاء بالقرآن منها: ما رواه محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: (إن رجلا قال له: إن في بطني ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال عليه السلام:

---

(١) الطبرسي: الفضل بن الحسن: مجمع البيان ١٠: ١٦٢.

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٦.



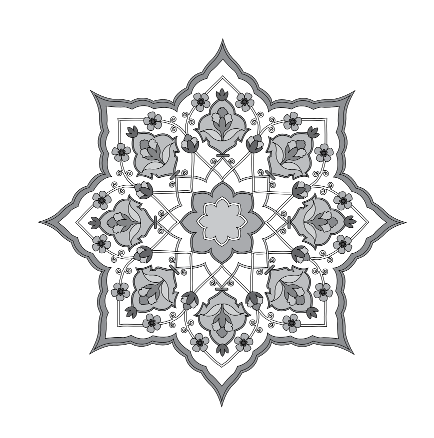
نعم بلا درهم ولا دينار، ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي، وتغسلها وتشـربها، وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ بإذن الله)[١].

ثالثا: الاستخارة بالقرآن:

وردت مجموعة من الروايات تجوز الاستخارة بالقرآن منها: قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أريد الشيء وأستخير اللهَّ فيه فلا يوفق فيه الرأي؟) إلى أن قال: (فقال علَيه السلام: افتتح المصحف فانظر إلى أول ما ترى فخذ به إن شاء اللهَّ)[٢].

رابعا: التفاؤل في القرآن:

وردت مجموعة من الروايات لا تجوز التفاؤل بالقرآن منها: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لا تتفاءل بالقرآن)[٣].



(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٢٥.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦: ٢٣٣.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٢٩.



الخاتمة وأهم النتائج

إلى هنا وقف القلم لا عن تعب ولا نصب، ولا ضجر ولا قلة مادة، ولا انتهاء لمسائل القرآن؛ وإنّما هذا غيض من فيض، وهو عبارة عن حجر أساس لكتاب يتناول القرآن في الفقه الإسلامي، وهذا ما يسمح به هذا البحث؛ لأَنَّهُ محدد بعدد الصفحات.

وبعد أنْ اكتحلت أبصارنا بنور جلال الوحي، وبيان بيت العصمة في ما جاء من أحكام تخص القرآن يمكن أن نلخص ما مرَّ من محاور بنقاط ليعلم القارئ أنّ اللهَ عزّ وجلّ حقا جعل لكل واقعة حكما، وأَنَّهُ لم يتركنا هملا، فمن ابرز النقاط التي سجلها الباحث هي:

١- أَنَّهُ توجد مادة علمية كافية لتخصيص كتاب يتناول الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن الكريم، كما أَنَّهُ يمكن الإفادة من أدوات الاستنباط في بيان تلك الأحكام، وإنَّ المكتبة الإسلامية في امسّ الحاجة إلى هذا الكتاب.

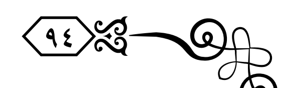
٢- إنَّ للقرآن أحكاما فقهية، وتكاليف على المستوى العقدي، وانه يجب اعتقادها. كما إنَّ هناك أمورا يجب أنْ تراعى وخاصة فيما يتعلق بالإهانة والهتك لحرمة القرآن.

٣- إنّ القرآن له أحكام في باب العبادات متوزعة على أغلب موضوعاته من طهارة وأحكام الميت والصلاة والصوم والحج وغيرها وإنَّ الباحث لم يتعرض لجلّها.

٤- إنَّ القرآن له أحكام في باب المعاملات متوزعة على أغلب موضوعاته من بيع وإجارة وهبة ووقف وارث وغيرها.

٥- التعرض للمسائل الفقهية المستحدثة التي تخص القرآن وخصوصا بعد التطور

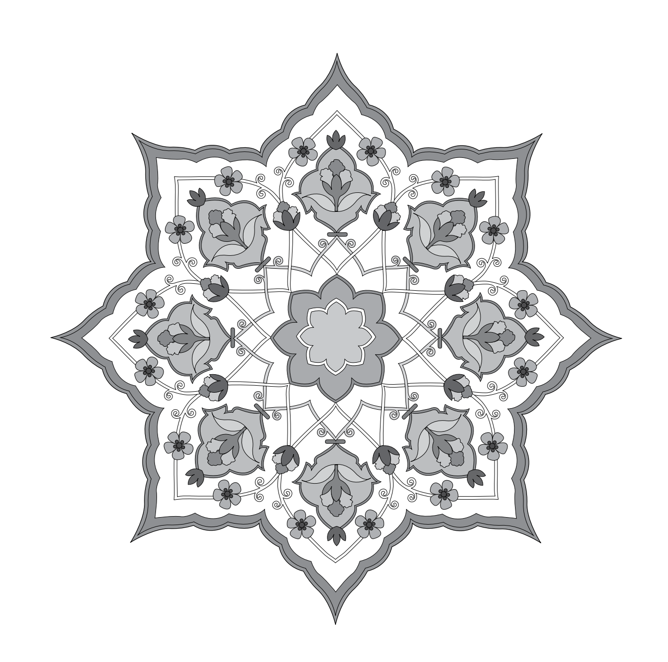




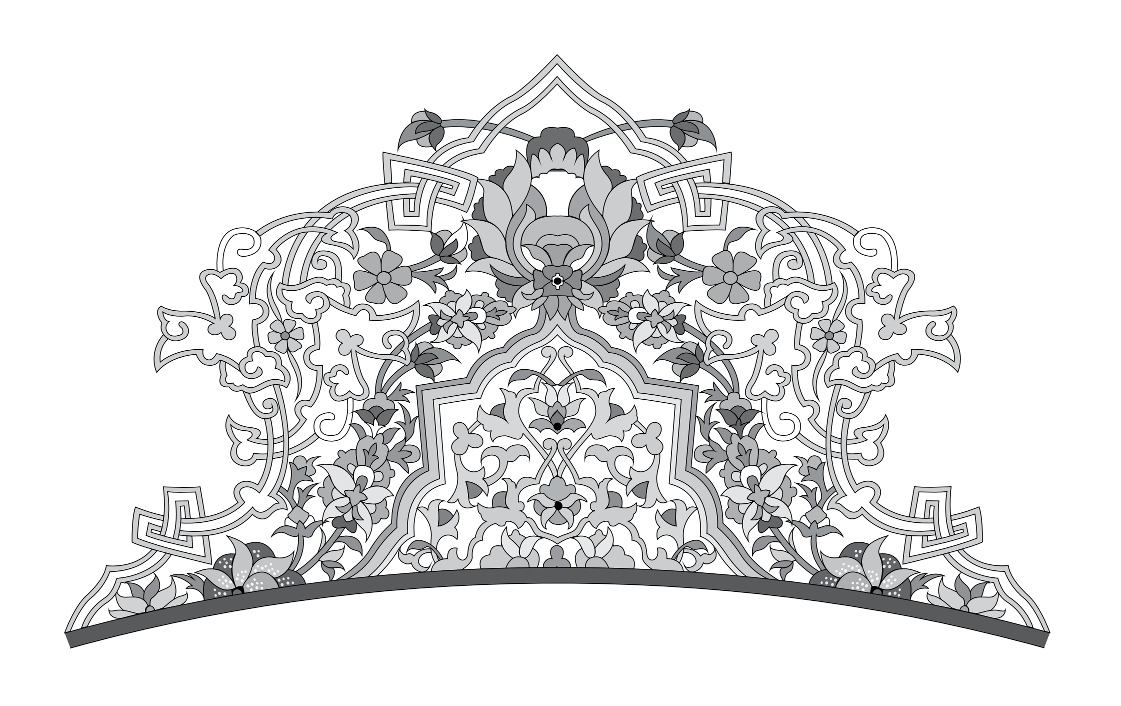
الهائل في وسائل الاتصال والأعلام.

٦- إنّ للقرآن آدابا تتعلق بتلاوة آياته، ولها أحكام متعددة التي يجب أويستحب مراعاتها عند تلاوتها، ولم نذكر منها إلّا الشيء اليسير.

وأخيرا أقول اللهم لك الحمد على ما أنعمت وأوليت سبحانك على العرش استويت وصلَّ وسّلم على خير من ارتضيت محمد وآله خير بيت.



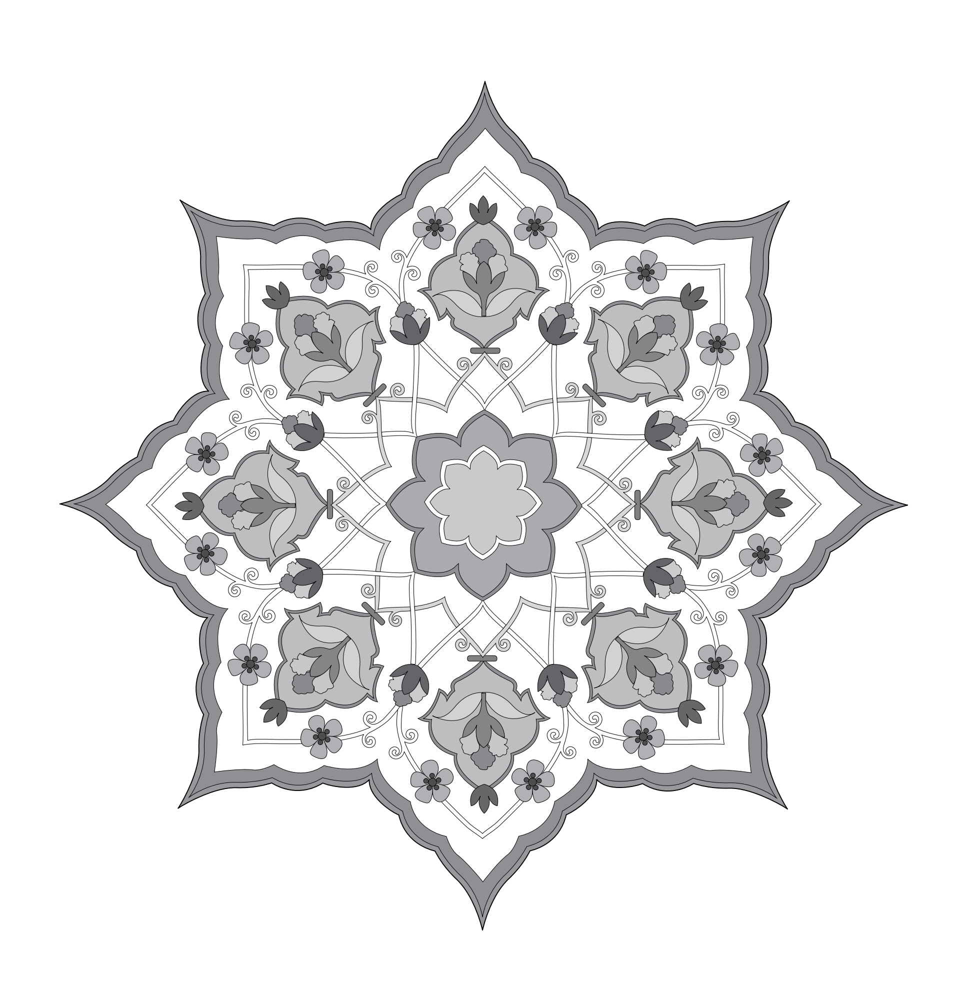


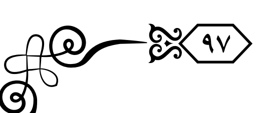


أثر أهل البيت عليهم السلام

في تأسيس المصطلح الديني

(علوم القرآن أنموذجا)





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

دراسة القرآن الكريم وعلومه والاشتغال بها من أشرف المهام، التي تستحق أن تفنى الأعمار في سبيلها وتكفي صاحبها هموم ما عداها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل: (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي للسائلين)[١]، وقال صلى الله عليه وآله: (لو كان القرآن في إهاب لما مسه النار)[٢]، أي من علمه الله تعالى القرآن لم تحرقه النار يوم القيامة إن أُلقي فيها بالذنوب، كذلك قيل في معنى الخبر.

وبعد:

فمن الإشكالات التي أثيرت حول تأسيس علوم القرآن ومصطلحاته - بما هو علم له معالمه ومعناه المتداول حاليا- انه لم يظهر إلى الساحة كعلم مستقل يُعنى بموضوعات القرآن الكريم إلّا في القرن الخامس الهجري، وأول كتاب أُلّف فيه هو البرهان في علوم القرآن لعلي بن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ)، ويقع في ثلاثين مجلدا يقول الزرقاني (ت١٣٦٧هـ): (أن علوم القرآن كفّن مدون استهلت صارخة على

(١) الهندي: المتقي: كنز العمال تح: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا ط١- ١٩٨٩ م الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان١: ٥٢٠.

(٢) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي ٤: ١١٢.



يد الحوفي. في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ثم تربت في حجر ابن الجوزي، والسخاوي، وأبي شامة في القرنين السادس والسابع، ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي، ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني، ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي التحبير والإتقان في علوم القرآن للسيوطي)[١].

وهذا يعني انه لم يرَ النور إلّا على يد المذاهب الإسلامية الأخرى، وأنَّ الإماميّة لم يكن لهم الأثر في هذا العلم، ولكن الواقع خلاف ذلك فإذا رجعنا إلى المصادر وأمهات الكتب نجد أنَّ البذرة الأولى لهذا العلم كانت على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهم المؤسسون الأوائل لهذا العلم، وتمثل ذلك بكلام وخطب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ كانا يذكران مصطلحات هذا العلم ويؤسسان لها إمّا عن طريق التعليم المباشر لأصحابهما أو غير المباشر كما نجد هذا التأسيس واضحا في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام المشهورة وباقي الأئمة عليهم السلام.

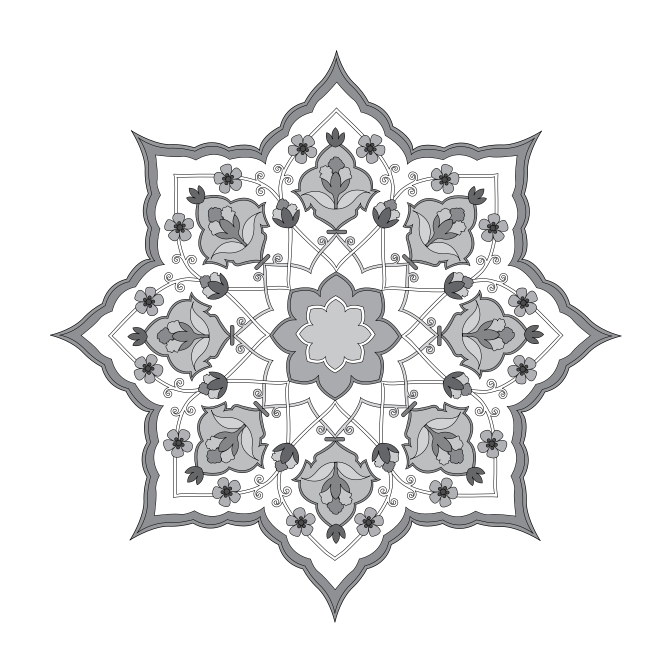
وهذا ما يحاول الباحث إظهاره من خلال تتبع كلامهم عليهم السلام، فالبحث يدور حول تأسيس مصطلح علوم القرآن عند أهل البيت عليهم السلام، وإظهار بادرة السبق اليهم، فاقتضت منهجية البحث أنْ يكون بمباحث أربعة وخاتمة وسردٍ لأهم المصادر تناول المبحث الأول التعريف بأهل البيت عليهم السلام ومرجعيتهم،

---

(١) الزرقاني: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن ط٣ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه:٣٩.



وتناول المبحث الثاني مفهوم المصطلح الديني وأقسامه وأهميته، وكان نصيب المبحث الثالث مفهوم علوم القرآن وما يتعلق به وظهور هذا العلم وتطوره، وكان المبحث الرابع ميدانا تطبيقيا لذكر نماذج من مصطلحات علوم القرآن، والخاتمة ببيان اهم النتائج التي توصل إليها البحث.





المبحث الأول: التعريف بأهل البيت عليهم السلام ومرجعيتهم

المطلب الأول: التعريف بأهل البيت عليهم السلام:

لقد تكفّلت الرّوايات القطعية المعتبرة التي نُقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي روتها العامّة والخاصة في بيان من هم أهل البيت عليهم السلام، فلو رجعنا إلى مصادر العامة لوجدنا أنها قد حوت عشرات الرّوايات بمختلف الطرق التي وردت في تفسير الآية الشريفة ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] على أنّ المقصود بأهل البيت هم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وعليه فليس المراد بأهل البيت في كلمات النبي صلى الله عليه وآله والذين لهم تلك الخصائص والصفات، جميع أقرباء النبي صلى الله عليه وآله، وإنّما اقتصر على من خصهم الذكر الحكيم وبينته الروايات، وان كان لفظ أهل البيت مشكك وإمكانيّة دخول بعض من يقرب للنبي صلى الله عليه وآله سواء أكان في النسب أم المصاهرة في هذا المصطلح، ولكن نرجع إلى ما يرجح أحد تلك المعاني المتعددة والقرائن لتعيين ما المقصود بأهل البيت.

وهنا نذكر بعض الروايات عن العامة التي تبين من هم أهل البيت صلى الله عليه

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

وآله؛ لأَّن مفهومَ أهل البيت عند الإماميّة واضحٌ ولا خلاف عليه فمن هذه الروايات:

عَنْ عائشَةَ، قالَتْ: (خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله غَداةً، وَعَلَيْهِ مِرطٌ مُرَجَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجاءَ الْـحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جاءَ الْحُسينُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جاءَتْ فاطِمَةُ فَأَدْخَلَها، ثُمَّ جاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قالَ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾)[١].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله جلَّلَ عَلَى الْـحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ كِساءً، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخاصَّتِي، اَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، فَقالَت أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنا مَعَهُمْ يا رُسُولَ اللهِ؟ قالَ: إِنَّكِ إِلى خَيْرٍ)[٢].

عَنْ عُمَرَ بْنِ سَلَمَةَ رَبيبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسيناً وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُمْ بِكِساء، ثُمَّ قالَ: أَللهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، قالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنا مَعَهُمْ يا نَبِيَّ اللهِ؟ قالَ: أَنْتِ عَلى مَكانِكِ وَأَنْتِ إِلى خَيْرٍ)[٣].

منها: جواب زيد بن أرقم حين سئل: من هم أهل البيت؟ هل المراد بهم نساء النبي صلى الله عليه وآله؟ فقال: (لا وَأَيْمُ الله! إِنَّ الْـمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصرَ مِنَ

(١) النيسابوري: مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري: صحيح مسلم الناشر: دار الفكر بيروت – لبنان ٧: ١٣٠.

(٢) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة: صحيح الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان ط٢-١٤٠٣ – ١٩٨٣م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٥: ٣٢٨.

(٣) صحيح الترمذي ١٣: ٢٠٠.



الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُها فَتَرْجِعُ إِلى أَبيها وَقَوْمِها)[١].

ومنها: عَنِ ابْنِ عَبّاس، قالَ: (شَهِدْنا رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله تِسْعَةَ أَشْهُر يَأْتي كُلَّ يَوْم بابَ عَليِّ بْنِ أَبي طالب عليه السلام عِندَ وَقْتِ كُلِّ صَلاة فَيَقُولُ: السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وبَركاتُهُ أَهْلَ الْبَيتِ ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الصَّلاةُ رَحِمَكُمُ اللهُ كُلَّ يوم خَمْسَ مَرّات)[٢].

والظاهر أنّ هذا العدد من الأدلة يكفي ويفي في بيان من هم أهل البيت عليهم السلام؛ لأن الدلالة مطابقية وتعينية في بيان الأفراد والمصاديق فلا يمكن أن ينكرها احد وخير كلمة اذكرها في هذا المقام واختم بها المطلب هو كلام للسيد محمد تقي الحكيم قدس سره في هذا الشأن إذ يقول: (فدعوى نزولها في نساء النبي شرف لم تدعه لنفسها واحدة من النساء، بل صرحت غير واحدة منهن بنزولها في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)[٣].

المطلب الثاني: مرجعية أهل البيت عليهم السلام العامة:

لقد كانت المرجعية الفكرية والمرجعية في العمل القيادي والاجتماعي تتمثلان بشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله[٤]، وهذا مما لا خلاف فيه بين الأمة الإسلامية

---

(١) النيسابوري: مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري: صحيح مسلم ٧: ١٢٣

(٢) السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ٥: ١٩٩.

(٣) الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ط٢– ١٩٧٩م الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر: ١٥٥.

(٤) الصدر: محمد باقر: نشأة التشيع والشيعة تح: عبد الجبار شرارة ط١– ١٩٩٧ م المطبعة: قدس الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية:٨٣.



ولكن بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى اختلف المسلمون في تعيين هذه المرجعية والى مَن تؤول، والذي عليه الإمامية هو أن أهل البيت عليهم السلام يمثلون الامتداد الطبيعي للرسول الأكرم، فمرجعيّة أهل البيت عليهم السلام نابعة من مرجعيّة الرسول صلى الله عليه وآله، ولا نريد الخوض في هذا؛ لأنَّ المحل لا يسع إلى تناول الأمور الأخرى.

ولقد زخرت مصادر المسلمين في بيان هذه المرجعية، وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر نماذج من تلك النصوص التي جاءت عن طرائق الفريقين، فقد جاءت عن طريق العامة كثير من الروايات التي تتضمن تعيين مرجعية أهل البيت عليهم السلام، فقد حثّ النبي صلى الله عليه وآله الأُمّة على التمسك بعترته وجعلهم عِدلاً للكتاب وأوجب عليهم الرجوع إلى أهل بيته، وأكّد على ذلك مراراً، ومن ذلك:

١ - حديث الثقلين المعروف الذي رواه ما يربو على بضعة وعشرين صحابيّاً[(١)]، وقد ذكر بألفاظ مختلفة: فقد أخرج الترمذي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[(٢)]. وأخرج مسلم في صحيحه بإسناده عن زيد بن أرقم قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا يا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلها كتاب الله فيه الهدى والنور،

---

(١) ظ: الأميني: الغدير ٣: ١١٨.

(٢) صحيح الترمذي ٥: ٦٢١، باب مناقب أهل النبي، ح ٣٧٨٦. والمعجم الكبير ١: ٦٦، ح ٢٦٨٠.



فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال -:... وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي)[١]. وأخرج الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في مرض موته: (أيّها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي...)[٢].

وقال القاري في شرح المشكاة: (الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطّلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه، كما قال: ﴿ ويعلّمهُمُ الكتابَ والحِكْمةَ ﴾[٣])[٤].

وأخرج الحمويني الشافعي إبراهيم بن محمّد مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وفي ضمنها: قال عليه السلام: (أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك.... فقال: يا أيّها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلوا، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فقام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكلَّ أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكن أوصيائي منهم، أولهم أخي ووزيري وخليفتي في أُمّتي ووليّ كل مؤمن بعدي هو أوّلهم، ثمّ ابني

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٢٤٠٨. ومستدرك الحاكم ٣:٦١٣، ح ٦٢٧٢. مسند أحمد ٣: ٣٨٨، ح ١٠٧٢٠، و٣٩٤، ح ١٠٧٤٧، و٥: ٤٩٢، ح ١٨٧٨٠، و٦: ٢٣٢، ح ٢١٠٦٨، و٢٤٤، ح ٢١١٤٥.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٦.

(٣) سورة البقرة: ١٢٩.

(٤) المرقاة في شرح المشكاة ١٠: ٥٣١. كتاب المناقب، ذيل الحديث ٦١٥٣.



الحسن ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد حتى يردوا عليَّ الحوض، هم شهداء الله في أرضه وحجّته على خلقه وخزّان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فقالوا كلّهم: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك)[1].

٢ - حديث السفينة، الذي رواه عدد غفير يربو على المئة: فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن حنش، قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة: (أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم)[2].

وروى أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي: عن أبي سعيد الخدري، قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الأُولى، ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: (يا معشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي الأئمة الراشدين من ذريتي، فإنكم لن تضلّوا أبداً فقيل: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: إثنا عشر من أهل بيتي أو قال: من عترتي)[3].

فهذه النّصوص المتواترة تدل على تأسيس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لمبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في مختلف الجوانب الفكرية للشريعة لوجود تفصيلات خاصة عند أهل البيت عليهم السلام تلقوها عن النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) فرائد السمطين ١: ٣١٧ - ٣١٨، ب ٥٨.

(٢) الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي دار المعرفة بيروت - لبنان ٢: ٣٤٣.

(٣) مستدرك الحاكم ٢: ٣٧٣، ح ٣٣١٢، و٣: ١٦٣، ح ٤٧٢٠.



في مجالات علوم القرآن والتفسير والفقه وغيرها[١].

ومن الروايات عن طريق الخاصة التي يمكن حملها أيضا على أنّها في مقام بيان هذا المبدأ - مبدأ مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام - من قبيل رواية زيد الشحام، قال: (دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام: فقال له: أنت فقيه أهل البصـرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال عليه السلام: بلغني أنّكَ تفسّرُ القرآن، قال: نعم - إلى أن قال - يا قتادة، إنْ كنت قد فسـرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلكت، وإنْ كنت قد فسـرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة - ويحك - إنَّما يعرف القرآن من خوطب به)[٢] ومن قبيل خبر حمزة بن طيّار، أنّه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعا منها قال له: (كفّ واسكت)، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: (لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلَّا الكفّ عنه، والتثبّت والردّ إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على الحقّ، ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرّفوكم فيه الحقّ، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾)[٣].

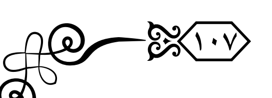
وخلاصة القول: إنّ مرجعية أهل البيت عليهم السلام لا يختلف فيها أحد لما ذكرناه من الأدلة المدونة بكتب الفريقين فالنصوص واضحة، وإنّها لا تحتاج إلى تأويل أو إفراغ الوسع للوصول إلى مطالبها فمرجعية أهل البيت عليهم السلام مرجعية شـرعيّة بأمر من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وآله، فهي لم تكن نابعة من أمر شخصي أو حب أو هوى، فالمتخلف عنهم متخلف عن الرسول، والمتخلف عن الرسول متخلف عن الله عز وجل.

(١) المحمدي: فتح الله: سلامة القرآن من التحريف سنة الطبع: ١٤٢٤هـ الناشر: مؤسسة فرهنگي وهنري مشعر طهران - ايران: ٤٥١.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٨: ٣١٢.

(٣) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ٢: ٢٦٠.





المبحث الثاني: مفهوم المصطلح الديني وأقسامه وأهميته

المطلب الأول: مفهوم المصطلح الديني:

مفهوم (المصطلح الديني) مركب إضافي من مفردتين هما: المصطلح والدين ولمعرفة هذا المركب لا بد من معرفة جزئي المركب فنبدأ بمعنى المصطلح فالمصطلح لغة: هو مصدر بوزن (الافتعال)، وفعله اصطلح بمعنى دخل في الصلح أو شارك فيه أو استجاب له، وكل هذه المعاني يجمعها الاتفاق على شيء[١].

ولذلك عَدَّ بعضٌ أنّ اللغة هي الاتفاق من لدن الناطقين بها على التخاطب. فهي اصطلاح جماعي على تسمية الأشياء وتخصيص ألفاظ معينة لها وتأليفها في انساق من الكلام يتم بها التواصل بين تلك اللغة.

أما اصطلاحا: فقد ذكر الجرجاني تعاريف عدة منها: بأنه إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، ومنها: بأنه اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. ومنها: بأنه إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. وقيل: هو لفظ معين بين قوم معينين. أو هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول. أو هو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء[٢].

---

(١) ظ: المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار دار النشر: دار الدعوة: ٥٢٠.

(٢) الجرجاني: علي بن محمد: التعريفات ط١- ٢٠٠٤م طبع ونشر: دار التراث العرابي، بيروت لبنان: ٢٣.



فمن خلال ما تقدم نعرف أنه إخراج اللفظ عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد لذلك العلم فهو لفظ مخصوص بالعرف الذي يتوافق عليه أهل أي علم أو فن أو صناعة لإعطاء اللفظ اللغوي دلالة تخص ذلك العلم أو الفن مثل (الفاعل) عند النحاة و(الوتد) عند العروضيين.

والديني: هو ما ينسب إلى الدين والدين في اللغة يأتي بمعان منها: الجزاء، والطاعة، والمعاملة، والعادة، وغيرها[١].

وفي الاصطلاح: هو المراد به الدين الإسلامي من خلال أنظمته، وقوانينه، ومناهجه في إرساء المعرفة التي يتبعها العمل.

إذاً فالمراد بالمصطلح الديني: تلك الألفاظ الخاصة بالدين الإسلامي وما يتعلق به من أمور سواء كانت على المستوى العلمي(النظري) أم المستوى العملي، وذلك بإخراج هذه الكلمة من معناها اللغوي الأصلي وإطلاقها على المعنى الخاص بهم، وقريب منه تحديد بعضهم: بكونه اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله من الاستعمال الأول أو اللغوي لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غير ذلك[٢].

المطلب الثاني: أقسام المصطلح الديني:

من خلال تتبع المفردات التي وردت في الشـريعة الإسلامية يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

(١) الفراهيدي: الخليل بن احمد: العين: تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ط٢- ١٤١٠هـ الناشر: مؤسسة دار الهجرة ٨: ٧٣.

(٢) التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون ١: ٣٣.



مصطلحات إمضائية: ويقصد بها كل مصطلح أمضاه الإسلام، وتعامل معه على ما كان عليه قبل الإسلام، ومثال ذلك كلمة: البيع والربا وكثير من المفردات التي كانت شائعة في عصر النزول؛ لأنَّ مبدأ الإسلام الأساس هو مخاطبة الناس بما هو معلوم وما هو متيقن وقد بين الله عز وجل هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ ﴾[1].

مصطلحات منقولة: وهو ما وضع لشيء واستعمل في شيء آخر، مثال ذلك كلمة الصلاة، والصوم، والزكاة، فان معانيها في اللغة شيء واستعملت في شيء آخر فكذلك مصطلحات علوم القرآن فمنها ما هو منقول من اللغة مثل مصطلح الجري، والتأويل والتفسير، والمحكم، والمتشابه، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[2]، ومصطلح النسخ قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

المطلب الثالث: أهمية المصطلح الديني:

بعد أنْ عرفنا أنّ الاصطلاح هو الاتفاق عند أهل علم أو فن أو صناعة على إعطاء لفظ لإحدى المعاني وتخصيصه بها، ويتواضعون على استعمالها، وباتساع العلوم

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) سورة البقرة: ١٠٦.



وتخصصها وتطور الفنون وتكاثر الصناعات والاختصاصات العلمية والمهنية والثراء العلمي اتسع مجال المصطلح، وبدأ يبرز بشكل واسع، واصبح لغة خاصة لا يمكن تحصيل المعرفة والخبرة في اي اختصص من دونها، ونشأ عنها علم جديد هو (علم المصطلح) ولهذا قال بعضهم: لا علم بلا اصطلاحات[1].

وتعد اللغة العربية من أغنى اللغات بالمصطلحات، التي واكبت تطور الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، واستيعاب تراث الحضارة الإنسانية، وكانت البداية من القرآن الكريم الذي جاء بألفاظ كانت لها معان لغوية من قبل فأعطاها دلالات جديدة، كألفاظ الصلاة، والزكاة، والإيمان، والكفر، والتقوى، وغيرها كثير، فمعانيها اللغوية قبل الإسلام معروفة، وهي غير المعاني التي خصها القرآن الكريم بها، وبذلك يكون القرآن هو الذي سن للمسلمين سُنة الاصطلاح.

ومن المعلوم أَنَّهُ لا يمكن نقل المعرفة العلمية والتقنية إلّا بلغة خاصة في مقابل اللغة العامة، التي يستعملها عامة الناس لأغراضهم، وهذه اللغة الخاصة مستقاة من اللغة العامة وتتميز في ضوء اصطلاحيتها بالدقة والإيجاز في نقل المعنى المطلوب[2].

وعلوم القرآن التي نالت الاهتمام الأكبر لدى المسلمين لمكانة القرآن الكريم كونه مدار عبادتهم واصبح ميدانا لأباحثهم فكان كأي علم له مصطلحاته الخاصة التي لا يمكن لأحد أنْ يخوض فيه ما لم يحط بذلك المصطلح؛ لأنه

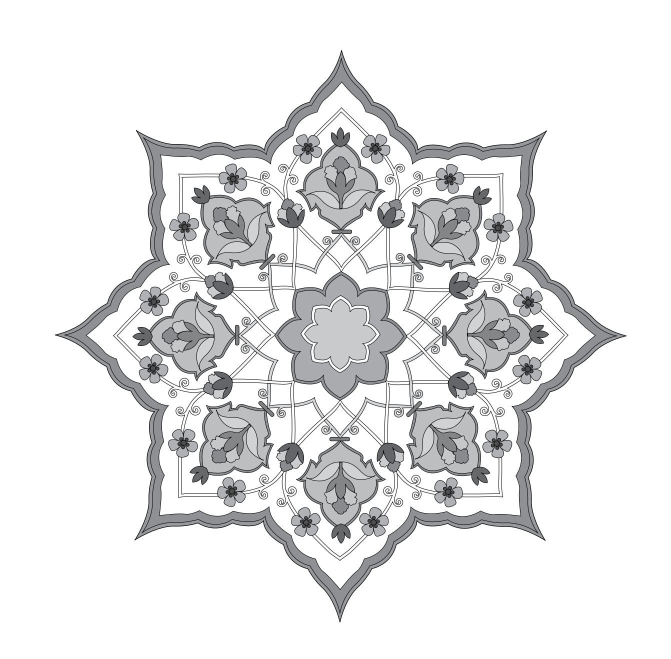
---

(١) الجرجاني: علي بن محمد بن علي: التعريفات ط١- ١٤٠٥هـ تح: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت: ٤٤. والتنوخي: محمد: معجم علوم العربية ط١-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار الجيل بيروت - لبنان: ٥٩.

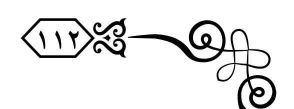
(٢) الكتاني: محمد: موسوعة المصطلح في التراث العرابي،ط١ طبعة: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١: ٢١٧.



مفتاح لتلك العلوم اذ لو ورد في قول المفسر أو الفقيه بأن الآية منسوخة ولم يعرف ذلك المصطلح لما عرف ما يترتب على الآية من أحكام، كونها منسوخة إذ المنسوخ لا يعمل به أو قالوا إنّ الآية مدنية والآية المدنية حكمها أنْ تكون حاكمة على المكية، ومعنى الحاكمة إنّها تتصرف في الآية المكية فلا يعمل بالمكي؛ لأنه متقدم على المدني إذا كانا في موضوع واحد وغيرها من الأمثلة.







المبحث الثالث: مفهوم علوم القرآن ونشأتها وأهميتها

المطلب الأول: مفهوم علوم القرآن:

علوم القرآن مركب إضافي من لفظتين القرآن والعلوم ومن نافلة القول تعريف القرآن؛ لأنه اصبح من الضروريات، التي يعرفها كل مسلم والأفضل الانتقال إلى تعريف علوم القرآن، فقد مرّ هذا المصطلح بمراحل فكان في عصور المتقدمين يطلق على العلوم التي تؤخذ من علوم الشرع كالعقيدة أو الفقه أو الأخلاق أو المعارف العامة حول الإنسان والكون، ثم جعل العلماء هذا العلم المركب اسم علم يراد به معنى خاص يدل على علم خاص غير ما سبق؛ لأنَّ هذا المعنى الجديد يختص بأنه علم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن الكريم[١]، فقد عرفه الزرقاني: بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك[٢]، وعرفه السيد محمد باقر الحكيم بأنه: (جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم)[٣]. وعرف أيضا: بأنه مصطلح لمسائل دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم، كل مسألة تبحث عن شأن من

---

(١) عتر: عز الدين: علوم القرآن ط١-١٩٩٣ مطبعة الصبح دمشق: ٨.

(٢) الزرقاني: محمد عبدالعظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن ط١- ١٩٩٦ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات،الناشر: دار الفكر - بيروت١:٢٠.

(٣) الحكيم: محمد باقر: علوم القرآن ط٣- ١٤١٧هـ المطبعة: مؤسسة الهادي - قم الناشر: مجمع الفكر الإسلامي: ٢٠.



شؤونه غير الذي تبحث عنه مسالة أخرى[١]، ومنهم من عرفه: بأنه سلسلة مباحث القرآن الكريم باستثناء معانيه، وتفسير آياته إذ تلقي نظرة خارجية عليه، وهي مباحث تسبق تفسير القرآن، وتؤلف مباحث (الوحي، تاريخ نزول القرآن، تاريخ جمع القرآن، القراءات، الإعجاز، حفظ القرآن من التحريف) جزءا من مسائله[٢].

والأولى تعريفه بأنه: المباحث الكلية التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه. لا كما ذهب السيد الحكيم رحمه الله وآخرون إلى إطلاق العلوم التي يتناولها؛ لأنَّ بعض الموارد هي ليست من تخصص علوم القرآن.

المطلب الثاني: نشأة وتطور علوم القرآن:

لقد اختلف العلماء حول بدايات هذا العلم فقد ذهب بعض العامة إلى ان أول من ألف في هذا العلم هم علماء السُنة، يقول الزرقاني (١٣٦٧هـ): (إنَّ علوم القرآن كفن مدون استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ثم تربت في حجر ابن الجوزي، والسخاوي، وأبي شامة في القرنين السادس والسابع، ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي، ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي، وجلال الدين البلقيني، ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب

---

(١) معرفة: محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن،ط١-٢٠١١م طبع ونشر: دار التعارف بيروت – لبنان ١: ٤١.

(٢) علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافة والمعارف القرآنية ط٢- ١٣٨٦ق،طبع ونشر: بوستاني كتاب قم – ايران ١: ٩.



كتابي التحبير والإتقان في علوم القرآن السيوطي)[١].

ولكن من تتبع بدايات هذا العلم والمراحل الأولى لتأسيسه يجد أن البذرة الأولى كانت على يد الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام من خلال طرح مصطلحاته اما استرسالا من غير قصد، أو من خلال التعليم المقصود، ومثال الحالة الأولى ما نجده في ما نقله الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: قَالَ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله : (هُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ، وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ، لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْـمَعْرِفَةِ)[٢].

كما نجد كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه قد شحنت بتلك المصطلحات إذ يقول: (فِي القرآن نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، وَعَزَائِمُ وَرُخَصٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَفَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ، وَمُنْقَطِعٌ وَمَعْطُوفٌ، وَمُنْقَطِعٌ غَيْرُ مَعْطُوفٍ، وَحَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ خَاصٌّ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَامٌّ مُحْتَمِلُ الْعُمُومِ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ جَمْعٌ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ مَاضٍ وَمَعْنَاهُ مُسْتَقْبِلٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَمَعْنَاهُ حِكَايَةٌ عَنْ قَوْمٍ آخَرَ، وَمِنْهُ مَا هُوَ بَاقٍ مُحَرَّفٌ عَنْ جِهَتِهِ وَمِنْهُ مَا هُوَ عَلَى خِلَافِ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ فِي تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ قَبْلَ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ بَعْدَ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ آيَاتٌ بَعْضُهَا فِي سُورَةٍ

(١) الزرقاني: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن:٣٩.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي٢: ٥٩٩.



وَتَمَامُهَا فِي سُورَةٍ أُخْرَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ نِصْفُهَا مَنْسُوخٌ وَنِصْفُهَا مَتْرُوكٌ عَلَى حَالِه)[١].

ومثال الحالة الثانية أي التعليم المباشر قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لِقَاضٍ هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْـمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ أَشْرَفْتَ عَلَى مُرَادِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْثَالِ القرآن؟ قَالَ: لَا. قَالَ عليه السلام: إِذاً هَلَكْتَ وَأَهْلَكْت)[٢].

وهذا لم يقتصر على الإمام علي عليه السلام، وإنَّما نجده على يد كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل ونجد اروع صوره عند الصديقة الطاهرة عليها السلام، عندما احتجت على القوم عندما منعوا حقها بفدك بقولها: (أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله مِنْهَا؟! أَمْ تَقُولُونَ: أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثُونَ؟! أَ وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ لَعَلَّكُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القرآن وَعُمُومِهِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؟! ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾)[٣].

يقول السيد حسن الصدر: (لابد من التنبيه على تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في تقسيم أنواع علوم القرآن، فإنه أملى ستين نوعا من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالا يخصه، وذلك في كتاب نرويه عنه من عدة طرائق)[٤].

ويقول مناع القطان عن بدايات ظهور هذه العلوم ودور الإمام علي عليه السلام في تأسيس علوم القرآن بقوله: (ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه فوضع أبو الأسود

---

(١) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ٩٠: ٤.

(٢) مصباح الشريعة: منسوب إلى جعفر بن محمد عليه السلام، ط١- ١٤٠٠ق طبع مؤسسة الاعلمى - بيروت:١٧.

(٣) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار ٢٩: ٢٤٣.

(٤) الصدر: حسن: الشيعة وفنون الإسلام: ٢٥.



الدؤلي بأمر منه قواعد النحو صيانة لسلامة النطق وضبطا للقرآن الكريم، ويعد ذلك بداية لعلم إعراب القرآن)[١].

وهذا ما يسمح به المقام وإلّا هناك عديدٌ من الأدلة والأقوال التي تدل على أنَّ يدَ السبق كانت لأهل البيت عليهم السلام.

المطلب الثالث: أهمية علوم القرآن وآليات الاستفادة منها

أ- أهمية علوم القرآن:

من خلال تعريف علوم القرآن تتضح مكانة وأهميتهُ في الثقافة الإسلامية؛ لأنه يتناول المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي ألا وهو القرآن الكريم، فأهميته نابعة من أهمية ما تبحثه هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن لبعض مباحث علوم القرآن العلاقة الوثيقة والارتباط المباشر ببعض العلوم الإسلامية الأخرى التي تتوقف عليها فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مثالين هما:

١ - علاقة علوم القرآن بعلم التفسير:

ومن المعلوم أنه لا يستطيع أحدٌ أن يعمل بالقرآن إلاَّ إذا فهم معانيه، ولا تُفهم معانيه إلاَّ بمعرفة تفسيره، ولا يستطيع أحدٌ أن يخوض غمار التفسير إلاَّ إذا تسلّح بسلاح علوم القرآن؛ فعلم علوم القرآن إذاً هو مفتاح الدخول إلى تفسير القرآن الكريم، وتفسيرُ القرآن الكريم هو الطريق الموصل في النهاية إلى العمل بالقرآن العظيم، ولا ريب أن العمل بالقرآن هو المقصود الأعظم الذي نزل القرآن من أجله. ونجد ذلك جليا في قول الإمام علي عليه السلام: عندما مر على قاض فقال: (هل



(١) القطان: مناع: علوم القرآن: ١٢.

تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا فقال: هلكت وأهلكت)[١].

وعن أهمية علوم القرآن يقول محمد معرفة: (يكفيك أن تعلم أن ليس باستطاعتك الحصول على حقائق معاني القرآن إلا عبر هذه البحوث، والتي هي مبادئ وتمهيدات لإمكان البلوغ إلى تلك الغاية المنشودة)[٢].

فعلوم القرآن تساعد بشكل فاعل في فهم كتاب الله العزيز، وقد بلغت أهمية العلوم مبلغا بحيث لا يمكن فهم القرآن بشكل دقيق من من دون ملاحظتها، كمباحث أسباب النزول، والمحكم والمتشابه، والقراءات، فالمفسر لا يستطيع الخوض في بيان مراد الله عز وجل الا بعد بيان علاقة الآيات فيما بينها؛ لأنَّ هذه العلاقات فيما بين هذه العلوم حاكمة بعضها على بعض.

٢- علاقة علوم القرآن بعلم أصول الفقه:

لابدّ لِمَن يريد أنْ يستنبط من القرآن أن يعرف علوم القرآن وإلاّ وقع في المحذور فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال لقاضٍ: (هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا قَالَ فَهَلْ أَشْرَفْتَ عَلَى مُرَادِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْثَالِ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَا قَالَ عليه السلام: إِذاً هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ. وَالْمُفْتِي يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَحَقَائِقِ السُّنَن...)[٣]. ولابدّ من النّظر في غريب القرآن، والمحكم والمتشابه، والأمر والنّهي؛ لأهمية ذلك في الاستنباط ففي حديث يذم الإمام

---

(١) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ١: ١٢.

(٢) معرفة: محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن ١: ٤٢.

(٣) النراقي: احمد بن محمد: مستند الشيعة. ط١-١٤١٩هـ المطبعة: ستارة تحقيق الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم- ايران ١٧: ٢٥.



أبو عبد الله عليه السلام من ترك هذه الأمور بقوله: (وَ تَرْكِكُمُ النَّظَرَ فِي غَرَائِبِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفْسِيرِ بِالنَّاسِخِ مِنَ الْمَنْسُوخِ وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْي)(١).

وعليه لابدّ لمن يريد أنْ يستنبطَ من القرآن حكمًا أنْ يكونَ عارفًا وعلى بينة بعلوم القرآن (من أسباب النزول والمكي والمدني) وغيرها من علوم القرآن التي تساعد في فهم كتاب الله.

وتوضيحه من خلال المراحل التي يمر بها المكلف لتحديد الحكم الشرعي ويمكن بيانها على هذا الترتيب:

١- قطع المكلف بالحكم الشرعي من أي طريق حصل له القطع بالحكم سواء أكان عن طريق الوجدان أو النقل أو غيرها وجب العمل بقطعه وهو من البديهيات، فإنَّ القطعَ عقلا مُنجزٌ للتكليف في حالة الإصابة للواقع، ومعذر عند عدم الإصابة للواقع، والمخالفة والتنجيز والتعذير لازمان عقليان للقطع بالحكم الشرعي، ولا تنال يدُ الشريعةِ القطعَ وضعا ولا رفعا، وبما أنَّ المقام هو ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم، وأنَّ علوم القرآن إحدى تلك الظواهر القرآنية فكان من المفيد جدا التعريج على كيفية إفادة الأصولي من علوم القرآن، فالأصولي يتبع أسلوب الاستقراء في تتبع تلك العلوم للخروج بقاعدة كلية تكون في الغالب مطردة بحيث تعم اغلب أبواب الفقه أو كما يعبّر عنها السيد الشهيد الصدر بالعناصر المشتركة في عملية الاستنباط(٢)، فمن خلال تتبع علوم القرآن يستطيع أن يصل إلى قاعدة كلية تحدد الطريق للفقيه، وتكون حجة له بحيث إذا أفتى في شيء قيل له: وما دليلك؟ استطاع أن يشير إلى

(١) الكليني: الكافي ٥: ٦٩.

(٢) ظ: الصدر: محمد باقر: الحلقة الأولى:١٢.



تلك القاعدة، وهو كما يعرف بالعلوم الحديثة من قابليتها للقياس والتقويم والتجربة.
إذاً له - الأصولي- وقفةٌ مع الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وأسباب النزول وغيرها من علوم القرآن يبينها الباحث في محله فلا يمكن تجاهل تلك العلوم لما لها الدور الأساس في بيان كثير من الأحكام من جهة ومن جهة أخرى لما بين الآيات القرآنية من علاقة وثيقة؛ لأنَّ القرآن عبارة عن وحدة متكاملة لا يمكن تجاهل أي جزء منها، وهذا ما سار عليه الأولون وتابعهم عليه المتأخرون، إذ من خلال تتبع علوم القرآن وعلاقاتها بالأحكام الشرعية يستطيع الأصولي الوصول إلى دلالةٍ ربما لا يصل إليها إلا عن طريقها؛ لأنَّ بعض الأحكام أصابها النسخ، وبعضها أصابها التخصيص، وبعضها أصابها التقييد بعد أن كانت مطلقة، وبعضها له سبب نزول وهذا يرجع إلى طبيعة القرآن وحكمة الله عز وجل من حيث مراعاة التدرج في التشريع، فمن هذا لا يمكن الإغماض عن دور علوم القرآن في إرساء مجموعة لا يُستغنى عنها من القواعد الأصولية.

٢- عدم قطع المكلف بالحكم الشرعي وفي هذا الحال يرجع إلى الأدلة الظنية التي ثبت اعتبارها وحجيتها بدليل معتبر من ناحية الشارع، وهو ما يسمى بالحجة بالعرض في مقابل الحجة بالذات، وهو القطع وهذه الطائفة من الأدلة الظنية ثبت اعتبارها وحجيتها بدليل شرعي معتبر أي أنَّ الشارع أحال المكلف إلى العمل بها حال تعذر الطريق الأول، وتسمى عادة بـ(الإمارات) و(الطرق) و(الظنون الخاصة) وذلك مثل (خبر الثقة الواحد)، و(الإجماع)، و(الشهرة) وغير ذلك من الأدلة الظنية التي اعتبرها الشارع وتعبدنا بها، وإلّا لا يمكن تصور وضع الشريعة في حال عدم وجود ما يرجع إليه المكلف حال تعسر الطرائق القطعية، وبعض علوم القرآن



يرجع إلى هذه الأدلة الظنية إذ منها ما يرجع إلى الناسخ والمنسوخ، ومنها ما يرجع إلى تخصيص العام أو تقييد المطلق أو بيان أسباب نزول أو المكي والمدني أو غيرها من علوم القرآن وتعامل هذه الظنون معاملة الظنون الخاصة التي اعتبرها الشارع من حيث الاعتبار والتعويل عليها حال ثبوت كونها حجة في مقام الاستنباط. فلا بد من استقراء مصاديق علوم القرآن والبحث عن ما تنتجه من أحكام شرعية لبناء قواعد كلية تسعف الفقيه حال الاستنباط ويرجع إليها حال وجود حوادث مشابهة إذ لا يمكن تجاهل هذا والوقوف في حيرة عند عدم معرفة واقعة معينة؛ لان القرآن يحوي خزين ثلاث وعشرين سنة من الوحي والتشريع وإرساء دولة قائمة إلى قيام الساعة.

ب- آليات الاستفادة من علوم القرآن:

من خلال تتبع علوم القرآن نجدها تتنوع تبعا لمصدرها أي ان منها ما يعامل معاملة النص، ومنها ما هو قائم على الاجتهاد ويمكن إجمالها بما يأتي:

١- إنَّ جملة من مسائله نقلية لا مجال فيها للرأي، كأسباب النزول الصريحة، ومبهمات القرآن، وفضائل السور، والقراءات التي قرئ بها. فلا مجال للقول بأنَّ حرفا كذا يقرأ بكذا إلّا بأثر، ولا مجال للحكم بأنَّ سبب نزول الآية كذا إلّا بالنقل، والنقلي يستفاد منه في بيان مراد الله عز وجل، وهو يخضع إلى موازين قبول الرواية، فان كانت الرواية صحيحة فهي حجة ووجب العمل بها، وإلا لا تكونُ حجةً ولا يجب العمل بها.

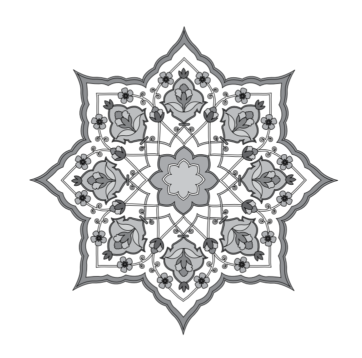
٢- إنَّ جملة منها الأصل فيها نقلي لكن إذا انعدم النقل قام الاجتهاد المبني على النقل كعلم المكي والمدني، قال السيوطي (ت٩١١هـ): (قال الجعبري لمعرفة المكي والمدني



طريقان: سماعي وقياسي فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسي: كل سورة فيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ فقط، أو ﴿ كلا ﴾، أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين[١]، والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة، فهي مكية وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدٌّ فهي مدنية)[٢].

٣- إنَّ بعضًا من علومه مبنيٌّ على الاجتهاد المحض، كعلم تناسب الآي والسور، وعلم إعجاز القرآن، فإن بعضَ المسائل العلمية في علوم القرآن قد تكون من باب الاجتهاد المستند إلى النصوص أو إلى الواقع المرتبط بالمسألة أو إلى غيرها من القرائن التي يستند إليها المجتهد في بيان بعض مسائله وتحريرها.

وخلاصة ما تقدم نجد أن علوم القرآن منه ما كان معتمدا على النقل، فلا يجوز فيه الاجتهاد، وأنَّهُ من يقول برأيه يكون كمن قال في القرآن برأيه، بل هو قول برأيه أما ما لا يتوقف على النقل فلا تترتب عليه آثار إن لم يكن مخالفا لضروري من ضرورات الإسلام أو حقيقية قرآنية ثابتة.



(١) أي سورة البقرة وسورة آل عمران.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن تحقيق: سعيد المندوب ط١-١٩٩٦م المطبعة: دار الفكر- لبنان ١: ٥٦.



المبحث الرابع: نماذج من تأسيس أهل البيت عليهم السلام لمصطلحات علوم القرآن

المطلب الأول: التأسيس على نحو التعليم غير المباشر:

لم ينفكَّ أهلُ البيت عليهم السلام في نشر علوم السماء من خلال خطبهم وأحاديثهم ومجالسهم، فكان في احد أساليبهم هو الإلقاء لهذه المصطلحات لا على نحو التعليم المباشر، وإنّما كان الكلام عنها عرضيًّا كما في كثير من الخطب التي ألقوها عليهم السلام وهذا كان وازعٌ لأصحابهم أنْ يسألوا عن تلك المصطلحات بعد الانتهاء من الخطبة أو الحديث، إذ مَن يَعلم دورَ الرسولِ صلى الله عليه وآله وأهلَ البيت عليهم السلام يعلم أن ما يلقونه من علوم إنما هو عن غاية وقصد، فلا يكون كلامهم اعتباطا، ونذكر أمثلة من كلامهم عليهم السلام التي ذكرت مجموعة من الاصطلاحات وهي كما يأتي:

١- جاء في الكافي: عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: (هُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ، وَتَحْصِيلٌ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ، لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ وَدَلِيلٌ عَلَى الْـمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرهُ، وَلْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ، يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ، وَيَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَبٍ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ

قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْـمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ، فَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وَقِلَّةِ التَّرَبُّص)[1].

فعند الوقوف على فقرات هذا الحديث نجده قد طرح مجموعة من المصطلحات التي لم يكن لها ذكر قبل ذلك، فقد أشارت إلى الظاهر والباطن، والى ظاهرة التنجيم التي كانت سور القرآن تنزل على وفقها، كما نلاحظ في صدره ذكر المجمل والمبين فكان هذا ما يدفع الصحابة للسؤال عن تلك المصطلحات وخصوصا ما مرَّ به المسلمون الأوائل؛ لأنَّهم كانوا بأمس الحاجة لإثبات تلك العلوم على خصومهم وبيانها.

٢- وجاء عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2]: (فَرَسُولُ اللهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللهُ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ، وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِ فَأَجَابَهُمُ اللهُ يَقُولُونَ ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾، وَالقرآن خَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ)[3].

إذ بيّن هنا أيضا مجموعة من علوم القرآن هي: الخَاص وَالعَام، وَالمُحْكَم وَالمُتَشَابِه، وَالنَاسِخ وَالمَنْسُوخ.

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٥٩٨

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد عليهم السلام، ط٢- ١٤٠٤ ق. مكتبة آية الله المرعشي النجفي قم - ايران ١: ٢٠٤.



٣- وجاء عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ صَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، فَقَرَأَ بِهِمْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، فَقَالَ الْـمُنَافِقُونَ: وَالله مَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ القرآن، وَلَوْ أَحْسَنَ أَنْ يَقْرَأَ لَقَرَأَ بِنَا غَيْرَ هَذِهِ السُّورَةِ، قَالَ: فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عليه السلام: (وَيْلَهُمْ إِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، وَفَصْلَهُ مِنْ وَصْلِهِ، وَحُرُوفَهُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَالله مَا حَرْفٌ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِيمَنْ أُنْزِلَ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ نَزَلَ، وَيْلَهُمْ أَمَا يَقْرَءُونَ إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى؟ وَالله عِنْدِي وَرِثْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله، وَوَرِثَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَيْلَهُمْ وَالله إِنِّي أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فِيَ ﴿ وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ ﴾، فَإِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله فَخَبَّرَنَا بِالْوَحْيِ فَأَعِيهِ، وَيَفُوتُهُمْ فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا ما ذا ﴿ قالَ آنِفاً ﴾)[1].

فقد ذكر الإمام عليه السلام مجموعة من علوم القرآن هي: الخَاص وَالعَام، وَالُمحْكَم وَمُتَشَابِه، وَالنَاسِخ وَالَمنْسُوخ، وأسباب النزول، وهو لم يكن على النحو المباشر في تقرير هذه العلوم وإنّما كان ردا على ابن الكواء.

٤- جاء في الكافي: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (نَزَلَ القرآن بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةِ)[2].

وهو أسلوب من أساليب الخطاب، التي يجب على المفسر أن يعرفها وهو ما يسمى بالأشباه والوجوه.

٥- قال جابر وسمعته يقول: (إنّ القرآن فيه محكم ومتشابه، فإمّا المحكم فنؤمن به

(١) الصفار: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١: ١٣٥.
(٢) الكليني: الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٣٠.



ونعمل به وندين به، وإمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، وهو قول اللهّ في كتابه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾)[١].

وهنا بعد أنْ بيّن الإمام عليه السلام هذه المصطلحات فانه يبيّن ما يترتب على علوم القرآن من آثار عملية للمفسر والفقيه إذ قال: المحكم نعمل به وندينّ به؛ لأنَّ المحكم حاكم على المتشابه وهو المعول عليه، فيما إذا ورد حكمان مختلفان في القرآن في موضوع واحد وبينهما علاقة النسخ.

المطلب الثاني: التعليم المباشر لعلوم القرآن:

وهو ما كان مقصودا منهم عليهم السلام، وأنهم كانوا يبادرون من يتصدى إلى علم التفسير أو الإفتاء، ويسألونه عن علمه بعلوم القرآن، وبما يجيده من تلك العلوم، ومن هذه الأمثلة:

١- فقد جاء في تفسير العياشي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنَّ علياً عليه السلام مرَّ على قاضٍ فقال له: (هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا فقال: هلكت وأهلكت، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه)[٢].

٢- جاء عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام في مخاطبته لقوم من المتصوفة: (أَخْبِرُونِي أَيُّهَا النَّفَرُ أَلَكُمْ عِلْمٌ بِنَاسِخِ القرآن مِنْ مَنْسُوخِهِ وَمُحْكَمِهِ مِنْ مُتَشَابِهِهِ؟ الَّذِي فِي مِثْلِهِ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَالُوا لَهُ: أَوْ بَعْضِهِ فَأَمَّا

(١) الأصول الستة عشر: جمع من العلماء ط١- ١٣٦٣ ش طبع: دار الشبستري قم - ايران: ٦٦.

(٢) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ١٢:١.



كُلُّـهُ فَـلاَ، فَقَالَ: لَهُـمْ فَمِنْ هُنَـا أُتِيتُم..... فَبِئْسَـمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْـهِ وَحَمَلْتُمُ النَّـاسَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْـلِ بِكِتَـابِ الله عَـزَّ وَجَلَّ وَسُـنَّةِ نَبِيِّهِ صـلى الله عليه وآلـه وَأَحَادِيثِهِ الَّتِـي يُصَدِّقُهَا الْكِتَـابُ الْـمُنْزَلُ وَرَدِّكُـمْ إِيَّاهَـا بِجَهَالَتِكُـمْ، وَتَرْكِكُـمُ النَّظَـرَ فِي غَرَائِـبِ القرآن مِنَ التَّفْسِـيرِ بِالنَّاسِـخِ مِـنَ الْـمَنْسُوخِ، وَالْـمُحْكَمِ وَالْـمُتَشَابِهِ، وَالْأَمْـرِ وَالنَّهْي...... وَكُونُـوا فِي طَلَـبِ عِلْـمِ نَاسِـخِ القرآن مِـنْ مَنْسُـوخِهِ وَمُحْكَمِهِ مِـنْ مُتَشَـابِهِهِ وَمَا أَحَلَّ اللهُ فِيـهِ مِمَّـا حَـرَّمَ، فَإِنَّـهُ أَقْرَبُ لَكُمْ مِـنَ الله وَفِي أَبْعَـدُ لَكُمْ مِـنَ الْجَهْلِ وَدَعُـوا الْجَهَالَةَ لِأَهْلِهَـا- فَـإِنَّ أَهْلَ الْجَهْـلِ كَثِيرٌ وَأَهْـلَ الْعِلْـمِ قَلِيل)[١].

٣- جاء عن ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قال أبو جَعْفَرٍ عليه السلام: (القرآن يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخ)[٢].

فمن خلال هذه النصوص المتقدمة والواضحة الدلالة نعرفُ أنَّ العلم بعلوم القرآن هي عدة المفسر والفقيه، فلا يمكن ان يخوض في هذه العلوم ما لم يكن له حظ منها.

المطلب الثالث: مصطلحات علوم القرآن التي كانت عن نحو سؤال:

إن أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يبادرون إلى سؤال الأئمة عليهم السلام لبيان بعض المصطلحات، فنذكر هنا بعض الروايات كمثال منها:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ، فَأَجَابَنِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كُنْتَ أَجَبْتَنِي فِي هَذِهِ الْـمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٥: ٦٦.

(٢) المصدر نفسه ٨: ٢٦٩-٢٧٠.



بَطْناً وَلِلْبَطْنِ بَطْناً وَلَهُ ظَهْرٌ، وَلِلظَّهْرِ ظَهْرا يَا جَابِرُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ القرآن إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُنْصَرِفٌ عَلَى وُجُوهٍ)[1]. وأراد الإمام من قوله (يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ) هو مصطلح تناسب الآي والسور. وكذلك يذكر مصطلح الأشباه والنظائر فمع الرجوع إلى أقدم كتاب ألّف في هذا المضمار نجد أنّ الإمام كان سابقا.

٢- عن سليم بن قيس الهلالي: (قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ القرآن وَمِنَ الرِّوَايَةِ عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وآله ثُمَّ سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ القرآن وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله تُخَالِفُ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ أَفْتَرَى [النَّاسَ] يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّدِينَ وَيُفَسِّرونَ القرآن بِرَأْيِهِمْ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا سُلَيْمُ قَدْ سَأَلْتَ فَافْهَمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلًا وَصِدْقاً وَكَذِباً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَخَاصّاً وَعَامّاً وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهَماً وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ [فِيهِمْ] خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ حِينَ تُوُفِّيَ رَحْمَةُ الله عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّمَا يَأْتِيكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّداً فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا صَاحِبُ رَسُولِ الله صلى الله عليه



(١) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ٢: ٣٠٠.

وآله رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَكْذِبُ وَلَا يَسْتَحِلُّ الْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنِ الْـمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ [فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَإِن ْيَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ] وَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَ[النِّفَاقِ] وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَكَلُوا بِهِمْ [مِنَ] الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْـمُلُوكِ [فِي] الدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ فَهَذَا أَوَّلُ الْأَرْبَعَةِ وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله شَيْئاً فَلَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَهِمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً وَهُوَ فِي يَدِهِ يَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَلَوْ عَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ لَمْ يَقْبَلُوا وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهِمَ [فِيهِ] لَرَفَضَهُ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله شَيْئاً أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ نَهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ [حَفِظَ] الْـمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ [إِذْ سَمِعُوهُ] لَرَفَضُوهُ وَرَجُلٌ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى الله وَلَا عَلَى رَسُولِهِ بُغْضاً لِلْكَذِبِ وَتَخَوُّفاً مِنَ الله وَتَعْظِيماً لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وَلَمْ يُوهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَهُ وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ وَحَفِظَ النَّاسِخَ [مِنَ الْـمَنْسُوخِ فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ]وَرَفَضَ الْـمَنْسُوخَ وَإِنَ أَمْرَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَنَهْيَهُ مِثْلُ القرآن نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ وَعَامٌّ وَخَاصٌّ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ كَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ مِثْلُ القرآن يَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ وَمَا عَنَى بِهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله)[1].

فالـذي يدقـق في الروايـة يجـد أَنَّهُ ذكـرت مجموعة من علـوم القـرآن، وانها ترجع



(١) الهلالي: سليم بن قيس: كتاب سليم ط١-١٤٠٥هـ الناشر: الهادي إيران- قم ٢: ٦٢٠- ٦٢٣.

مـن حيـث السـبق الزمنـي إلى أمير المؤمنين عليه السـلام الذي استشـهد في سـنة ٤٠ مـن الهجرة.

٣- عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَا مِنَ القرآن آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ فَقَالَ عليه السلام: (ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ، وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ، مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى، وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كَمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْ ءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ قَالَ اللهُ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ نَحْنُ نَعْلَمُهُ)[١].

وهنا يركز الإمام على مصطلح من مصطلحات علوم القرآن الا وهو الجري والذي يعني أن القرآن(يجري في الغائب كما يجري في الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال)[٢] إذ يعد هذا من مختصات الإمامية.

٤- وجاء عن أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الله الْبَرْقِيُّ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: كَيْفَ اخْتَلَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي الْـمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟ فَقَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الْـحَدِيثَ فَيَغِيبُ عَنِ النَّاسِخِ وَلَا يَعْرِفُهُ فَإِذَا أَنْكَرَ مَا يُخَالِفُ فِي يَدَيْهِ كَبُرَ عَلَيْهِ تَرْكُهُ، وَقَدْ كَانَ الشَّيْءُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَيَعْمَلُ بِهِ زَمَاناً ثُمَّ يُؤْمَرُ بِغَيْرِهِ فَيَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ حَتَّى قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله إِنَّكَ تَأْمُرُنَا بِالشَّيْءِ حَتَّى إِذَا اعْتَدْنَاهُ وَجَرَيْنَا عَلَيْهِ أَمَرْتَنَا بِغَيْرِهِ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَنْهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ ﴿قُلْ ما كُنْتُ

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١: ١٩٦.

(٢) الطباطبائي: القرآن في الإسلام:٦٦.



بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ... إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِين﴾)[١].

ففي هذا الحديث تتجلى معرفة أهمية الناسخ والمنسوخ، وخصوصاً لما يترتب عليه من جانب عملي يتوجب على المكلف معرفة تكليفه الواقعي، فالإمام هنا بيّن أن احد أسباب الاختلاف في الحكم الشرعي هو غياب معرفة الناسخ والمنسوخ.

٥- وجاء في بصائر الدرجات: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الْـحَسَنِ عليه السلام بِمَكَّةَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكَ لَتُفَسر مِنْ كِتَابِ الله مَا لَمْ نَسْمَعْ بِهِ فَقَالَ أَبُو الْـحَسَنِ عليه السلام: (عَلَيْنَا نَزَلَ قَبْلَ النَّاسِ، وَلَنَا فُسِّرَ قَبْلَ أَنْ يُفَسر فِي النَّاسِ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ حَلالَهُ وَحَرَامَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَسَفَرِيَّهُ وَحَضرِيَّهُ، وَفِي أَيِّ لَيْلَةٍ نَزَلَتْ كَمْ مِنْ آيَةٍ وَفِيمَنْ نَزَلَتْ، وَفِيمَا نَزَلَتْ فَنَحْنُ حُكَمَاءُ الله فِي أَرْضِهِ وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِه...)[٢].

هنا تقرير لأنواع النزول فقرر السفري والحضري، والليلي وغيره، وأسباب النزول وشخوصه.

٦ـ تفسير العياشي: عن أبي محمد الهمداني، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سألته عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه؟ قال: (الناسخ الثابت، والمنسوخ ما مضى، والمحكم ما يعمل به، والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا)[٣].

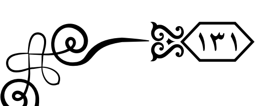
---

(١) البرقي: المحاسن ٢: ٢٩٩.

(٢) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١: ١٩٨.

(٣) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ١: ١٠.





الخاتمة

نحمدك اللهم على ما أنعمت علينا من نعمة الولاية، ونسألك التمام إلى النهاية، واصلي واسلم على محمد اعظم آية، وعلى آله سبيل النجاة من الغواية، فبعد هذه الرحلة التي كانت على عجالة في بيان الحق من عظيم شأن آل البيت عليهم السلام وبيان يد السبق لهم في كل فن وعلم، وقفنا اليوم على منهل من مناهلهم العظيمة، التي تظهر عصمتهم وعلمهم الرباني في مجال علوم القرآن، وكيف ارسوا معالمه، وكيف حثوا أصحابهم على اتباع ما القوه من أصول ليفرع عليها أصحابهم، فهذا نهجهم وديدنهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وقد خرج الباحث بنقاط هي ليست بالجديدة على أهل بيت طهرهم الله، ولكن أحببت أن أثبتها في هذه الوريقات وهي:

١ - إنَّ المصطلح القرآني أسس له القرآن الكريم نفسه، وقد بيّنا ذلك من خلال أنَّ الشارع اخترع بعض المصطلحات التي لم تكن معلومة لدى الناس.

٢- إنَّ أثر أهل البيت عليهم السلام لم يقتصر على بيان الحلال والحرام، وانما كان على جميع المستويات، ومن تلك المستويات هو علوم القرآن لما لها من أهمية على الصعيد العقدي والصعيد العملي الفقهي، فقد كان دورهم هو التأسيس والتبيين والتعليم لها.

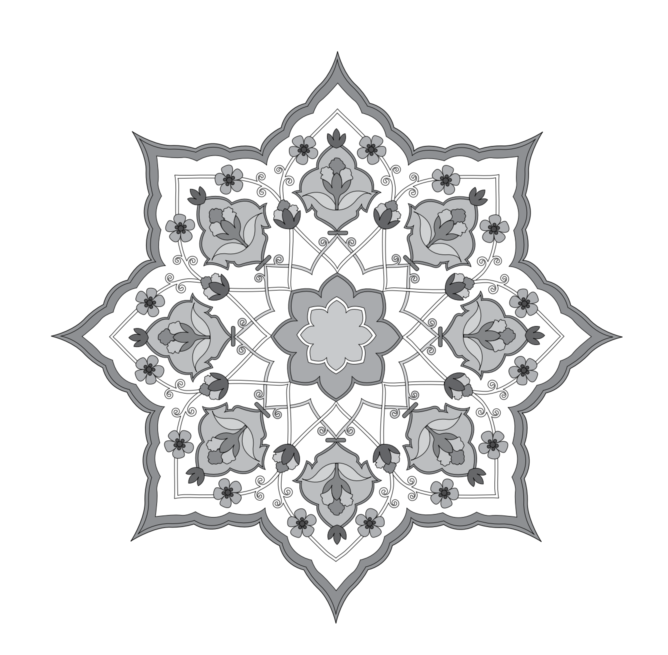
٣- لم يكن علم مصطلح علوم القرآن قد دون بعلم مستقل على زمن المعصومين لكن نجده حاضرا في كلماتهم وفي صدور أصحابهم، وإنَّ عدم التدوين لا يعد عدم سبق لهم.



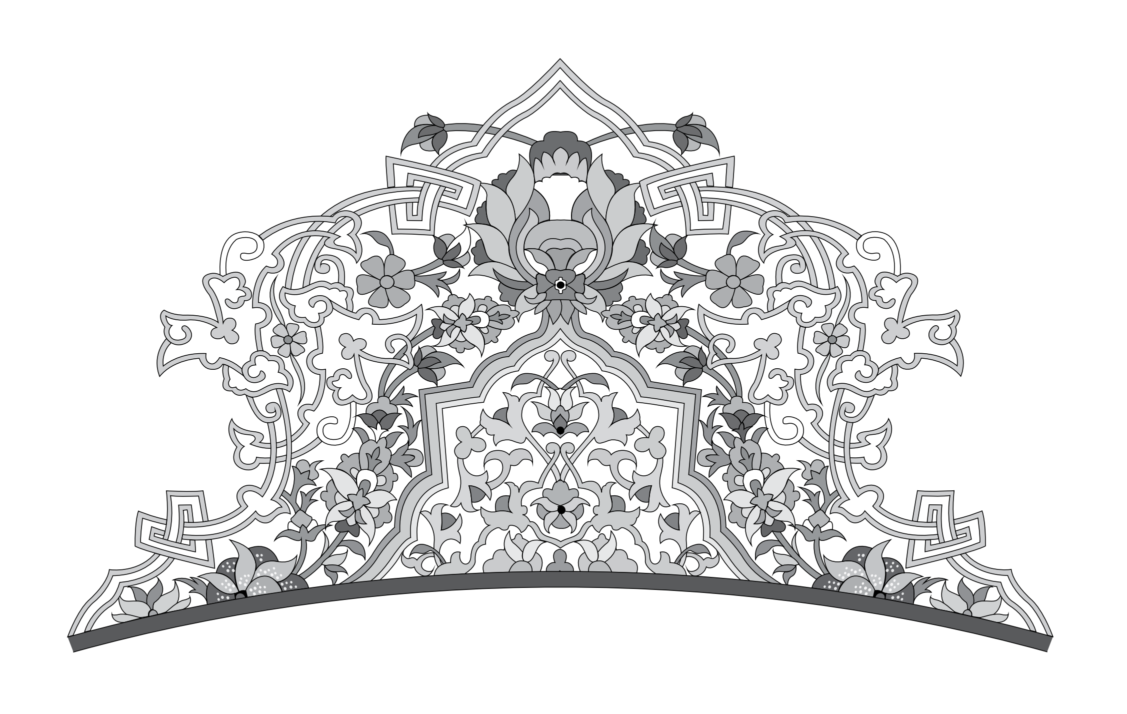


٤- إنَّ هناك آثاراً تترتب على العلم بعلوم القرآن لما لهذه العلوم من نتائج تؤثر في فهم القرآن الكريم؛ لإنَّ علاقة الآيات فيما بينها حاكمية.

٥- تبين إنَّ ما ادعاه بعضُ من كتب عن علوم القرآن مثل الزرقاني عار عن الصحة، فأئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم كانوا السابقين في هذا الفن.

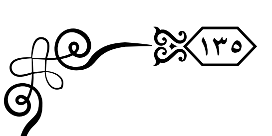






السمع في القرآن الكريم

دلالته ومعناه



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، والصلاة والسلام على النبي المختار، واله الطيبين الاطهار، وصحبه المنتجبين الأخيار.

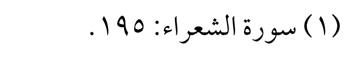
(ربنا عليك توكلنا وإليك المصير)

وبعد...

في هذا البحث نلتقي اليوم ضيوفاً مباركين حول مائدة القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي وفدَّ الدنيا منذ حوالي ألف وأربعمائة عام، والذي ألقاه (روح القدس) على قلب الرسول صلى الله عليه وآله؛ ليكون من المنذرين ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين﴾[1]، لننهل من هذا الفيض الرباني الذي عجزت فحول الفصاحة والبلاغة عن مجاراته.

وهذه الصفحات التي نطالعها تحت عنوان (السمع في القرآن الكريم) لا تزعم لنفسها: إنّها تقيّم القرآن، أو تفسره، أو تنظم بحثًا عنه إنَّها تلقي السمع لا اكثر وترسل البصر وراء موكب من آياته الباهرات.

فمذ تفتحت أزهار عقلي، ونفضت غبار الجهل عن كتفي، كان القرآن يغري روحي وعقلي، ومما أوقفني متأملاً لفظة السمع في القرآن، فرحت أجول الفكر، ترى ما معناها وما الدلالات خلف هذه اللفظة؟ وطالما ذكرها في موطن التفكر والهداية !



(١) سورة الشعراء: ١٩٥.



فهنا وجدت نفسي حائرًا، أمام هذا البحر الذي لا يُبلغ غوره، فعمدت إلى كتب التفسير بالبحث والتقصي، فوجدت نفسي في حديقةٍ غناء بأريج الوحي وهذا ما دفعني إلى كتابة بحث في هذا الموضوع مستمداً العون من الله عز وجل في خدمة الدين وما توفيقي إلا بالله.

فهذا البحث هو محاولة جادة انطلقت من القرآن الكريم للوقوف على جانبه الإعجازي لهذه المادة (السمع) في القرآن الكريم وأبعادها المعنوية؛ لأنَّ القرآن جاء يخاطب النفوس والعقول، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، فهو المعجزة الوحيدة التي جاءت عقليَّة بخلاف معجزات بني إسرائيل، فأنّها كانت كلها مادية، مع أنَّها هي عين الرسالة، وهذا يدل على مقام المرسل - الأمة العربية - وقت البعثة فمن هنا تتجلى أهمية هذا البحث.

وانتظم البحث في ثلاثة مباحث، تناول الباحث في المبحث الأول السمع في اللغة، وما يصاحب هذه اللفظة من تقلبات، واعتمدت كتب اللغة مثال: لسان العرب وتاج العروس ومجمع البحرين، وكذا الجانب اللغوي في كتب التفسير، ثم عرجت إلى بيان اللفظة بالاصطلاح، واعتمدت كتب التفسير في بيانها وكيف أنَّها قد أفادت معانيَ مختلفة، وكان من الطبيعي أنْ ينظر السمع في أدبنا العربي، وكيف تغنّى العرب بهذه اللفظة في لغتهم وإيقاعها في نفوسهم، وكيف إنّها قد أفادت معاني مختلفة، وكان هذا لما للقرآن الكريم من علاقة مع اللغة العربية فهو جاء هاديًا ودليلًا وشاهدًا على دعوى الرسول محمد صلى الله عليه وآله مستعملات تلك القوالب اللفظية التي برع العرب في نقل أفكارهم من خلالها.



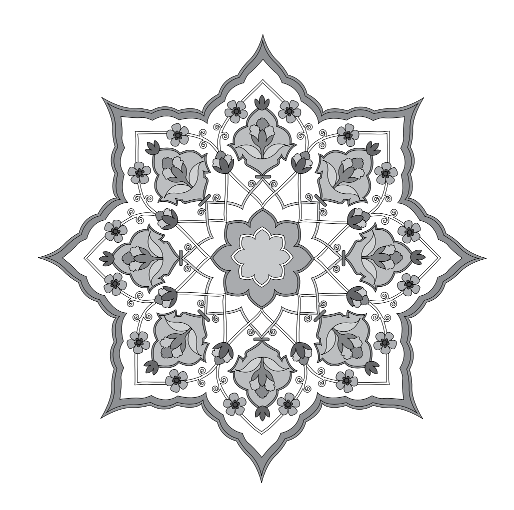
إمّا المبحث الثاني فقد تناولت السمع في القرآن الكريم وصور ورودها إذ أنَّها

وردت تارة صفة لله تعالى، وأخرى جارحة للإنسان مع ذكر الجن واشتراكهم في الاستماع إلى القرآن الكريم مع بيان أبعاد كل من هذه الصور وأثرها في النفوس وعلى المتلقي، وكان اعتمادنا على كتب التفسير في إثبات هذه المعاني، وحاولت الابتعاد عن التفسير بالرأي، فكان هذا الفصل غنيًا بالمعارف الإلهية.

وأما المبحث الثالث والأخير كان ميدانياً عملياً للسمع، إذ وقفنا على موقف الشريعة من السمع، وكيف أنَّها جعلت له حقوقاً وواجبات ثم عرجنا بالوقوف على الجانب العلمي لهذه الحاسة التي اكرمنا الله بها، وهي دليل على إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز العلمي.

ثم ذكرنا أنَّ السمع مصدر من مصادر الهداية مع ذكر جملة من الأدلة التي وردت في القرآن الكريم حول هداية الناس وتحدثنا في خاتمة البحث عن اهم النتائج التي توصلنا إليها.

والله من وراء القصد





المبحث الأول: السمع في اللغة والاصطلاح والأدب العربي

المطلب الأول: السمع في اللغة:

جاء في لسان العرب: (السمع) حسّ الأذن[١]، وعرّفه الراغب: هو قوة مودعة في الأذن به تدرك الأصوات، وفعله يقال: السمع أيضًا[٢]، وسَمِعَهُ سَمعًا وسمعًا وسَماعاً وسَماعة وسَماعِية، وقال بعضهم: السَّمْعُ المصدر، والسِّمْعُ الاسم، والسَّمعُ أيضاً: الأذن والجمع أسماع، واستمع إليه أصغى.

وقد يستعمل بمعنى القبول والعمل بما يسمع[٣]؛ لأَنَّهُ إذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع، وسمعه الصوت واسمعه: استمع إليه وتسمع إليه: أصغى، فإذا أدغمت قلت اسمع إليه. والمِسْمَعة والمِسْمَع والمَسْمَع: الأذن، وقيل المَسمع فرقها الذي يسمع به ومدخل الكلام فيها: يقال فلان عظيم المسمعين والسامِعَتين الأذنان من كل شيء ذي سمع، أي به قوة على إدراك المسموع.

وقد يستعمل بمعنى أجبت، ومنه: سَمع الله لمن حمد، أي أجاب من حمد وتقبله، يقال: اسمع دعائي أي اجب؛ لأنَّ غرض السائل الإجابة والقبول، قال أبو زيد:

---

(١) ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب ط- بلا ١٩٥٥ م دار صادر بيروت ٨: ١٦٢ والطريحي: فخر الدين: مجمع البحرين تح: احمد الحسيني دار الكتب العالمية بيروت ٤:٣٤٧.

(٢) مفردات الفاظ القرآن: ط١-١٩٩٦م تح صفوان عدنان الدار الشامية: ٤٢٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٨: ١٦٣.



دعـوت الله، حتى خفت أنْ لا   يـكـون الله يـسـمـع مـا أقــول[1]

واسمع به، وما اسمعه على التعجب، والسميع من الصوت أي المسموع. والسمـع: ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ويقال ساء سمعاً فأساء أجابه أي لم يسمع حسـناً، ورجل سمّاع أي كثير الاستماع لما يقال وينطق به، والسمع والسمع والسَماع، كـله: الذكر المسموع الحسن الجميل.

و يستعمل بمعنى الذكر يقال: ذهب سمعه في الناس وصيته أي ذكره، وقال اللحياني[2]: هذا أمر ذو سمع وذو سماع إما حسن وإما قبيح، ويقال سمع به إذا رفعه من الخمول ونشـر ذكره.

والسماع: ما سمعت به فشاع وتكلم به، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع. والسماع: الغناء، والمسمعة: ومن أسماء القيد المسمع.

ويستعمل بمعنى الشتم يقال: سمّع به إذا اسمَعه القبيح وشتمه، تسامع به الناس واسمعه الحديث واسمعه أي شتمه، وسمع بالرجل: أذاع عنه عيباً وندد به وشهره وفضحه.

والسمعة: ما سمع به من طعام أو غير ذلك رياء ليسمع ويرى، وتقول فعله رياء وسمعه أي ليراه الناس ويسمعوا به. والتسميع. التشنيع.

ويستعمل بمعنى الطول إذ يقال: سمع الأرض: طولها. قال ابن السكيت: يقال لقيته بين سمع الأرض وبصرها أي بأرض ما بها احد[3].



---

(١) هو لشمير بن الحارث نوادر أبي زيد: ١٢٤، والزاهر ١: ١٥٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٨: ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٨: ١٦٥.

المطلب الثاني: السمع في الاصطلاح:

يرد السمع في اصطلاح القرآن الكريم على أوجه عدة:

الوجه الأول: سمع الأذن وإدراك المسموعات، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّ﴾[١]، والمنادى النبي صلى الله عليه وآله، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]، أي جعلنا له القدرة على السمع أو القدرة على إدراك المسموعات[٣].

الوجه الثاني: سمع القلب: وهو قبوله للمسموع، قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[٤]، أي لم يطيقوا سمع الإيمان بقلوبهم، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٥] أي سمع الإيمان بالقلب[٦].

الوجه الثالث: صفة من صفات الله عز وجل، والمراد به علمه بالمسموعات، فلا يعزب عن اداركه مسموع، وان خفي وهو يسمع بغير جارحة[٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٣.

(٢) سورة الإنسان: ٢.

(٣) المغرابي: محمد الحسني بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن تح: عبد العزيز سيد الأهل ط٢ -١٩٧٧ م دار العلم للملايين:٢٤٧، الكرباسي: محمد جعفر إبراهيم: الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء، ط١ مطبعة النجف: ٢٣٧.

(٤) سورة هود: ٢٠.

(٥) سورة الكهف: ١٠١.

(٦) ابن منظور: لسان العرب: مادة (سمع) ٨: ١٦٤.

(٧) المغرابي: قاموس القرآن: ٢٤٧.



اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[١]، ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[٢]، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٣]، فهو سميع ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بخلقه فليس كمثله شيء[٤].

الوجه الرابع: الإصغاء: نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾[٥]، إذ (يفهم منها أنَّ الشياطين يحاولون معرفة أخبار الملأ الأعلى إلا أنه لا يسمح لهم بذلك)[٦]. وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[٩].

الوجه الخامس: دقة السمع وشدته، قال تعالى: ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِر بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾[١٠]، أي ما أدق علمه بما يبصر ويسمع، وقال تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِر يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾[١١]، أي ما اصدق سمعهم وبصرهم في هذا اليوم[١٢].

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة المجادلة: ١.

(٣) سورة الزخرف: ٨٠.

(٤) لسان العرب: ٨: ١٦٢.

(٥) سورة الصافات: ٨.

(٦) الشيرازي: مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل١٤: ٢٩٠.

(٧) سورة الإنسان: ٤٧.

(٨) سورة محمد: ١٦.

(٩) سورة يونس: ٤٢.

(١٠) سورة الكهف: ٢٦.

(١١) سورة مريم: ٣٨.

(١٢) المغرابي: قاموس القران: ٢٤٧.



الوجه السادس: الفهم(١): قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (٣)، أي فهمنا وارتسمنا، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٤)، يجوز ان يكون معناه فهمنا وهم لا يفهمون(٥).

الوجه السابع: بمعنى القبول والإجابة، قال تعالى: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾(٦)، فاسمعوا أريد به اقبلوا وأجيبوا، ومنه قوله سمع الله لمن حمد أي: قبل حمد من حمده(٧).

فهذه ابرز المعاني التي جاء بها القرآن الكريم، ولكل من هذه المعاني التي اطلعنا عليها صفة خاصة في استعمالها، وكيف وهو كتاب الله عز وجل المعجز، وسوف نطلع عليها ان شاء الله من خلال هذا البحث.

المطلب الثالث: السمع عند العرب قبل الإسلام:

قد تسأل لماذا نبحث حاسة السمع في الأدب العربي وخاصة قبل الإسلام؟

لقلت: قد اقتضت حكمة الله أنْ تكونَ معجزةُ كلِّ رسولٍ - وهي من مستلزمات

(١) الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن:٤٢٤.

(٢) سورة الأنفال: ٣١.

(٣) سورة الإنسان: ٤٦

(٤) سورة الأنفال: ٢١.

(٥) الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن: ٤٢٥

(٦) سورة البقرة: ٩٣.

(٧) الطبرسي: الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القران ط٢ بيروت ١: ١٦٢.



النبوة – مما هو شائع في عصره، ومما تهالكوا عليه، وبرعوا فيه؛ ليكون ذلك ابلغ في تأييد الرسول وأقوى في الإلزام.

فمعجزة موسى عليه السلام، هي العصا، التي انقلبت أفعى، وابتلعت عصي السحرة وحبالهم، لِما بَرِع فيه المصريون إذ ذاك في السحر، ومعجزة عيسى عليه السلام بإحياء الموتى ومعالجة المرضى؛ لأنهم برعوا في الطب.

اما معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله التي تحدى بها العرب، وهم الذين اشتهروا بالفصاحة، وبرعوا في فنون القول[١]، فإننا إنْ قرأنا اللغة العربية ودرسنا أدبها ظهر لنا من دون ريب أنَّ لا يمكن ان يكون في الوجود لغة انسب من لغتنا لأداء أفكار السماء، والإفصاح عن معاني العلم الإلهي، فلها من القوة على التأثير في قلوب السامعين، فباجمل الصغيرة من هذه اللغة تؤدى المعاني الكبيرة، التي تعجز غيرها من اللغات عن أدائها، والى مثل هذه اللغة كانت تحتاج معاني القرآن الكريم، فمن حكمة الله البالغة ورحمته الشاملة بعباده اختار لهم لغة العرب على غيرها للنبوة العالمية[٢].

فمن هنا جاء القرآن الكريم مجارياً لهم ومتحدياً لهم مما يلزمنا بالاطلاع على تأريخ الأدب العربي، إذ إنَّ للعرب في جاهليتهم منهجاً في إرسال أبنائهم إلى البادية لينشأ أولادهم افصح لساناً واصح جسماً وأصفى ذكاء[٣]؛ لأنهم كانوا يحرصون على تعلم الاستماع فمما أثر عنهم: (تعلم حسن الاستماع كما تعلم

(١) الطبرسي: الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القران ١: ١٦٢.

(٢) طبارة: عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن الكريم، ط ١٤– ١٩٨٥م، دار العلم للملايين بيروت – لبنان: ٢٢.

(٣) الزوزني: أبو عبد الله الحسين بن احمد: شرح المعلقات العشر،١٩٧٩م دار مكتبة الحياة بيروت لبنان: ٩.



حسن الكلام)[١]، وكذا (الإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه)[٢]، وسأل جماعة الرسول صلى الله عليه وآله تعجبا عن فصاحته، فقال صلى الله عليه وآله: (...وَ مَا يَمْنَعُنِي وَأَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ وَأَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ بِلُغَتِي وَهِيَ أَفْضَلُ اللُّغَاتِ بَيْدَ أَنِّي رُبِّيتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْر)[٣]. فظاهر الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وآله بيّن أهمية البيئة وحسن التلقي في صياغة الملكة الكلامية.

كما كان للعرب في الجاهلية مواسم عامة يؤمها أصحاب المقاصد من جميع القبائل، يسمونها أسواقًا، وكان من اعظمها سوق عكاظ، يقصده كثير من العرب من كل حدب وصوب، وكان الشعراء والأدباء ممن يقصده مما يدل على رقي الأمة، فكان الشعراء يغتنمون الفرصة في اجتماع هذا الحشد الكبير من أبناء القبائل فينشدون شعرهم على الجمهور المحتشد، وكانوا يعنون بالأدب والشعر حتى طاروا به، واصبح سمة لهم، فطرقوا به كل باب من غزل ومديح ورثاء، فكان للسمع نصيب من شعرهم.

فهذا الأعشى يعرض لنا صورة جميلة عن (السمع) ومدى تأثره بالأصوات حيث يقول:

تَسمَعُ للحَلِي وَسْوَاساً إِذَا انصرفَتْ كَمَا استَعَانَ بريحٍ عِشرقٌ زَجِلُ[٤]

فقد أعطى حياة لأصوات الحلي، وكيف أنَّها أثرت في سمعه.

ونتنقل إلى لوحة أخرى يرسمها طرفة بن العبد لناقته حين يصف سمعها فيقول:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية تح: مصطفى السقا وجماعته ط٣-١٩٧٣ دار الفكر بيروت - لبنان١: ١٦٣.

(٢) ابن المقفع: عبد الله بن المبارك: الأدب الكبير والأدب الصغير ط٢_١٩٨٦ دار الرسالة بيروت: ١٩٩.

(٣) المفيد: محمد بن محمد: الإختصاص: ١٨٧.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ١٦٢:١.



وصادقتا سمع التوجس للسرى لهجس خفيٍ أو لصوتٍ مندد

مؤللتان تعرف العشق فيهما كسامعتي شاةٍ بحومل مفرد[(١)]

فهي لها أذنان محددتان تحديد الآلة تعرف نجابتها فيها وهما كأذني ثور وحشي منفرد فهي اشد فزعاً وتيقظاً واحترازاً.

وكذا قول عمرو بن معد يكرب:

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني، واصحابي هجوع[(٢)]

فالسمع هنا الواسطة التي تنتقل إليه ما يجعله سهران وأصحابه هجوع، أو مصدر فرح أو مصدر حزن.

وهذا النابغة الذبياني يبرر موقفه للنعمان معتذراً له إذ يقول:

أتاني - أبيت اللعن - إنَّك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع[(٣)]

فقد أراد أنَّ من الأخبار ما يضايق السمع ولا طاقة لها على السماع.

وهذا عبد غوث يصف حاله عندما قتله الثأر في الجاهلية إذ يقول:

أحقاً عباد الله أنْ لست سامعًا نشيد الرعاء المعزبين المتاليا[(٤)]

فلم يسمع منهم العهود التي اعطوها إياه، فهو يخاطبهم ويذكرهم بها، وهذا امرؤ القيس يتذكر في قصيدته صورته القديمة إذ كان يثير إعجاب النساء ويقارنها بصورته حيث تقوس ظهره:

(١) الزوزوي: أبو عبد الله الحسين: المعلقات الشعر: ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه:١٠٥.

(٣) القيسي: نوري حمودي: تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٢٧.

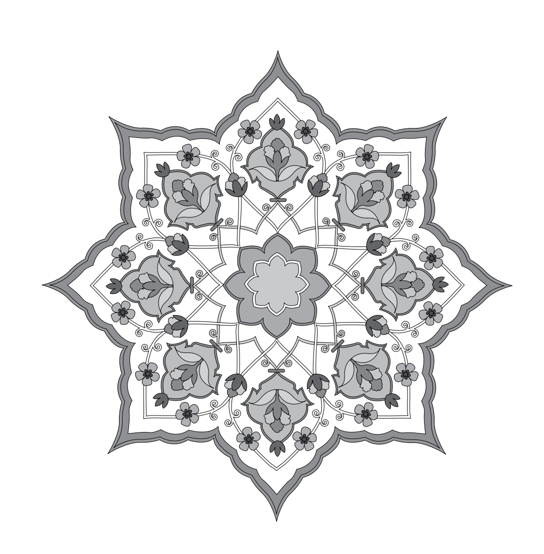
(٤) المصدر نفسه.



يـرعـن إلى صـوتي إذا مـا سمـعنه كما ترعوي عيط إلى صوت اعيسا [١]

من هذا المسح السـريع لأدبنا العربي تظهر العلاقة الوثيقة بين البناء القرآني والأدب العربي إذ جاء القرآن على منهج العرب متحدياً لهم في لغتهم التي برعوا بها.

فكان للقرآن الكريم وقعٌ في نفوسهم، وكان يأخذ بمجامع قلوب سامعيه حتى من ألد الخصوم، فهذا الوليد بن المغيرة سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يتلو بعض أي الذكر الحكيم، فصرَّح إلى نفر من قريش بقوله: (سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آنِفاً كَلَاماً مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً[٢]، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ[٣]، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى...)[٤]. فهكذا عجزت العرب عن معارضته لما فيه من الإعجاز لهم، فمضوا يشهرون سيوفهم ويغمدون ألسنتهم.



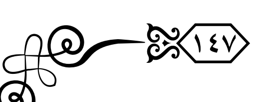
(١) القيسي: نوري حمودي: تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٢٧.

(٢) الطلاوة بالتثليث: الحسن والبهجة.

(٣) من أغدقت الأرض: أخصبت.

(٤) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار ٩: ١٦٧.





المبحث الثاني: السمع في القرآن الكريم

المطلب الأول: السمع صفة لله عز وجل ودلالاته:

السمع من صفات الله عز وجل الثبوتية(١)، وهذه الصفات لا يجوز أنْ يخلو عنها؛ لأنها ثابتة له ومن أسمائه الحسنى، وشأنها إدراك كلَّ مسموعٍ وإنْ خفيَ، فهو سميعٌ بغير جارحة، فهي صفة تنكشف بها المسموعات من غير آلة، فلا يعزب عن سمعه شيء وضدها الصمم، فالأصوات لا تخفى عليه، وسماعه السر والنجوى وهي لازمة لكماله عز وجل، وقد اتصف بها المخلوق، والله احق بالاتصاف بها من المخلوق؛ والا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق، ووجوب اتصاف الله تعالى بها، فلو لم يتصف بها لزم أنْ يتصف بضدها وهذا نقص، والنقص عليه محال(٢)، واختلف المتكلمون في تفسير الصفات على قولين:

احدهما: قول الأشاعرة والماتريدية، وهو: إنَّ الله يتصف بصفة تسمى سمعًا، وهذه الصفة لديهم أزلية (أي ليست حادثة؛ لأنَّ الله تعالى واجب الوجود لا تقوم الحوادث بذاته)، وقائمة بذاته أي ليست قائمة بذاتها، أي ليست وجودًا خارجيًا مستقلًا، وهي

---

(١) صفات الله عز وجل على قسمين: (ثبوتية وسلبية. أما الثبوتية: فهي أيضا على قسمين: صفات الذات: وهي التي يكفي في انتزاعها ملاحظة الذات فحسب. وصفات الفعل: وهي التي يتوقف انتزاعها على ملاحظة الغير، وإذ لا موجود غيره تعالى إلا فعله فالصفات الفعلية، هي المنتزعة من مقام الفعل: فمن الأول حياته تعالى وعلمه بنفسه، ومن الثاني الخلق والرزق والغفران والإحياء ونحوها). المظفر: محمد رضا عقائد الإمامية.

(٢) عليان: رشدي والدوري: عبد الرحمن: أصول الدين الإسلامي، ط١ -١٩٧٧ جامعة بغداد ١٣٤ـ ١٣٥ .



ليست غير الذات، ولا عين الذات ولكنها زائدة عن الذات[١].

الثاني: وهو مذهب المعتزلة والفلاسفة الإمامية، وهو نفي الصفات الزائدة على الذات، فالله سميع بالذات لا بآلة سمع، وقالوا: إنَّ القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة، واستدلوا بأنَّ القديمَ واحد لا غير، وأنَّه ليس في الأزل إلّا الله تعالى، وكل ما عداه ممكنٌ، وكلُ ممكن حادثٌ، ولو اقتضى أنَّ صفات الله تعالى غير ذاته، فإمَّا أنْ تكون قديمة وإمّا حادثة، وعلى الأول يلزم تعدّد القديم، وعلى الثاني يلزم أنْ يكون الله تعالى قد وجد في الأزل من دون سمع؛ لأنَّ المفروض أنَّ هذه الصفات قد حدثت بعده، وكلاهما محال، فتعين أنَّ صفاته عين ذاته ونفس حقيقته، ولا شيء زائدٌ عليه وقائم به[٢].

وفي هذا المعنى يذكر الإمام أبو جعفر الصادق عليه السلام قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (.. سَمِيعٌ لَا بِآلَة..)[٣]، وكذلك قول الإمام الرِّضَا عليه السلام: (.... وَسُمِّيَ رَبُّنَا سَمِيعاً لَا بِجُزْءٍ فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتَ، وَلَا يُبْصِرُ بِهِ كَمَا أَنَّ جُزْءَنَا الَّذِي نَسْمَعُ بِهِ لَا نَقْوَى عَلَى النَّظَرِ بِهِ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا سُمِّينَا نَحْنُ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ بِالسَّمِيعِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى...)[٤].

وعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عليه السلام يَقُولُ: (لَمْ يَزَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِيماً قَادِراً حَيّاً قَدِيماً سَمِيعاً بَصِيراً، فَقُلْتُ لَهُ:

---

(١) القدسي: ابن أبي شريق: المسامرة بشرح المسايرة مطبعة السعادة مصر: ٧٠.

(٢) محمد جواد مغنية: معالم الفلسفة الإسلامية: دار أحياء التراث، بيروت: ١١٧.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ١٣٩.

(٤) الصدوق: محمد بن علي: التوحيد ١٨٦-١٩٠.



يَـا بْـنَ رَسُـولِ اللهِ إِنَّ قَوْمـاً يَقُولُونَ: إِنَّـهُ عَزَّ وَجَـلَّ لَمْ يَزَلْ عَالِمـاً بِعِلْمٍ، وَقَـادِراً بِقُدْرَةٍ، وَحَيّـاً بِحَيَـاةٍ، وَقَدِيـماً بِقِـدَمٍ، وَسَـمِيعاً بِسَـمْعٍ، وَبَصِيراً بِبَصَـرٍ؟ فَقَالَ عليه السـلام: مَـنْ قَالَ ذَلِـكَ وَدَانَ بِهِ فَقَـدِ اتَّخَذَ ﴿مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾[1]، وَلَيْسَ مِـنْ وَلَايَتِنَا عَلَى شَيْءٍ ثُـمَّ قَـالَ عليه السـلام: لَمْ يَزَلِ اللهُ عَـزَّ وَجَلَّ عَلِيماً قَـادِراً حَيّاً قَدِيماً سَـمِيعاً بَصِيراً لِذَاتِـهِ تَعَـالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُشْـرِكُونَ وَالْمُشَـبِّهُونَ عُلُـوّاً كَبِيراً)[2].

وقريب منه ما ذكره الإمام أبو جعفر الثّاني – محمّد بن عليّ الجواد– عليه السلام ردًا على رجل سأله عن سمع الله عز وجل: (فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يُدْرَكُ بِالْأَسْمَاعِ ولَمْ نَصِفْهُ بِالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ فِي الرَّأْسِ)[3].

وإنني مررت على هذا الاختلاف بسـرعة كي تتضح للقارئ مفاهيم المتكلمين في تفسير الصفات، والآن نلقي نظرة على الآيات التي تناولت سمع الله والصيغ التي جاء بها ودلالتها وهي كالآتي:

أولاً: الفعل الماضي:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[4]، ومثله قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[5].

(١) سورة الأنعام: ١٩.

(٢) الصدوق: محمد بن علي: التوحيد: ١٤٠.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ١١٧ح٧.

(٤) سورة آل عمران: ١٨١.

(٥) سورة المجادلة: ٢.



فظاهر النص أنَّ الله عزّ وجلّ يسمع الأصوات والمحاورات، ولكن الدلالة في السمع أبعد من ذلك إذ المراد منه هو علم الله عز وجل، وقد بيّن الإمام الرِّضا عليه السلام هذا المعنى بقوله: (...وَ قُلْنَا إِنَّهُ سَمِيعٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَصْوَاتُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى أَكْبَرَ مِنْهَا فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ لُغَاتُهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ سَمِيعٌ لَا بِأُذُنٍ...)[١].

وقال الراغب في مفرداته (إذا وصفت الله تعالى بالسمع فالمراد به علمه بالمسموعات)[٢] فمعنى (سمع الله) إدراك قولهم وعلم به، (أي يسمع المسموعات، ويرى المرئيات، والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أنْ يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات إذا وجدتا، وذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفة به)[٣]، فسمع الله علمه المحيط بكل شيء قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤]، فلا يخفى على الله شيء فهو اقرب إلينا من حبل الوريد.

وكما جاء في رواية الحسن البصري[٥]: إنَّ سائلاً سأل رسول الله النبي صلى الله عليه وآله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٦] فالمراد بالقرب هنا ليس المسافة بل الإحاطة بدقائق الأمور؛ لأنَّ ذلك لا يجوز إلّا في الممكن.

---

(١) الصدوق: محمد بن علي: التوحيد ١٨٦-١٩٠.

(٢) الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن: ٤٢٦.

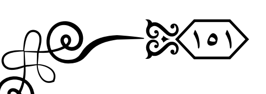
(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٩: ٤١٠.

(٤) سورة الانبياء: ٤.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان: ١: ٢٧٨.

(٦) سورة البقرة: ١٨٦.





ثانيًا: الفعل المضارع:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[1]، من ظاهر النص يستفاد السمع من قِبل الله عز وجل لما يدور في المحاورة بين موسى وفرعون لكن هناك معنى أبعد من الظاهر وهو أنّ السماع والرؤية اللتين تدلان على الإحاطة والعلم تبعثان في نفسيهما القوة والعزيمة وشد الأزر؛ إذ أنَّ معية الله تعالى بسماعه ورؤيته تودع في نفسيهما الطمأنينة والسكينة والقوة، التي تمكنهم من الوقوف أمام الطاغية في عصرهم - فرعون - وليس خوفهم هذا على انفسهم، وإنما خوفهم منبعث من رفض فرعون إرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وكيف يخاف والله معهما فقد استعمل هاتين الحاستين لبيان أنّ الله معهما، وحافظًا لهما، وهو مطلع على أدق الأمور[2]، وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[3]، فهو يسمع حتى ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال[4]، ورد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي ما يقولونه ويفعلونه.

ثالثًا: فعل الأمر:

صيغة التعجب: قال تعالى ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[5] فأخرجه مخرج التعجب على وجه

---

(١) سورة طه: ٤٦.

(٢) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القران العظيم ط١ - ١٩٨٦ دار الحديث القاهرة٣: ١٦٢.

(٣) سورة الزخرف: ٨٠.

(٤) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر بن محمد: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ط١ دار المعرفة بيروت٤: ٢٥٨.

(٥) سورة الكهف: ٢٦.



التعظيم، ولم يقل اسمع به؛ لأنه يلزم التفاضل وهذا محال على الله عز وجل؛ لأنه ليس محلاً للحوادث؛ ولأنَّ السمع قوة في الآذن فالله تعالى لا يوصف به.

رابعًا: الاسم:

ويأتي دائمًا من ابنية المبالغة، على وزن فعيل[١] وفي التنزيل ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]، وهو اسم مشتق يدل على معنى أو صفة بالموصوف على وجه الثبوت والدوام[٣]، فلا تنفك هذه الصفة عن ذات الله عز وجل، وهي تفيد معاني كثيرة منها:

أ- إدراك ما دق ولطف: قال تعالى ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] فالآية الكريمة في معرض الطلاق، فالله تبارك وتعالى يعلم ويسمع ما يحدث العازم به نفسه ويناجيها بذلك، وذلك الحديث لا يسمعه إلَّا الله كما يسمع وسوسة الشيطان[٥].

ب- السمع بمعنى القبول والإجابة[٦]: كما في قوله سمع الله لمن حمده أي يقبلُ حمدَ من حمِدَهُ ويثبت عليه ذكر السمع والإرادة والقبول والإجابة، وهو شائع في المخاطبات العرفية، يقال: فلان سمع حاجتي فقضاها، وفي الحديث (أي الليل أسمع؟قال: جوف الليل الآخر)[٧]، وفي المصدر ذاته ما يؤيد هذا المعنى أنَّ الحديث روي بلفظ

(١) الحملاوي: احمد: شذى العرف في فن الصرف دار الكتب العالمية بيروت: ٩٤.

(٢) سورة النساء: ١٣٤.

(٣) اسبر: محمد سعيد: المعجم الشامل في اللغة ط١-١٩٨٥م بيروت:٨٥٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٧.

(٥) الزمخشري: تفسير الكاشف١: ٢٧٠.

(٦) حسنين محمد مخلوف: صفوة البياني لمعاني القران ط١ وزارة الاوقاف الكويتية: ٧٠٧.

(٧) ابن حنبل: احمد: مسند احمد ٤: ٢٣٥.



آخر، قال رجل: (سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أي الليل أجوب؟)[١].

ج- تأتي بمعنى الكمال والتتمة[٢]: لأنَّها من المعاني التي تخرج لها صيغة فعيل قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣]. فهو ضمان من الله لإظهار الرسول صلى الله عليه وآله على بني قريظة وبني النضير، وكمال هذا الدين وتمامه وفيه وعيد[٤].

د - الترغيب والترهيب: قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥] وقد ذكر الزمخشري في كشافه أَنَّهُ أراد بها وعيدًا لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وأنه يعاقبهم عليه، وتعريض بما يدعون من دون الله عز وجل، وإنها - الآلهة - لا تسمع ولا تبصر[٦] فهذا اكثر إيقاعاً وترهيبا من سخطه، ففي هذه الآية وامثالها نوع من التهديد، وفيها إرشاد إلى مراقبة الإنسان لأقواله ونياته، وهذا يتعلق في جميع مجالات الحياة العبادية والمعاملاتية ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[٧]، فالله عز وجل محيط بما يسره المرء وما يناجي به غيره؛ لأنَّ سمعهم ليس كسمع المطلق.

هـ- الحث على الدعاء: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٢٣١.

(٢) الزمخشري: تفسير الكاشف ١: ١٨.

(٣) سورة البقرة: ١٣٧.

(٤) الزمخشري: تفسير الكاشف ١: ١٩٤.

(٥) سورة غافر: ٢٠.

(٦) الزمخشري: الكشاف ٤: ١٥٤.

(٧) سورة الزخرف: ٨٠.



إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1] فهذا الدعاء من لطائف حكمة الله عز وجل في تعليم الأمة الدعاء والاتجاه إلى الله تبارك وتعالى.

و- الرد على المشركين: لقد رد الله تعالى على المشركين الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر لا يسمع ولا يجيب بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[2]؛ لأنّ سمعهم ليس كسمع المطلق.

المطلب الثاني: السمع عند الإنسان صيغه ودلالاته:

يستعمل القرآن الكريم لفظ الآية في الأمور الجليلة العظيمة؛ ليدل على عظمة الله سبحانه وتعالى، فيقول ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[3] والسمع من الآيات الأنفسية، التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، والله عز وجل ذكرها في القرآن الكريم في معرض الامتنان على البشر؛ لأنّها طريق العلم والمعرفة وبها تكسب السعادة الأبدية قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[4]، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنّ لفظة السمع قد صيغت بصيغ عدة لحكمة وغاية، وكيف وهو من الله تبارك وتعالى:

(١) سورة إبراهيم: ٣٩.

(٢) سورة فاطر: ١٣ - ١٤.

(٣) سورة فصلت: ٥٣.

(٤) سورة الملك: ٢٣.



﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١]

ومن خلال هذا البحث نتعرف على اهم الصيغ وأبعادها الحسيّة والمعنويّة.

أولاً: فعل ماضٍ:

وقد جاء للمفرد والمذكر والمؤنث والجماعة، فمثال الأول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[٢]، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[٣]، ومثال ثالث قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٤] إنَّ اصل دلالة الماضي بالوضع هو على ما مضى من الزمن دلالة قطعية[٥]، لكنه يدل على أزمنة متعددة يحددها السياق والمقام واشهرها:

أ- الماضي المطلق: سواء القريب أم البعيد وهو الذي مضى قبل زمن التكلم، قال تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[٦].

ب- الماضي المنقطع: هو الذي حصل مرة واحدة، ولم يتكرر نحو قوله، تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٧]؛ لأنَّ سمعهم ليس كسمع المطلق.

---

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة البقرة: ١٨١.

(٣) سورة يوسف: ٣١.

(٤) سورة البقرة: ٩٣.

(٥) رشيد: كمال: الزمن النحوي: ٤٧.

(٦) سورة الأنبياء: ٦٠.

(٧) سورة المائدة: ٨٣.



ج - الماضي القريب: هو ما صُدِّر (بقد) كقوله تعالى: ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]، وهنا (قد) تفيد التحقيق والتوكيد، أنهم سمعوا القرآن وعلموا أنَّهُ ليس كلام بشر، ولكنهم أصروا على كفرهم، بل تمادوا وقالوا يمكننا أنْ نأتي بمثل هذا القرآن.

ثانياً: فعل مضارع:

إنَّ دلالته لا تخرج عن الحال والمستقبل لكن يحدد زمنه السياق والمقام كما تقدم في الفعل الماضي وقد يدل على أزمنة مختلفة منها:

أ - الدلالة على الحال والاستقبال: قال تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٩]، فهو يسمع آيات الله في الحال وفي الاستقبال لكن يصر على كفره وعدم استجابته.

ب- الدلالة على الحال تنصيصًا: إذا اقترن مما يدل على الحال نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[١٠]، أو النفي إطلاقًا نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١١] أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا ويصدق بها فهو الأكثر استفادةً من حاسة السمع.

ج- الدلالة على الاستقبال تنصيصًا: وذلك إذا اقترن بما يدل على الاستقبال نحو

(٨) سورة الأنفال: ٣١.

(٩) سورة الجاثية: ٨.

(١٠) سورة الجن: ١٠.

(١١) سورة النمل: ٨١.



قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[١]، أو دخول أداة نصب نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، أو دخول نون التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[٣]، أو دخول أداة شرط عليه نحو قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٤].

ثالثاً: فعل الأمر:

وهو ما يدل على طلب وقوع الفعل من الفاعل المخاطب مع قبول ياء المخاطبة بغير لام الأمر[٥].

وزمنه غالبًا للمستقبل؛ لأنَّ مطلوبه لم يتم، ومعنى الأمر الأصلي: هو طلب فعل على وجه الاستعلاء والإلزام، نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[٧]، وفي القرآن أمثلة كثيرة، ويخرج فعل الأمر إلى معان أخرى هي:

---

(١) سورة ق: ٤٢.

(٢) سورة التوبة: ٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

(٥) اسبر: الشامل في اللغة: ١٧٩.

(٦) سورة البقرة: ٩٣.

(٧) سورة طه:١٣.



أ – الالتماس: ويكون بين المتساويين في المرتبة قال تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[١].

ب – النصح والإرشاد: في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[٢].

ج– التهديد: في قوله تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٣]. وغيرها كثير.

د– الوجوب: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ المراد منه هو وجوب استماع والانصات للإمام حال القراءة في الصلاة؛ لأنَّه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن إلّا حال قراءة الإمام في الصلاة، فإنَّ على المأموم الانصات والاستماع له[٤].

رابعًا: الاسم:

ولقد ورد لفظ السمع اسماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٥] أي أعطيناه حاسة السمع والبصر كي يتمكن من معرفة الحق والباطل، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ﴾[٦] أي قابلون له: يقال لا تستمع من فلان أي لا تقبل ومنه سمع الله لمن حمد أي: تقبل

---

(١) سورة يس: ٢٥.

(٢) سورة الحج: ٧٣.

(٣) سورة ق: ٤١.

(٤) الراوندي: قطب الدين: فقه القرآن تح: السيد أحمد الحسيني،ط٢–١٤٠٥هـ الناشر: مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي١: ١٤٢.

(٥) سورة الإنسان: ٣١.

(٦) سورة المائدة الآية ٤١.



منه، وفيه دلالة على الكثرة يقول السيد الرضي(٤٠٦هـ): (لأنَّ فعالين يدل على كثرة الفعل منهم)[١]، وفيه وجه آخر وهو انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[٣] وتفسير الآية فحوى حديث الإمام الرضا عليه السلام انهم لم يكونوا صما؛ وإنَّما كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فلا يستطيعون السماع، فعدم السماع لا عن علة[٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾[٥] فلا يبالي بالمواعظ، ولا يتفكّر في الآيات[٦]، فالذي يُفهم من الوهلة الأولى أنَّ هذا الختم كان ابتداء من الله عز وجل وحاشا لله، ولكن بالرجوع إلى الروايات يجد أنَهُ جاء مجازاة لفعلهم، وأنَّ هذا الختم كان بعد مضيهم في الغي قدماء.

خامسًا: المصدر:

وورد السمع مصدراً وأريد به حس الأذن كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾[٧] والآيات كثيرة في القرآن الكريم

---

(١) الشريف الرضي: حقائق التأويل: تح: محمد رضا آل كاشف الغطاء الناشر: دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان:١٢٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان ٣: ١٩٢.

(٣) سورة الكهف: ١٠١.

(٤) الصدوق: التوحيد: ٣٥٣ح ٢٥.

(٥) سورة الجاثية: ٢٣.

(٦) القمي المشهدي: محمد بن محمد رضا: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب تح: درگاهي، حسين ط١-١٤١٠هـ الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر طهران- ايران ١٢:١٥٦.

(٧) سورة يونس: ٣١.





التي ذكرت حاسة السمع بصيغة الاسم.

سادسًا: صيغة تعجب:

أنْ يرد السمع بصيغة تعجب: قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١]، والمعنى ما اسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم لما يخلع قلوبهم ويسوِّد وجوههم وقد كانوا في الدنيا صماً وعمياناً[٢]. إذ أنَّ هذه الآية تناولت أحوال يوم القيامة التي لا بدّ فيها من جودة الآلات التي تلائم ذلك اليوم الذي أصبحت فيه المعرفة ضرورية[٣].

المطلب الثالث: السمع والجن:

لقد قرع القرآن الكريم أبواب مسامع الخلق والجن نوع من الخلق قال تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٤] إلا أنّهم مستورون عن جوارحنا، وأنَّ القرآن الكريم يؤكد وجودهم، ويذكر أنّهم مخلوقون من النار، كما أنَّ الإنسان مخلوق من التراب[٥] قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[٦]، وأنهم يعيشون ويموتون ويبعثون كالإنسان قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا

---

(١) سورة مريم: ٣٨.

(٢) تفسير الجلالين: ٢٤.

(٣) المرتضى: علم الهدى، علي بن الحسين: أمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) ط١ – ١٩٩٨م تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل الناشر: دار الفكر العربي مكان الطبع: القاهرة ٢: ٩٨.

(٤) سورة الجن: ١.

(٥) قلعة جي: محمد رواس: معجم لغة الفقهاء ط١ بيروت – لبنان ١٩٨٥، دار النفائس: ١٦٦.

(٦) سورة الحجر: ٢٧.



خَاسِرِينَ ﴾(١)، كما وانهم مكلفون كالإنسان قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢)، ومنهم مؤمنون ومنهم كفار ومنهم صالحون وآخرون غير صالحين قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾(٣) ويظهر من القرآن الكريم أنَّ إبليس من الجن، وأنَّ له ذرية وقبيلًا، قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(٦).

وروي عن ابن عباس إنَّهُ قال: كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض، فينزل ويخبر به الكاهن، فيفشيه الكاهن إلى الناس، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، ولما بعث محمد صلى الله عليه وآله منعوا من السماوات كلها، وحرست السماء بالشهب، وهي من الإرهاصات التي سبقت بعثة النبي صلى الله عليه وآله، وأنَّهم لم يروا هذا قبل زمانه صلى الله عليه وآله، وعلى لسان احد من الجن قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾(٧) ولسماع الجن بعدان:

(١) سورة الأحقاف: ١٨.

(٢) سورة الذاريات: ٥٤.

(٣) سورة الجن: ١٤.

(٤) سورة الكهف: ٥٠.

(٥) سورة الكهف: ٥٠.

(٦) سورة الأعراف: ٢٧.

(٧) سورة الجن: ٩.



احدهما: إيجابي وهو اعترافهم بأنَّ ما سمعوه كان كلاماً خارقاً للعادة يهدي إلى معارف عقائدية وعملية تصاب بها حقيقة الوجود للوصول إلى السعادة الأبدية، فنجد أنَّ هذه الآيات قد نفذت من أسماعهم إلى قلوبهم فآمنوا بها وصدقوا برسالة النبي صلى الله عليه وآله، وقولهم لن نشرك بعبادة ربنا أحدا تأكيدا لمعنى إيمانهم به، فهم يسمعون سماع تدبر للقرآن الكريم عن أمرهم، فهو من باب الإعجاز الغيبي، فاخبره الله عن إيمانهم بكتاب موسى عليه السلام، ولم يكن أحدٌ من العرب على اطلاع بهذا من قبل[1].

الآخر: سلبي وهو ما كان قبل إسلامهم وإيمانهم، فهم لم يستخدموا سمعهم كما أراد الله عز وجل، بل كانوا يسترقون أخبار السماء، وكانوا يرجمون حتى في الجاهلية إلّا أنّ الرّجم شُدّد عليهم في بعثة النبي صلى الله عليه وآله، فمن خلال تتبع الآيات الكريمة نجد أنَّ الجن مكلفون، والمكلف يجب أنْ يزود بآلة التكليف كي يعرف ما يرد في حقه، كما أنَّ منهم يسمع آيات الله فلا يصر مستكبراً، بل يذعن ويؤمن بالحق ويعترف به ويذهب إلى قومه ناصحاً بانه سمع قراناً عجباً انزل بعد كتاب موسى عليه السلام وإنَّ بعضهم علم بحدوث انقلاب في الكون على الواقع الفاسد المتمثل بالشرك والفساد، وذلك لما وجدوا أنظمة الأفلاك قد غُيرت وملئت السماء بالحرس والشهب فقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[2].

فحال الجن حال البشر في توظيف هذه الحاسة وبتجاهلها يكون المصير واحدا

(١) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين: تفسير غرائب القران ٦٠:٢٩.

(٢) سورة الجن: ١٠.



للأنس والجن، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(1)، فالسماع وإنْ وجد لديهم لكنهم لا يسمعون سمع تدبر؛ لأنَّهم كالأنعام بل هم أضل فالأنعام تسمع الأصوات وربما تنزجر لبعضها أي لبعض الأصوات قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(2)، فهذه الانعام تنزجر عند ورود الماء والعشب(3)، فالاستجابة للإيمان ولما أُنزل على النبي صلى الله عليه وآله لا تكون إلّا ممن يسمع قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(4)؛ لأنهم هم الذين يتفكرون ويستدلون على وجود الله عز وجل ومن لم يتفكر ولم يتأمل بالآيات بمنزلة من لم يسمع.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فأنه يدل على إعجاز القرآن الكريم الذي اثرَّ في نفوس هذا الخلق العجيب، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(5) وهذا من نعم الله عز وجل الرحمانية، التي امتدت إلى الجن، فزودهم بهذه النعمة التي تكتسب بها السعادة الأبدية، فمن هذا تتجلى

(1) سورة الأعراف: ١٧٩.

(2) سورة البقرة:١٧١.

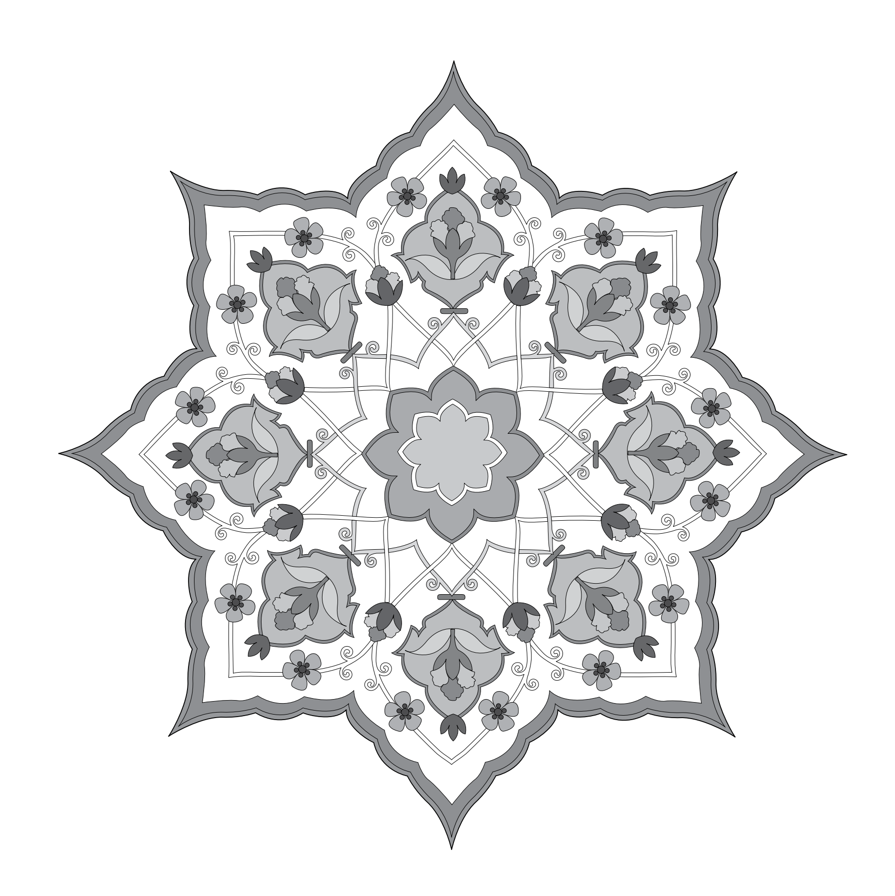
(3) الزمخشري: الكشاف١: ١٧٣.

(4) سورة الأنعام: ٣٦.

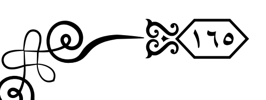
(5) سورة الأحقاف: ٢٩ – ٣٠.



هـذه النعمـة التـي لم تكـن للإنسـان فحسـب بـل حتـى للجـن الذيـن لهـم قـدرات خارقـة فلم يسـتطيعوا الاسـتغناء عنها.







المبحث الثالث: دلالة حاسة السمع في القرآن الكريم

المطلب الأول: دلالة الاستماع إلى القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، قال الجبائي (إنَّها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفقهوا)[٢]، وهذا هو الهدف من إنزال القرآن الكريم كي يسمع الناس الهدى، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[٣]، فقال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]، ومن هذا نجد أنَّ زعماء قريش كانوا لا يستمعون للقرآن، ويبتعدون عنه؛ لأنَّه يفرض عليهم الإذعان قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٥]، ولم يكتفوا بذلك بل منعوا الناس من الاستماع للقرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٦] كي لا يؤثر في نفوس سامعيه ويأخذ بمجاميع قلوبهم وما يشعرون، ولم يكتفوا بذلك بل منعوا النـاس من الاستماع الواعي للقرآن، فهم يحرضون جهالهم كي يحدثوا ضجيجاً عند تلاوة القرآن كي لا

(١) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان ٤: ٥١٤.

(٣) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٤) سورة الأنفال: ٤٢.

(٥) سورة الأنعام: ٢٦.

(٦) سورة فصلت: ٢٦.



يسمع قاصدوا مكة معانيه العالية فيؤثر فيهم ويؤمنوا بما جاء في القرآن.

وكان للسماع في مكة مذاهب، فمنهم من كان كما قال تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١]، وهذا دلالة واضحة على تكبرهم وتغافلهم لما يسمعون، إذ لم يجعلوا قيمة عقلائية لما سمعوه، إذ أنَّ العقلاء يتحركون وفق مصالحهم وهؤلاء لم يكونوا من العقلاء.

وآخرون يتمادون في الغي إذ يجعلون ﴿أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[٢] كما وصفهم تعالى كي لا يسمعوا الحق مع أنَّ سمعهم لا علة فيه إلّا أنَّهم عطلوه ولم ينتفعوا به، ولم يدحض عنهم عذاب الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣] في الاستماع إلى الدلائل بل صرفوا بالاستماع إلى الباطل واللهو[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا....﴾[٥] فقال تعالى: بخلاف قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٦]، فهؤلاء قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾[٧]، وهذا الإيمان الصادق لم يقف إلى حد معين بل انقادت قلوبهم إلى الحق، قال تعالى: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[٨] هذا وقع القرآن الكريم في

---

(١) سورة الجاثية: ٨.

(٢) سورة البقرة: ١٩.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٦.

(٤) الصابوني: محمد علي: صفوة التفاسير ٣: ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام: ٢٥.

(٦) سورة الزمر: ١٨.

(٧) سورة الجن: ١٣.

(٨) سورة المائدة: ٨٣.



النفوس، الذي قالت عنه الجن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[1] وقصة ابن ام مكتوم واضحة وجليّة وإنَّه كان أعمى لكنه نفعه سمعه، وآمن بالرسول صلى الله عليه وآله[2] قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[3].

فنخلص إلى أنَّ السمع ليس هو سماع الأصوات فقط، وإنّما هو الاستثمار الأمثل لتلك الأداة التي مكننا الله عز وجل منها لتدبر تلك المفاهيم والوصول إلى كسب سعادة الدارين.

المطلب الثاني: خصائص حاسة السمع في القرآن الكريم:

أولا: تقدم السمع على غيره من الحواس:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4] إنَّ البلاغة القرآنية تقتضي أحيانًا أنْ يُقدّمَ لفظٌ على غيره لسبب يستوجبه حسن النظم القرآني وبلاغته، ففي هذه الآية المباركة تجد لفظة السمع قدمت على الأبصار والأفئدة، وهذا التقدم إمَّا بالسبق الزمني لنمو حاسة السمع قبل غيرها من الحواس، أو التقدم بالعلية والسببية، فالعلم مقرون بالسمع، فمن لا يسمع لا يتعلم أو التقدم بالمرتبة فالسمع يسبق البصر؛ لأنَّ رتبته السبق أو التقدم للشرف؛ لأَنَّهُ الواسطة لتلقي الرسالة وفهم مضمونها[5]، ومن يذهب إلى هذا ابن قتيبة واحتج

(١) سورة الجن: ١.

(٢) الشنقيطي: محمد الأمين: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ط١-١٩٩٣ بيروت ٩: ٤٨.

(٣) سورة عبس: ١ -٣.

(٤) سورة النحل: ٧٨.

(٥) ينظر: العامري: حميد احمد عيسى: التقديم والتاخير:١٤٢ - ١٤٣.



بقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١] قال: فلما قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب النظر إلّا ذهاب البصر كان دليلاً على أنَّ السمع أفضل[٢]، وهذا دليل واضح على انه أداة للمعرفة، فالسمع آلة لإزالة الجهل الذي ولدنا عليه واجتلاب العلم للعمل[٣].

ثانياً: حاسة السمع وكثرة الأصوات:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾[٤] نجد أنَّ لفظة السمع جاءت مفردة بخلاف لفظة الأبصار التي جاءت جمع تكسير، وهذا النقاب تكشفه لنا البلاغة القرآنية، ويثبته العلم الحديث أنَّ حاسة السمع لا تستطيع أنْ تستمع إلى أصوات عدة في وقت واحد استماع تدبر وتعقل، بخلاف حاسة البصر التي جاءت جمع فأنها تستطيع أنْ ترى اكثر من شخص، فالبناء القرآني عبّر عن هذه الحقيقة من خلال صياغة الكلام، فالمفرد وهي الأذن لا تسمع الا واحد، والجمع وهي الأبصار يمكن أنْ ترى أشياء عدة[٥].

ثالثاً: السمع من الإشهاد:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٦]، فالله عزّ

(١) سورة يونس: ٤٢.
(٢) ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي ايوب: بدائع الفوائد دار الكتب العربية بيروت ٣: ١٦٤.
(٣) ينظر العامري: حميد احمد عيسى: التقديم والتأخير في القران:١٤٢ – ١٤٣.
(٤) سورة يونس: ٣١.
(٥) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد: الجامع لأحكام القرآن مطبعة الشعب ١: ٧٣.
(٦) سورة فصلت: ٢٢.



وجلّ يخاطب الناس ويقول لهم: لم يتهيأ لكم أنْ تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء؛ لأنكم كنتم بها تعملون المعاصي حذرًا أنْ تشهد عليكم جوارحكم بها؛ لأنكم ما كنتم تظنون ذلك لجهلكم بالله عز وجل فهان عليكم ارتكاب المعاصي[١]، ويشهد عليهم السمع بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضتم عنه ولم تقبلوه.

رابعاً: السمع لا ينفع بعد فوات الأوان:

في يوم القيامة ترفع الأقلام وتجف الصحف وليس للإنسان إلّا ما قدَّم في حياته، فالله عزَّ وجل يصور لنا حال الكفار يوم القيامة بعد أنْ تتكشف لهم الحقائق إذ يقول على لسان الكفار: ﴿ رَبَّنَا أَبْصرنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[٢] أي أبصرنا الرشد والصدق في وعيدك، وكنا بمنزلة العمى فأبصرنا وسمعنا الحق وتصديقك رسلك، وكنا بمنزلة الصم فسمعنا، فاليوم زال الشك وانكشف الغطاء الذي كان على أبصارهم، وذهب الوقر الذي على آذانهم بما ابصروا وسمعوا فما اسمعهم وأبصرهم في هذا اليوم قال تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصر يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾[٣] هذا اليوم الذي يجعل الولدان شيباً ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[٤].

المطلب الثالث: نكت قرآنية حول السمع:

أولاً: حاسة السمع والترهيب والترغيب:

قال تعالى: ﴿ فَبَشر عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ

---

(١) ظ: الطبرسي: مجمع البيان ١٠:٩.

(٢) سورة السجدة: ١٢.

(٣) سورة مريم: ٣٨.

(٤) سورة طه: ١٠٨.



هَدَاهُمُ اللهُ ﴾[١] فهذه البشـرى توفر الرغبة والدافع على الطاعات وتذكر ما اعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرز من الزلات، ويؤدي إلى قلبه من كدر إلى صفاء[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾[٣]، فهذا يجعل في الإنسان الرغبة في الحصول على هذه المكانة، قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[٤] والأمثلة في الترغيب كثيرة فيما يخص السمع.

أمّا الترهيب الذي أُعد لتزجر به بعض النفوس التي لا تطمع بما عند الله، لذا جاء السمع مرهباً قارعاً للقلوب لما اعده الله للمعاندين، قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[٥]، ونسب الله الرؤيا للنار؛ لأنه ابلغ كأنها تعرفهم عند رؤيتهم فهي تزفر كالغضبان، وكذا قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾[٦].

ثانياً: اقتران الابتلاء بالسمع والبصر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٧] بعد أنْ خلق الله الإنسان شق له السمع والبصـر، ليكون أهلاً للابتلاء ولا تكون له حجة بعدم معرفة آياته عز وجل قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ

---

(١) سورة الزمر: ١٧– ١٨.

(٢) القشيري: عبد الكريم بن هوزان: الرسالة القشيرية – بغداد: ٢٦١.

(٣) سورة الغاشية: ١١ – ١٢.

(٤) سورة المطففين: ٢٦.

(٥) سورة الفرقان: ١٢.

(٦) سورة الملك: ٧.

(٧) سورة الإنسان: ٢.



بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١] فهذا دليل على عدل الله عز وجل إذ لا يكلف إلّا بمقدور ولا يكلف إلّا مع وجود شروط التكليف والاختبار والابتلاء ومستلزماته فلم يكن كالذي:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أنْ تبتل بالماء

ثالثاً: العداء التاريخي لليهود:

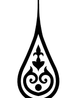
قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[٢] ذكر صاحب مجمع البيان: إنَّ (سمّاعون) كناية عن اليهود والمنافقين، وقيل خاصة عن اليهود، فهم جميعاً مستجيبون للكذب، واختار الله عز وجل صيغة (فعّالون) لما فيها من المبالغة، فكثرة المباني تفيد كثرة المعاني في الغالب، فهم قابلون للكذب، فمنهم يسمعون قولك، ويكذبون عليك لما في انفسهم من حقد على الأمة العربية والنبي صلى الله عليه وآله خاصة، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾[٣]، فهذا حسد من عند انفسهم للنبي صلى الله عليه وآله ومن صفاتهم انهم يحرفون كلام الله وأحكامه، ومن تجاوز في العظيم يهون عليه الكذب في الصغير، فهذه الآية وأشباهها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنَّ اليهود يؤمنون بك مع انهم يحرفون كلام الله في التوراة ويحرفون كلامك[٤]، فهم قد آمنوا بالتوراة وكانت ضلالتهم

(١) سورة النساء: ١٦٥.

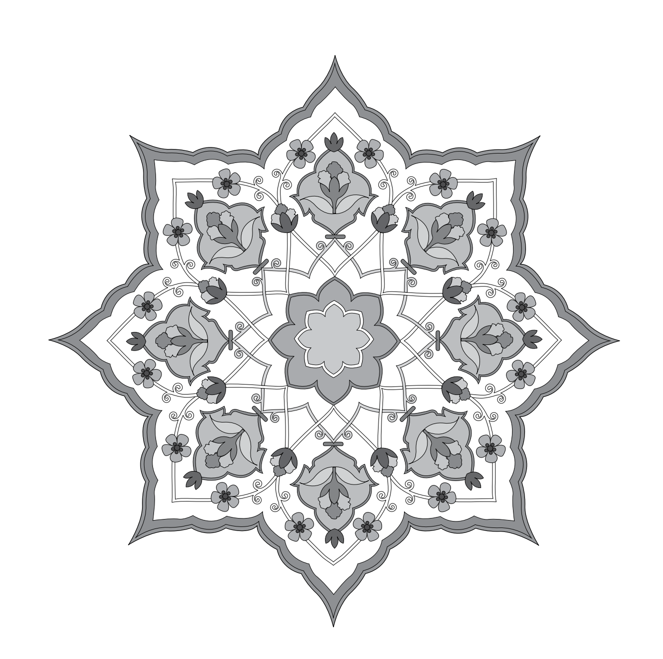
(٢) سورة المائدة: ٤١.

(٣) سورة المائدة: ٨٢.

(٤) الزمخشري: الكشاف ١: ١٩٤.



تحريف أحكام التوراة تحريفاً لفظياً أو معنوياً، وكتمان آياتها، والحاق ما ليس منها بها افتراء منهم وتساهلاً في إقامة أحكامها ومبالغة في التعصب بمذهبهم واستبعاداً لرسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسوء الأدب والطعن بالنسبة إليه بل إلى حضرة الخالق عز وجل[١].



(١) محمد المشقي النيسابوري: ارشاد الراغبين في الكشف عن أي القران المبين ط١-١٩٨٥م مكتبة الهلال بيروت: ٩.

المبحث الرابع: السمع بين الشريعة والعلم

المطلب الأول: السمع في الشريعة:

لقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً بحاسة السمع، لما لها من الأثر البالغ في بناء الإنسان وحياته، ولمكانتها المهمة نجد أنَّ الله عز وجل فرض مجموعة من الأحكام تتعلق بالسمع وحاسته فمهنا:

أوجب الشارع المقدس على من اتلف هذا العضو أو قوته قصاصاً أو دية، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]؛ لأنَّ أتلافها عمدًا يعد عبثاً أو تغييراً لخلق الله عز وجل، حتى ولو كان إلى الحيوان جاء في التنزيل على لسان إبليس: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾[2]، فكيف إذا كان المجني عليه هو الإنسان الذي سخّر له ما في الكون، وكرمه الله تعالى على غيره من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[3]، وأوجب الفقهاء في ذهابه كله دية كاملة، قال الطوسي: (وفي السمع الدية بلا خلاف لقوله عليه السلام: وفي السمع الدية)[4]، وفي ذهاب سمع إحدى

(١) سورة المائدة: ٤٥:

(٢) سورة النساء: ١١٩.

(٣) سورة الإسراء: ٧٠.

(٤) الطوسي: المبسوط ٧: ١٢٥.



الأذنين نصف الدية، لا فرق في ذلك بين الصغير ولا الكبير وضعيف السمع وقويه ومقطوع الأذن وصحيحها[١].

كما كان للشـريعة وقفة أخرى مع السمع وهي ما يسمعه الإنسان فهو مسؤول عما يسمع قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصر وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٢]، فكان ما يسمعه الإنسان يخضع لطريقة الفقهاء في تقسيم الأحكام الشـرعية الخمسة: محرم ومكروه وواجب ومستحب ومباح.

أمّا المحرم: فيكون في الاستماع إلى الغيبة والنميمة والتجسس على عورات الناس ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[٤].

أمّا دليله من السُنة هو قولَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: (...الْـمُسْتَمِعُ بَيْنَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ يُصَبُّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ، وَهُوَ الْأُسـرب)[٥]، وألانك الرصاص المذاب.

ونقل الغزالي (أنّ المستمع شـريك المتكلم) في ذلك يقول: (فمن تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه):

وسمعَكَ صنْ عن سماعِ القبيحِ ... كصون اللسانِ عن النطقِ بهْ

فإنك عند سماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائلِه فانتبهْ[٦]

---

(١) قلعجي: محمد رواس: معجم لغة الفقهاء: ٢٥٠.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) سورة القلم: ٩ - ١٠.

(٤) سورة الحجرات: ١٢.

(٥) البرقي: المحاسن ٢:٦١٦.

(٦) الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد: منهاج العابدين ط١-١٩٧٢م مكتبة الجندي: ٧٩ - ٨٠.



وكذا إذا كان السمع يهيج الخواطر والوسواس في القلب، ومنه نجد أنّ الله عز وجل نهى عن إظهار صوت الحلي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾[١]، قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْخَلَاخِيلِ أَيَصْلُحُ لُبْسُهَا لِلنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ قَالَ: إِنْ كُنَّ صُمّاً[٢] فَلَا بَأْسَ وَإِنْ يَكُنْ لَهَا صَوْتٌ فَلَا)[٣].

ومما حُرِمَ على السمع الغناء، فقد ذهب الشيعة الإمامية إلى تحريم الغناء مطلقًا[٤]، قال الشيخ الأنصاري: (الغناء، لا خلاف في حرمته)[٥]، واستدلوا بنصوص كثيرة إليك بعضا منها: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٦]؛ لكون المراد من قول الزور الغناء أو أنَّ الغناء منه، ويؤيده ما روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٧]؟ قَالَ: الْغِنَاءُ)[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٩]. وفي بيان هذه الآية جاء عن أئمة الهدى ما عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام

(١) الخلخال: حلي تلبسه النساء. ظ: مجمع البحرين- خلل- ٥: ٣٦٥.
(٢) الخلخال الأصمّ: الذي لا صوت له. ظ: مجمع البحرين- صمم- ٦: ١٠٣.
(٣) العريضي: مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها: ١٣٨.
(٤) السامرائي: سعد مزهر جاسم: حكم السماع في الشريعة الإسلامية، بغداد ١٩٩٨،رسالة ماجستير: ٦٣.
(٥) الأنصاري: مرتضى: كتاب المكاسب ١: ٢٨٥.
(٦) سورة الحج: ٣٠.
(٧) سورة الحج: ٣٠.
(٨) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٦: ٤٣١.
(٩) سورة لقمان: ٦.



قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (الْغِنَاءُ مِمَّا وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ النَّارَ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾)[١]. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (الْغِنَاءُ مِمَّا قَالَ اللهُ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾)[٢].

أمّا جمهور الفقهاء ذهبوا إلى كراهيته بشرط أنْ يكون مجرد عن الآلة الموسيقية، وعن الكلام المشتمل على ما لا يحل إنشاده وسماعه، ولا يكون من امرأة لرجل أو بالعكس، وقد ذهب إلى هذا كل من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وبعض الإمامية وهو المروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، والضحاك، والفضيل بن عباس، والحسن البصري، ويزيد بن الوليد، فالحنفية وان قالوا بالكراهية إلّا أنهم حرموا سماعه، إذا كان بلفظ لا يحل مصحوبا بآلة موسيقية محرمة[٣].

وقالت المالكية: بتحريم الغناء إذا كان بصوت مغنية يثير صوتها الشهوة في السامع، وقالت: الشافعية بالتحريم إذا كان مصحوباً بآلة موسيقية محرمة أو مصحوباً بذكر محاسن النساء[٤].

أمّا من ذهب إلى إباحته، فهم ابن حزم الظاهري، والغزالي، وابن القيسراني في كتابه السماع، وقيدوا الإباحة بقيد عدم الإظلال عن سبيل الله عز وجل[٥].

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٦: ٤٣١.

(٢) المصدر نفسه ٦: ٤٣١.

(٣) الجزيري: عبد الرحمن الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام مع تعليقة محمد الغروي وياسر مازح ط١- ١٤١٩ - ١٩٩٨ م الناشر: دار الثقلين٢: ٧٥.

(٤) السامرائي: سعد مزهر جاسم: حكم السماع في الشريعة الإسلامية:٦٣.

(٥) القيسراني: محمد بن طاهر السماع ط١-١٩٧٩ تح: أبو الوفاء المراغي اصدار المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية القاهرة: ٣٥.



أمّا المكروه من السماع: فهو ما أورث لهواً أو غفلة، قال النبي صلى الله عليه وآله: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْـمَلَائِكَةُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يسر [يُسرِعْ] بِهِ نَسَبُهُ)[١]، فمن الدلالة الالتزامية نتوصل إلى أنّ كل ما يضيع الوقت عن ذكر الله والعلم النافع فهو مكروه.

أمّا الواجب من السماع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢] فظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت هذه الآية وصارت سُنة في غير الصلاة، وهذا الحكم في الصلاة خاص بقراءة الإمام الذي يؤتم به إذا سُمعت قراءته، عن ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، والإمام جعفر بن محمد عليه السلام[٣].

أمّا المستحب: فيكون فيما يحدث في النفس شوقاً إلى ربها حتى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أمر بتزيين الصوت عند القراءة كي لا ينفر الناس منه، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ الصَّوْتُ الْحَسَنُ)[٤]، وعن الإمام الرضا عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله: حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ؛ فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْناً وَقَرَأَ﴿ وَاللهُ يَزِيدُ

(١) ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ١:٣٧٥.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٤: ٥١٤.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢:٦١٥.



فِي الْخَلْقِ ما يَشاء﴾[1])[2]، وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله: (إنَّ حسن الصوت زينة للقرآن)[3]، وعن البراء بن عازب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (زيـنوا القرآن بأصواتكم)[4]. والمباح فيما عدا ما ذكر.

كما أنَّ الشـريعة المقدسة أولت اهتماماً كبيراً لصوت المرأة لما فيه من فتنة للمستمع وهو عورة، فجاءت أحكام الشـريعة مبيّنة لحكم سماع صوت المرأة إذ أقرت:

١- صوت المرأة عورة إنْ لم يحدث فتنة في نفس المستمع، فلا تكثر الكلام مع الرجال الأجانب.

٢- لا يجوز لها الجهر بقراءة القرآن في الصلاة وخارجها بحضـرة من يسمعها من الرجال الأجانب[5].

المطلب الثاني: وقفة علمية مع السمع

من لطائف خلق الله خلق الأذن قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[6] فلقد خلقها عز وجل على هيأة تمكنها من استقبال الموجات الصوتية، وهذا التوافق بين شكلها ووظيفتها، كما اثبت العلم الحديث أنها

(١) سورة فاطر:١.

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:٦٩.

(٣) القرطبي: جامع الأحكام ١:١٨ النسائي: سنن النسائي٢: ١٧٩. الدارمي: سنن الدارمي٢: ٤٧١.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان ١: ١٦ مختصر سنن أبو داوود ٤: ١٣٧ ومجمع الفوائد ٧: ١٧٠.

(٥) الحلي: الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء٣: ١٥٤. الهيتمي: احمد بن محمد بن علي بن حجر: كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ٢:٢٦٧.

(٦) سورة فصلت: ٥٣.



تقوم بوظيفة أخرى، وهي الحفاظ على توازن الجسم والحفاظ عليه من الوقوع في حالة الحركة، قال تعالى: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[٧]، والوقر هو الثقل في الأذن[٨]، والسمع يتكون من ثلاثة تراكيب: الأذن الخارجية، والوسطى، والداخلية لكل منها تشريحه الدقيق، ووظيفته الفسيولوجية والوظيفة المعقدة[٩].

فيكون هذا البناء الرباني ادعى للتفكر والنظر، فهذا احد أساتذة الطب وهو يشرح لطلابه كيف يتم انتقال الصوت وحصول السمع إذ يقول: إننا نعرف كيف يتم هذا الأمر - أمّا كيف تدركه الخلايا العصبية وتفهمه فلا نتدخل نحن في هذا البحث، هكذا يخونه ذهنه العلمي عندما أراد بحث حاسة السمع المعقدة التي يجب أنْ تطرق بابها ولا يتهرب منها، فالنبي محمد صلى الله عليه وآله يطرق لنا هذا الباب قبل ألف وأربعمائة سنة بيد الآيات الباهرات ليدل على آثار الله في الأرض ويلزم الملحدين من أنصار الطبيعة - أمهم - كما يزعمون، فهذا الإتقان المحكم، والدقة الرائعة في هذا التصميم إلّا يدل على خالق حكيم، فقدرة الخالق تتجلى في خلق الأذن وكيف تعمل وكيف أنها جهزت بأجهزة حماية لدرء الإخطار من هوام الأرض وغيرها[١٠].

فقد جاء القرآن الكريم يبين ما عجز عنه الطب الحديث من أنَّ عملية الإدراك للأصوات في الخلايا العصبية مقصورة على الله عز وجل قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[١١]، وهو دليل إيماني

---

(٧) سورة لقمان: ٧.

(٨) الاصفهاني: الراغب: مفردات غريب القرآن: ٨٨٠.

(٩) الجميلي: السيد: الإعجاز الطبي في القرأن ط ١- ١٩٨٢م منشورات مكتبة التحرير بغداد: ١٠٦.

(١٠) المصدر نفسه: ١٠٧.

(١١) سورة يونس: ٣١.



مهم(١)، على أنَّ القرآن كتاب الله المقروء والأرض وما فيها كتاب الله المنظور، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٢).

ومن دلائل الإعجاز السبق القرآني للعلم الحديث في كثير من العلوم إذ اقرّ القرآن الكريم: إنَّ السمع أول الحواس الخمس نضوجاً عند الجنين قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصر وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٣)، فبعد حوالي أربعة عشر قرناً يعلن العلم الحديث هذه الحقيقة، وهي أنَّ السمع ينضج في الجنين ويكتمل قبل غيره من الحواس؛ إذ يسمع الأصوات ويتأثر بها وهو جنين في بطن أمّه، وعند ولادته لم تتطور لديه حاسة الأبصار، وقد يظل الطفل أسبوعين أو ثلاثة لا يرى شيئاً أمامه إنّما يقلب عينه ذات اليمين وذات الشمال، ولو قرب شيئاً من عينه لا يرمش، بخلاف حاسة السمع فهي موجودة، وأنه ينتبه للأصوات ويفزع عند العطاس، وتكون موجودة وإنْ كان نائماً، بخلاف حاسة الأبصار فإنها متوقفة تماماً عن عملها بينما حاسة السمع قائمة تستقبل الأصوات وتمارس وظيفتها بلا توقف(٤).

ينقلنا القرآن الكريم إلى واحة أخرى من واحات الإعجاز التي يشم أريج زهورها من قصة أصحاب الكهف، وكيف ضرب على سمعهم كي لا يسمعوا صوت الرعد، والزلازل، والحيوانات خارج الكهف، قال تعالى: ﴿فَضربْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾(٥).

---

(١) كنجو: خالص: الطب محراب الايمان: ١٩٣.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) سورة الاسراء: ٣٦.

(٤) السيد الجميلي الإعجاز الطبي: ٦٥.

(٥) سورة الكهف: ١١.



كما يقرر لنا العلم الحديث أن تعلم النطق يتم عن طريق السمع في الدرجة الأولى، فإن ولد الإنسان وهو أصم، فإنه يصعب عليه الانسجام مع المحيط الخارجي أو التفاهم معه، ويحدث لديه قصور عقلي شديد، ويعني أنَّ هذا الجهاز هو الذي ينمّي مدركات الإنسان وذهنه ووعيه، من هذا يتدرج الإنسان في الوعي والإدراك، امّا اسمعوا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

كما أنَّ القرآن الكريم أقرّ حقيقة أخرى مفادها: إنَّ كثيرًا من الذين حرموا نعمة البصر – حتى وهم صغار – يتعلمون ويبلغون درجة راقية من الفهم والإدراك والعلم والأمثلة كثيرة، ولكننا لم نسمع أنَّ الإنسان الذي يولد وهو أصم يمكن أنْ يرتقي في سلم المعرفة ويصبح عالما؛ لأنَّ الفهم والنطق يتلازمان إلى درجة لا يمكن فصلهما عن بعض، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٢).

فيمكن تبليغ الأعمى أمّا الأصم فلا يمكن تبليغه وجاء في محكم كتاب الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾(٣).

ومما اقره القرآن الكريم أَنّ مدى السمع اقل من مدى الرؤيا فقد جاء السمع للترقي من الأدنى إلى الأعلى، قال تعالى: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(٤) فالسمع يوحي بالقرب، فالذي يسمعك عادة قريب، بخلاف الذي يرى فقد يرى الشخص

(١) سورة النحل: ٧٨.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة الحج: ٧٣.

(٤) سورة طه: ٤٦.



ولكن لا يسمع ما يقول[١] فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وهنا وقفة علمية أخرى مع السمع فقد أجريت تجارب على عدد من المتطوعين الأصحاء لقياس أية تغيرات فسيولوجية في أثناء استماعهم تلاوات قرآنية، وقد تم تسجيل وقياس اثر القرآن الكريم عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية بالنسبة لغير المتحدثين بالعربية، مسلمين كانوا ام غير مسلمين فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن باللغة العربية، ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنكليزية، وفي كل هذه المجموعات ثبت وجود اثر مهدّئ للقرآن الكريم لديهم بنسبة ٩٧ ٪ وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي.

ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أنَّ تأثير القرآن يمكن ان يعزى إلى عاملين:

الأول: هو صوت القرآن الكريم في كلمات عربية، بغضّ النظر عما إذا كان المستمع قد يفهمها وبغضّ النظر عن إيمان المستمع.

الثاني: هو معنى المقاطع القرآنية التي تليت حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنكليزية من دون الاستماع إلى الكلمات القرآنية باللغة العربية[٢]، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]، وهذا من معجزات الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) العامري: حميد احمد عيسى: التقديم والتأخير في القران الكريم بغداد ١٩٩٦: ١٤٣.

(٢) انظر مجلة الكوثر العدد ٤١ لسنة ٢٠٠٠ م النجف الأشرف: ١٨.

(٣) سورة الإسراء: ٨٢.

المطلب الثالث: السمع مصدر هداية

تجلت رحمة الله عز وجل لعباده بتعدد مصادر الهداية، فنجد مصادر الهداية على قسمين قد صرح القرآن بهما:

احدهما: الآيات الكونية: قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[1] ويعبر عن هذا النوع بالهداية التكوينية، فالأرض وما فيها والسماء وما يطير فيها ما هي إلّا دلائل على وجود الله عز وجل وهو كتاب الله المنظور.

الآخر: الرسل والأنبياء: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[2].

وهذا النوع من الهداية يسمى بالهداية التشريعية، ولحاسة السمع خصيصة تميزها عن غيرها من الحواس، الا وهي: أنها تدخل تحت النوعين من الهداية فرب سائل يسال لم؟

قلنا: أنها تعد هداية في تكوينها، ودالة على خالق مدبر مريد لا كما يزعم الملحدون الماديون على أنها من خلق الطبيعة والصدفة، وتارة أخرى لما لها من قابلية أودعها الله تعالى فيها في الاستماع للأصوات وتفهمها والإصغاء إلى الرسل والسماع منهم عليهم السلام.

فهي تتناول جميع جوانب بناء الإنسان، التي يسعى الإسلام إلى بنائها من اجل الوصول بالإنسان إلى مرحلة التكامل البشري لنيل السعادة الأبدية وهنا لا بد من ذكر اهم هذه الجوانب.

الجانب العقائدي: فنجد أنَّ القرآن أورد حقائق تخص السمع، الذي به تثبت

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة القصص: ٥٩.



وحدانية الله عز وجل، وهو الهدف الاسمي من الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، فجانب العقيدة لا يكتمل عند الإنسان إنْ لم تكن له أذن واعية يدرك بها الهدى، ويعلم بها علم اليقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٢)، أي يسمعون الحجج والدلالات على توحيده سماع تدبر وتفهم وتعقل، والسماع هنا واجب كما جاء في كثير من الروايات والأحاديث.

الجانب العبادي: فهذا الجانب يهذب حاسة السمع، ويبعدها عن الانحراف لما حرمه الله عز وجل، فيفرض عليه عدم الكذب فيما يسمع، قال الله عزّ وجل في أحكام الوصية في سورة البقرة ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣)، ويشدد هذا في الأحكام الشرعية قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾(٤) وعدم حضور المجالس التي يستهزئ بآيات الله عز وجل قال تعالى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾(٥)، فالإمام الصادق عليه السلام يستشهد بهذه الآية فيما فرض على حاسة السمع إذ يقول: (وَ فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الِاسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ)(٦)؛ لأنَّ هذه الأمور تزعزع عقيدة المسلم بدينه

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة يونس: ٦٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨١.

(٤) سورة الأنعام: ٩٣.

(٥) سورة النساء: ١٤٠.

(٦) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٣٥.



وغيرها من الآيات التي تجعل من الإنسان المسلم قدوة في المجتمع مع ارساء الثقة بالنفس والآخرين.

الجانب الأخلاقي: وهذا الجانب ينشئ لنا مجتمعاً تسوده أخلاق السماء التي ترفض التجسس على المسلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[(١)]، وقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (...الْـمُسْتَمِعُ بَيْنَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ يُصَبُّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ وَهُوَ الْأُسْـرُبُ)[(٢)]، والآنك هو الرصاص، بل يتجلى الجانب الأخلاقي بأدق صورة قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾[(٣)] إذ نهى الإسلام عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهاهن عن إظهار الحلي[(٤)]، لما فيه من حركة تهذيب النفس وتربية لها.

الجانب الاجتماعي: أن تزعزع الثقة بين أبناء المجتمع تؤدي إلى تحلله وتفككه فيحل فيه الضعف، ويكون لقمة سائغة لأنصار الشيطان، ونحن اليوم نعيش خطر (العولمة) التي تسعى لتصدير الأفكار الهدامة عن طريق وسائل الأعلام، فيجب تحصين الفرد المسلم، وأُنْ لا يتبع كل ما يسمع من نعيق، فهؤلاء هم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٥)].

فمن هذا أخي المسلم تعرف أَنَّ للقرآن هدفاً وغاية تسعى لتحرير العقول من قيود الجهل والأوهام والأساطير، فلم يكتف بتغير الأمور الظاهرية لمناهج التفكير

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) البرقي: المحاسن ٢: ٦١٦.

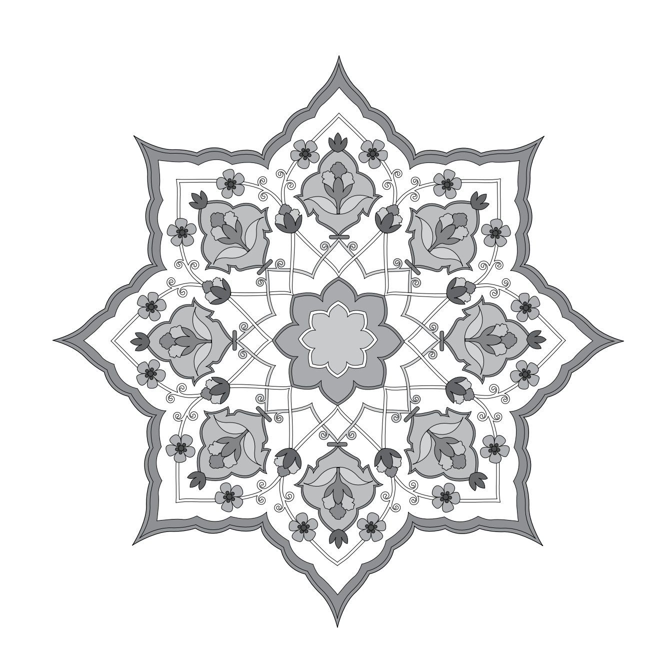
(٣) سورة النور: ١٩.

(٤) ظ: الزمخشري: الكشاف ٣: ٦٣.

(٥) سورة النور: ١٩.



وأساليب العمل، وإنما امتد التغيير إلى أعماق النفس واحدث فيها انقلاباً جذرياً، وما لبث هذا الانقلاب حتى تكفل بتغير ظاهرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١]، وأطل الإسلام ودوى صوت القرآن فجعل الإنسان اعز ما في ملكوت الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢]، فأعاد القرآن للإنسان الثقة بالنفس، وعندئذ اهتز العقل الإنساني هزة تساقطت عندها جميع أوهام وخرافات السنين السحيقة، وهذا كان بتوفير أسباب الهداية وهو القرآن والأذن والمسبب وهو الإذعان والإيمان لمن عرف الحق.



(١) سورة الرعد الآية ١١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.



خلاصة البحث ونتائجه

بعد هذا التجول في رحاب القرآن، وتراث امتنا الخالدة، الذي عبر عن القيم الحضارية والإنسانية والبلاغية لهذا الكتاب المقدس الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، نرى من الضروري أنْ نقف وقفة تأملية نستخلص من خلالها أهم نتائج البحث التي توصلنا إليها.

فذكر هذه الحاسة في القرآن الكريم يعد من الظواهر الإعجازية البلاغية، فلها شأن كبير في علم التفسير والعقيدة، إذ إنَّها لا تقل شأناً عن غيرها من الظواهر القرآنية الأخرى، فورود السمع في القرآن يدل على معان سامية كثير، وبه من الدلالات ما يدل على إعجاز هذا الكتاب؛ لأنَّ هذه الدلالات لا يمكن للشخص العادي من الوقوف عليها ما لم يرجع إلى المطولات من كتب التفسير؛ لذا كان موضوعاً جديداً يحتاج إلى دراسة متأنية، والوقوف على كل لفظة من ألفاظ السمع؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يكرر الّا لهدف، فهو ليس مجرد كلام، بل كتاب هداية ودستور للأمة، فهذا مما يحتاج إلى صفاء ذهن وسلامة طبع ودقة ملاحظة.

فعندما طالعنا السمع في القرآن الكريم وجد أنَّها قد تعرضت إلى مجموعة من المستويات وهي:

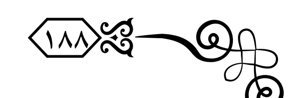
١- الترغيب فيما عند الله تعالى.

٢- الترهيب من إحاطة الله بدقائق الأمور.

٣- تقوية العزيمة وشد الأزر.

(١) سورة فصّلت:٤١ - ٤٢.





٤- التعرض إلى الموقف العدائي لليهود من خلال هذه اللفظة المباركة.

٥- ومن خلال هذه الحاسة إمّا أنْ يشقى الإنسان أو يسعد في الآخر، فهي مصدر نعيم أو شقاء.

٦- إنَّ هناك خلقاً آخر يشاركنا في هذه الحاسة وهو الجن مع التعرض إلى اهم ما دار من أحداث مع الرسول صلى الله عليه وآله.

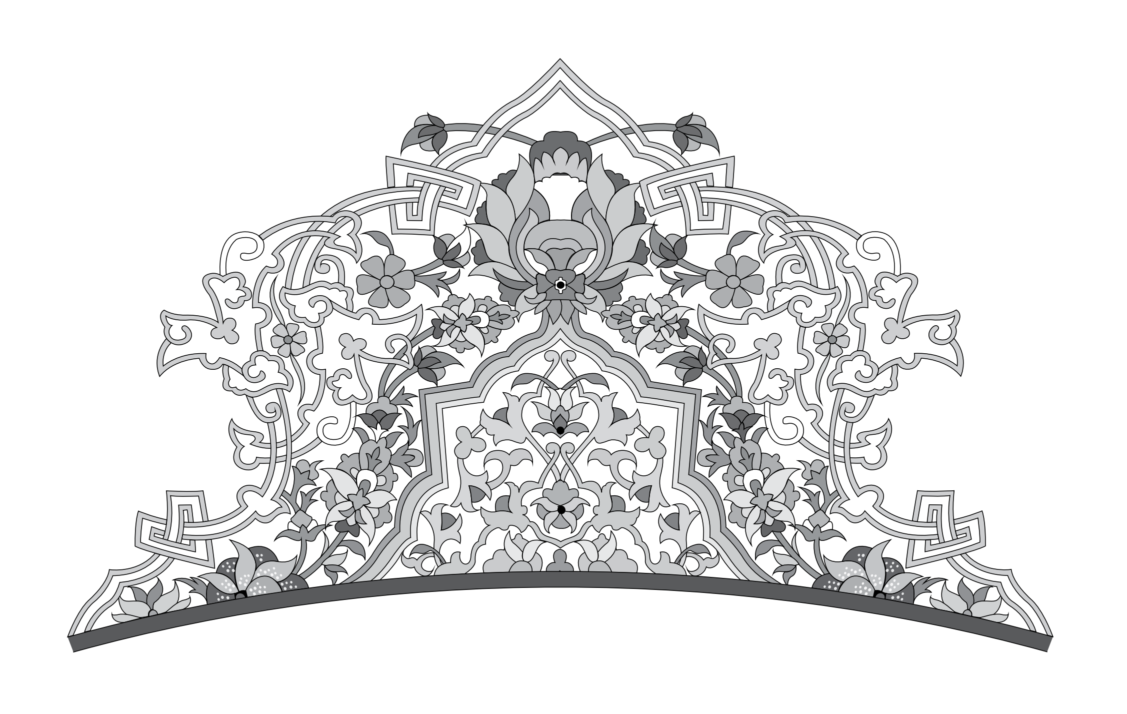
٧- إنَّ الشريعة الإسلامية جعلت للسمع مجموعة من الأحكام والضوابط وشروطا؛ لأنَّه مما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة فإن من السماع ما هو محلل وما هو محرم وما هو بينهما، والتعرض إلى السمع والمرأة وكيف حدد دوره في العبادات والمعاملات.

٨- لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث في كثير من الإشارات العلمية عن هذه الحاسة، وكيف انَّه مصدر من مصادر الإعجاز، ودليل على صدق دعوى الرسول صلى الله عليه وآله، الذي لم يدرس علم الطب والتشريح أو اطلع عليه بهذه الدقة لكنه من وحي الله تعالى كما أعطى القرآن الكريم لنا قبسا من علم التشريح والفسلجة، وأفضلية هذه الحاسة في العلم والتعلم.

٩- السمع مصدر هداية وتجلت الهداية في هذا العضو من الإنسان، الذي تجلت به قدرة الله عز وجل، وأدركنا في هذا البحث المبارك هذه الجوانب العظيمة من كتاب الله عز وجل المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تجف ينابيعه ولله الحمد أولاً واخراً.

هذا ما وفقني الله إليه وأعانني عليه والخير منه واليه، والصلاة والسلام على خير الأنام وآله وصحبه المنتجبين.





اللون في القرآن الكريم

ودلالاته عند البلاغيين

مقدمة

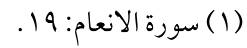
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين، وتمام عدة المرسلين، أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الممتثلين بأمره إلى يوم الدين.

وبعد:

فالقرآن هو معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلى كل الأجيال ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ﴾[1]، فجيل بعد جيل ينهل من معينه ويقف على جانب من جوانبه المباركة، التي تحقق للإنسان السعادة في الدارين، وما اللون إلا جانب من تلك الجوانب، التي احتلت مكانة بارزة من القرآن الكريم، فنراه يستعمل اللون في صورٍ شتى، ذات دلالة متنوعة فمنها دلالة ترغيبية، ومنها ترهيبية، ومنها تشريعية.

واحسب أنَّ هذا الجانب من البحث بحاجة إلى وقفة متأنية للكشف عن دوره في القرآن الكريم، وأخال أنَّنا قد أغفلنا بعض الشيء في فهم هذا الجانب وتذوقه، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، وسبب لاختياره لما فيه من وقفة جلية على مصادر الإعجاز والبلاغة والإبداع، فهو محاولة جادة لخدمة كتاب الله الكريم.

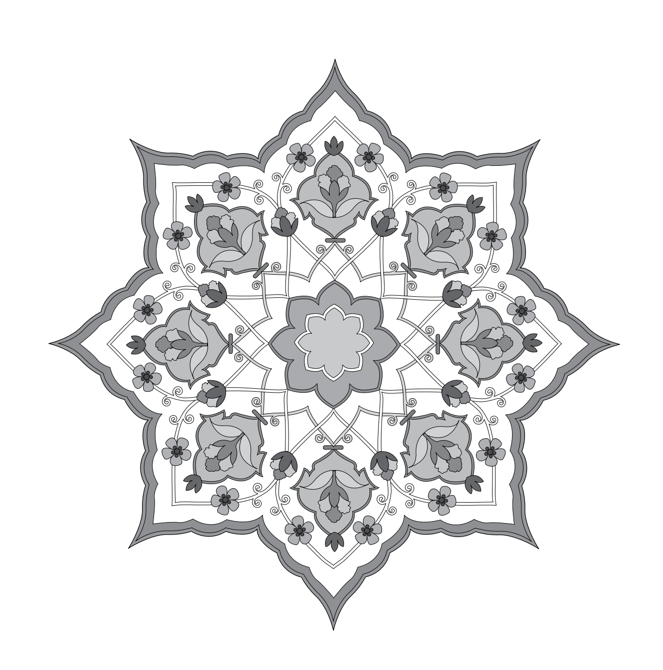




(١) سورة الانعام: ١٩.

وقد انتظمت خطة البحث في مقدمة، ومباحث ثلاثة، الأول في مطالب ثلاثة، الأول تناول مفهوم اللون، ثم تناول المطلب الثاني أهمية اللون، ثم تناول المطلب الثالث، اللون في الأدب العربي، وجاء المبحث الثاني بمطالب سبعة تناولت الألوان، والمبحث الثالث تناول الصفات التي أريد بها لون، بعد ذلك الخاتمة في نتائج وقائمة المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.





المبحث الأول: مفهوم اللون وأهميته ودلالته في الأدب العربي

المطلب الأول: مفهوم اللون في اللغة والاصطلاح

أولا: اللون لغة:

اختلفت كلمة اللغويين في معنى اللون، فمنهم من عده الهيأة، ومنهم من عده الجنس أو النوع أو الصنف من الأشياء، ومنهم من اطلقه على الحالة الصبغية التي يكون عليها الجسم من بياض وسواد ونحوه[١].

لكن الزبيدي قد جعل له أصلا واحدا وهو: (من كل شيء ما فصل بين الشيء وغيره)، وجعل المعاني الأخرى من باب المجاز قال: (و من المجاز اللون النوع، والصنف، والضرب، والجمع ألوان...، واللون هيأة كالسواد، والحمرة، وقال الحرالي: اللون تكيف ظاهر الأشياء في العين، وقال غيره: هو الكيفية المدركة بالبصر من حُمرة وصُفرة وغيرهما)[٢].

ومن خلال تتبع المعاجم وجد أنَّها تواردت على وضع هذه المفرد لمعنيين: الهيأة والنوع، ولكن الصواب ما ذهب إليه الزبيدي، وهو أنَّ أصله الحد أو المميز الذي به يتميز الشيء عن غيره.

---

(١) ظ: الفراهيدي: العين ٨: ٣٣٢ والجوهري: الصحاح ٧: ٤٧ وابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٥: ٢٢٣.

(٢) الراغب الاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٥٢.

ثانيا: اللون اصطلاحا:

لم يبتعد المعنى الاصطلاحي بعيداً عن المعنى الاستعمالي لأصحاب اللغة، فقد اطلق على الهيأة والنوع، قال الراغب(ت٤٢٥هـ): (ويعبّر بِالأَلْوَانِ عن الأجناس والأنواع. يقال: فلان أتى بالألوان من الأحاديث، وتناول كذا ألوان من الطَّعام)[١].

قال الشيخ الطبرسي(ت٥٤٨هـ): (الألوان: عرض يتعاقب على الجوهر، تعاقب المتضاد، وهو عبارة عما إذا وجد حصلت به الجوهر على هيأة مخصوصة، لولاه لما حصلت على تلك الهيأة، ولا يدخل تحت مقدور العباد)[٢]، وعليه الاستعمال القرآني، فقد استعمل القرآن هذه اللفظة في النوع مرة، والهيأة أخرى، فمثال اللون والصبغة الخارجية، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[٣]، فهذه من قدرة الله عز وجل في اختلاف الألسن، فهذا يتكلم العربية، وذاك يتكلم الانجليزية، وغير ذلك، وأكثر من هذا إنَّنا نجد صوت الإنسان ذكراً كان أو أنثى قلما تتفق نبرة صوته مع صوت إنسان آخر، ومع هذا الاختلاف الكبير في الألسنة فإن هناك اختلافاً في اللون أيضا، فمنهم الأسود، والأبيض، والأحمر، والأسمر حتى إن أفراد اللون الواحد مثلاً إذا دققنا النظر فيهم شق علينا أنْ نجد لونين أبيضين أو أسودين متشابهين تماماً، وهذا كله يدل على قدرة الله عز وجل.

ومثال الجنس أو الصنف قول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً

---

(١) الزبيدي: تاج العروس ١٨: ٥١٦.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١: ٢٩٤.

(٣) سورة الروم:٢٢.



فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾[1] أي اختلاف أجناسها وأصنافها، وهذا يكون من باب التذكير بآلاء الله عز وجل، وهو القادر على تصوير الأشياء كيف يشاء.

ثالثا: مفهوم اللون في الحضرات القديمة:

أما في الحضارات القديمة فقد كان للون مفاهيم أخرى، ومثال ذلك أنَّ البابليين اتخذ من اللون رمزاً: (فقد أعطوا في تقاليدهم وعباداتهم لكل نجم من نجوم فلك الشمس السبع لوناً يرمز إليه، فالأسود يرمز لزحل، والأحمر الغامق رمز للمشتري، والأحمر الفاتح رمز للمريخ، والذهبي رمز للشمس، ويرمز الأبيض المصفر للزهرة)[2]، كما نجد الآن في المتاحف أحجاراً ملونة كالتعاويذ أو الخرافات التي كانت تستعمل لأغراض دينيّة أو سحريّة.

وفي الحضارة الفرعونيّة الأمر ذاته، إذ كان الفراعنة يعتقدون أنَّ وضع الأحجار الملونة مع الميت تنفع مع الإنسان في العالم الغربي (الآخرة)، فالحجر الأخضر يفتح فم المتوفى ليعود له الكلام، فهو يدل على الحياة والتجرد، والحجر الأحمر النقي يعطيه الدم، بكونه مصدر الحياة، وتوضع معه قطعة ذهبيّة لتعطيه الصحة، وكأنها مستوحاة من الشمس، وثالثة بنيّة لترد له النفس بكون الأرض منبتاً للزرع.

إذاً اكتسب اللون وألفاظه مفاهيم من خلال الترسبات الفكريّة، والعقديّة، والاجتماعيّة، والظواهر الكونيّة، مما جعل من إحضار تلك الألوان أو ألفاظها إحضارا لتلك المعاني.

---

(١) سورة فاطر:٢٧.

(٢) دملخي: إبراهيم الألوان نظرياً وعملياً: ٧٨.





المطلب الثاني: أهمية اللون:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1].

الرؤيا هنا ليست الحاسة الباصرة، وإنَّما يقصد بها الرؤية الاعتبارية، فإنزال الماء من السماء وأخرجه للثمار المختلفة، هي آية، يرى بها الناظرون بألبابهم قدرة الله عز وجل وإبداعه في هذا الجماد (الأرض الهامدة)، فمن هذا التراب الأسود اكتست الأرض العارية حلةً عشبية من الزهر والثمر مختلف الألوان بين أحمر وأصفر وأبيض... إلى غير ذلك مما لا حصر له من الألوان، فهذا مدعاة إلى السؤال من أبدع هذا؟ ومن صوره على تلك الصور؟

وأفضل الإجابات عن هذا قول الحكماء وهو (سل الأرض من شق أنهارك ومن غرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً)[2]، وهذا يعرف عند علماء الكلام بالهداية التكوينية علماً أن الهداية تنقسم على قسمين: هداية تشريعية، وتتم بإرسال الأنبياء، وهداية تكوينية، وتتم هذه بالنظر إلى الكون وما فيه من دلائل على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[3].

فهذا اللون من الهداية (النظر في آيات الله) أسرع السبل المرشدة إلى طريق الحق، قال

---

(١) سورة فاطر: ٢٧ -٢٨.

(٢) ظ: آل الشيخ: محسن: الفرائد الغوالي ٢: ١٥.

(٣) سورة النحل:١٣.



تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾[٢].

وبهذا يثبت العجز للمخاطب؛ لأَنَّهُ خارج عن مقدوره، فكذلك الألوان بالطبيعة الخارجة عن قدرة الإنسان، وإن كانت هناك محاولات لإيجاد الألوان، لكن هي في الحقيقة كمن يضع قطع زجاج ملونة أمام ضوء الشمس، فما هو الا توظيف للموارد التي أوجدها الله للبشر.

ومن دون اللون ينتفي الجزء الأعظم من الوجود، ولا يمكن أنْ نتصور الحياة على وجه الأرض من دونه؛ لأَنَّه دخل جميع مجالات الحياة، ففي الجانب الروحي نلاحظ أنَّ علماء النفس توصلوا إلى أنَّ بعض الألوان تبعث الهدوء والسكينة، فأوصوا بطلاء غرف النوم والمستشفيات النفسية خصوصاً باللون الأخضر، وتوصلوا إلى أنَّ بعض الألوان تبعث النشاط والحيوية فطليت بها جدران المصانع لزيادة الإنتاج.

وأمّا اللون في الطب فقد كان له دورٌ كبيرٌ في اكتشاف الجراثيم، بتبدل الألوان في محجر العين أو البلعوم أو الجلد. وكذلك في إنتاج العقاقير الطبية، وولج اللون المجالات العسكرية، وذلك بطلاء المعدات العسكرية بألوان مقاربة للون الأرض للتخفي من العدو.

فاليوم يمثل اللون لغة عالمية، تخاطب جميع اللغات، وهذا واضح من خلال

(١) سورة الغاشية: ١٧ - ٢٠.

(٢) سورة الواقعة: ٦٨ -٦٩.



الامتثال للإرشادات المرورية إذ يعرفها القاصي والداني[1]، وطرق اللون باباً آخر يرتبط بالإنسان ارتباطاً وثيقاً ألا وهو باب المعتقد الصحيح - الذي يتوصل به إلى السعادة في الدارين، فهو ذا اللون نجده في كتاب الله العزيز يدل على التشريع، والترغيب والترهيب؛ كي يحقق التكامل الإنساني الهدف الأول من إرسال الأنبياء والمرسلين على مرِّ العصور.

المطلب الثالث: اللون في الأدب العربي ودلالته

اتخذ الإنسانُ لنفسه رموزا كثيرة على مرِّ الأزمان منذ العصور الحجرية إلى يومنا هذا، ولا زال يستعملها في حياته اليومية بكثرة، مثل الخطوط والحركات والأصوات، وكان اللون واحدا من تلك الرموز، التي استعملها في نقل أفكاره وأحاسيسه، فمما ولجه اللون باب الأدب كي يكون رمزا يستطيع من خلاله الأديب رسم صورة حية للمستمع، ويتضح هذا من خلال شعر الجاهلية وصدر الإسلام، وجميع العصور إلى اليوم قال مهلهل بن ربيعة:

فَلَولاَ الرِّيْحُ أُسْمِعُ مَنْ بِحُجْرٍ   صَليلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذُكورِ [2]

فاللون الأبيض رمزٌ يمثل السيف؛ ولأنَّ البياض من لوازمه إذا كان قاطعا ولم يصبه الصدأ.

وهذا امرؤ القيس يعرب بذكر اللون عن رمز آخر يقول:

(١) ظ: التخطيط والألوان:١٥١.

(٢) الديوان: ٦٣.



كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ [(١)]

يعني بيض النعام، وهي بيض تخالط بياضها صفرة يسيرة.

وتبعهم عمر بن كلثوم التغلبي في الرمز للحوادث والوقائع باللون يقول:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِيْنَا

بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَا [(٢)]

فهنا يفخر بقومه ويرمز باللون إلى معاركهم، وكيف يتغير لون راياتهم إلى الحمر بعد أنْ رحن بيضًا، وهو كناية عن شدة بأسهم وغلبتهم.

ومن الذين استعملوا اللون رمزا زهير بن أبي سلمى إذ قال:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم[(٣)]

ومن المعروف أنَّ الزرقة في الماء دليل على صفائه، والماء الأزرق ما خلا من الشوائب.

ومن خلال هذا العرض البسيط يتضح لنا أنَّ لغة العرب واسعة ذات معان دقيقة، قادرة على أداء جميع الأفكار، والإفصاح عن جميع الموضوعات، والتأثير في القلوب بالجمل الصغيرة، وهذا التكامل كان سببا لاختيارها لنقل تعاليم السماء وأحكامها للبشر كافة، وعليه ففهم أدب العرب سبيل يفضي إلى رحاب فهم القرآن الكريم، فهو مَعْلَم يهتدي بها الباحثون والدارسون لكتاب الله عز وجل؛ لأنَّ القرآن جاء على مقتضى حكمة الله عز وجل، التي تنص على إرسال الأنبياء بمعاجز من جنس ما

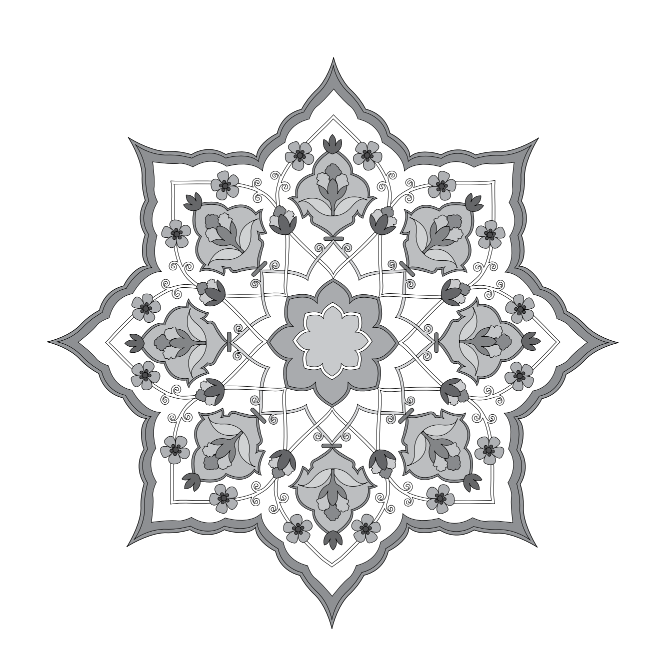
(١) امرئ القيس: الديوان:١١٦.

(٢) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها: ١٤٠.

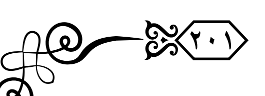
(٣) المصدر نفسه: ١١٤.



اشتهر به قومهم من فنون وصناعات وتهالكوا عليها وتفاخروا بها، فالملاحظ أنَّ قوم موسى عليه السلام اشتهروا بالسحر وبرعوا به، ومع ذلك فإنهم عجزوا عن مجاراة ومعارضة معجزة النبي موسى عليه السلام، وكان أول من آمن به هم السحرة؛ لأنَّهُمْ أعرف بما جاء به موسى عليه السلام، وأنَّه ليس بسحر، كما أنَّ أهل زمان نبي الله عيسى عليه السلام برعوا في الطب، وجاءت معجزته عليه السلام من جنس ما برعوا، به فعجزوا عن ردها أو مجاراتها، كما أَنَّ أهل زمان نبينا محمد صلى الله عليه وآله قد برعوا واشتهروا بالفصاحة والبلاغة والأدب، فإنهم عجزوا عن مجاراة ومعارضة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله فأغمدت ألسنتهم وأشهرت سيوفهم.







المبحث الثاني دلالة اللون في القرآن الكريم

المطلب الأول: اللون الأبيض ودلالته:

البياض: ضد السواد، يقال: ابيضَّ الشيء أي صار أبيضاً، وهي بيضاء والجمع بيض[١]، وقد ورد هذا اللون في القرآن في أحد عشر موضعاً، وتختلف دلالته بحسب ما يقتضيه المقام، والآن نحاول بيان دلالات هذا اللون من خلال تتبعه في النصوص القرآنية.

الأول: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢] قال الطبري في تفسير هذه الآية: هؤلاء أهل طاعة الله، والوفاء بعهد الله، قال عز وجل: ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه[٣]، ومن هذا نعلم أنَّه من يكون على هذه الحالة فهو من أهل الله وخاصته، ولكن ما المقصود من اللون الأبيض في الآية ولماذا اختص بالذكر؟ خير ما نستعين به لمعرفة هذه التساؤلات هي كتب التفسير فلعلماء التفسير فيه قولان:

أحدهما: إنَّ البياض مجاز عن الفرح والسرور، ويقال لفلان عندي يد بيضاء أي

(١) عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم الفاظ القرآن الكريم ١: ١٤١.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٧.

(٣) ظ: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان ٢:٤٠. والزمخشري: الكاشف ١:٣٩٨ - ٣٩٩.



جلية سارة، ولبعضهم[١] في الشيب:

يا بياضَ المشيبِ سوَّدتَ وجهِي	عندَ بيضِ الوجوهِ سودِ القرونِ
فلعمرِي لأُخفينَّكَ جُهدي	عنْ عَيانِي وعنْ عَيانِ العيونِ
بسوادٍ فيهِ بياضٌ لوجهِي	وسوادٍ لوجهكَ الملعونِ [٢]

وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه، ومعناه: الاستبشار والتهلهل عند التهنئة بالسرور؛ يقولون: الحمد لله الذي بيض وجهك، فعلى هذا معنى الآية: أي إن المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه، فإن كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه واستبشر بنعم الله وفضله[٣].

الآخر: إن هذا البياض يحصل في وجوه المؤمنين؛ لأن اللفظ حقيقة فيه، ولا دليل يوجب ترك الحقيقة، فوجب المصير إليه، وذهب إلى هذا القول الشيخ الطبرسي(٥٤٨هـ) بقوله: (وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الإيمان والطاعة)[٤].

والرازي (ت٦٠٦هـ) لا يذهب إلى هذا القول إذ يقول: (لأنه تعالى قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[٥]

(١) ابن الرومي علي بن العباس بن جريج، من طبقة بشار والمتنبي. روميّ الأصل، كان جده من موالي بني العباس. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً.

(٢) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب ط١- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ٢: ٣٥.

(٣) ظ: الرازي: فخر الدين: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٢. والخفاجي، أحمد بن محمد: حاشية الشهاب المسمات عناية القاضي وكفاية الراضي: ٨٤ - ٨٥.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان٢: ٣٦٠.

(٥) سورة عبس: ٣٨-٤١.



فجعل الغبرة والقترة في قبال الضحك والاستبشار، فلو لم يكن المراد بالغبرة والقترة على ما ذكرنا من المجاز لما صح جعله مقابلاً له، فعلمنا أنَّ المراد من هذه الغبرة والقترة الغم والحزن حتى يصح هذا التقابل)[1].

وأمّا دليل القائلين بالحقيقة: إنَّ الحكمة في ذلك أنَّ أهل الموقف إذا رأوا البياض في الوجه عرفوا أنَّ هذا من أهل الثواب، فزادوا في تعظيمه فيحصل له الفرح بذلك من وجهين:

أحدهما: أنَّ السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة، قال تعالى: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2].

الآخر: أنَّهم إذا عرفوا ذلك خصوه بمزيد من التعظيم، فثبت أنَّ ظهور البياض في الوجه سبب لمزيد من السرور في الآخرة[3].

والحمل على الوجهين أولى وهو عموم المجاز[4]،أي يجوز استعمال اللفظ في معنى مجازي - وهو الفرح والسرور - يندرج تحته المعنى الحقيقي لما تصيبه من نعمة ورخاء وطمأنينة قال تعالى: ﴿ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا ﴾[5] هذا في الآخرة.

امّا في الدنيا فهذه الآية تدخل في باب الترغيب إلى عمل الطاعات وترك المحرمات لكي يكون في الآخرة من قبيل من يبيض وجهه لا من قبيل من يسود وجهه[6].

(١) الرازي: فخر الدين: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٢.

(٢) سورة يس: ٢٦- ٢٧.

(٣) ظ: الرازي: فخر الدين: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٢.

(٤) ظ: زيدان: عبد الكريم: أصول الفقه:٣٣٥.

(٥) سورة الإنسان: ١٣.

(٦) ظ: الرازي: فخر الدين: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٣.



ومثله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(١) كناية عن إشـراق الوجوه وإضاءتها؛ لأنَّ (البياض) من لوازم الإشـراق والإنارة والإسفار، ويكون هذا بما قدمت يد العبد من الطاعات، فهي تحث على عمل الطاعات، وهذا من باب الترغيب وتحث على ترك المحرمات، وهو من باب الترهيب.

فمن هذا نخلص إلى أنَّ اللون الأبيض يدل على الفرح والسـرور والترغيب على ما عند الله عز وجل كما يدل اللون الأبيض على النقاء قال زهير بن أبي سلمى:

وأَبْـيَـضَ فَـيّـاضٍ يَــداهُ غَـمامَـةٌ ... على مُعْتَفِيهِ ما تُغِبُّ فَواضِلُهْ(٢)

فيكون على هذا المعنى النقاء من أدناس الشـرك والظلم.

الثاني: قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٣) انصـرف نبي الله يعقوب عليه السلام واعرض عن ولده لشدة الحزن لمّا بلغه حبس بنيامين، وهاج بذلك وجدا بيوسف، وقال: يا طول حزني على يوسف وفي تفسير (ابيضت عيناه من الحزن) قولان:

احدهما: كناية عن غلبة البكاء، فعندها يكثر الماء في العين فتصير وكأنها ابيضت من ذلك الماء، وهذا ما ذهب إليه الرازي. وعلل ذلك بقوله: إنَّ تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى، فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسناً ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل، لأنَّ اللفظ مجاز لا حقيقة فلو كان يعقوب عليه السلام أعمى لكان بياض العين يستلزم تغيير شكلها حقيقة. وعليه فإنَّ دلالة

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٢) زهير بن أبي سلمى: الديوان: ٩١.

(٣) سورة يوسف: ٨٤.



اللون الأبيض في هذه الآية هي شدة حزن نبي الله يعقوب عليه السلام على ولديه[١].

الآخر: أنَّ المراد من البياض هو العمى؛ لأنَّ ابيضاض العين كناية عن العمى، وهو لازم لذهاب سوادها، وهذا ما روي عن مقاتل[٢]، والقمي إذ قال: (يَعْنِي عَمِيَتْ مِنَ الْبُكَاء)[٣]. واستدل السيد الطباطبائي على أنَّ البياض هو كناية عن العمى؛ لقوله تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾[٤] وإلّا ما المناسبة من ذكر يأتي بصيرا[٥].

الراجح هو القول الأول؛ وذلك أنَّ هذا لا يتفق مع مقام النبوة كما ان التعبير بأنْ يرتد بصيرا يحمل على رفع الحزن الذي فيه النبي يعقوب عليه السلام، قال السيد الشيرازي: (وليس في قوله سبحانه ﴿ ارتد بصيرا ﴾ شاهد لذلك؛ فإنَّ هذا التعبير كثيرا ما يؤتى به لإفادة جلاء البصر وذهاب الحزن، فلا منافاة لذلك مع قاعدة وجوب كون الأنبياء تامي الخلقة)[٦].

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[٧] المقصود من قوله تعالى (الخيط الأبيض) ضوء النهار وبقوله (الخيط الأسود) سواد الليل قال الإمام الصادق عليه السلام: (هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ

(١) ظ: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٨ ص١٩٥

(٢) ظ: الطبرسي: مجمع البيان ٤: ١٠٦ وحاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي٥: ٢٠١.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٥٠.

(٤) سورة يوسف:٩٣.

(٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١١: ٢٣٣.

(٦) محمد الحسيني: تقريب القرآن إلى الأذهان ط١-١٤٢٤-٢٠٠٣م الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان٣: ٣٢.

(٧) سورة البقرة: ١٨٧.



مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ)[١]، فيكون المعنى للآية (كلوا في شهر صومكم واشربوا وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد من أول الليل إلى أنْ يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده)[٢] وكذا قول المهلهل بن ربيعة:

وَأَنْقَذَنِي بَيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهَا   لقدْ أنقذتُ منْ شرٍّ كبيرِ[٣]

فقد أضاف البياض إلى الصبح، فمن هذا نعرف أنَّ المقصود من اللون الأبيض في هذه الآية هو الصباح الذي يحرم فيه ممارسة المفطرات، واختلف في استعمال هذا اللفظ على قولين:

أحدهما: أريد بذكر هذا اللون التشبيه، وهذا قول الزجاج، ويستدل الزمخشري على ذلك بقوله: (وأخرجه – من الفجر – من الاستعارة إلى التشبيه فقوله (من الفجر) كقولك: رأيت أسدا من زيد، فلو لم يذكر من زيد كان استعارة، وكان التشبيه هنا ابلغ من الاستعارة؛ لأنَّ الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليه الحال أو الكلام، وهنا لو لم يأت من الفجر لم يعلم إلا استعارة)[٤].

الآخر: جعل البياض استعارة، ودليلهم أنَّهُ لم يبين وفي كلِّ استعارة دليلٌ على حذف المشبه[٥]، وعلى هذا: القول يكون المعنى: حتى يتبين لكم – البياض من السواد شبه الخيط الأبيض.

فمن خلال هذا العرض يتضح لنا مدى أهمية اللون خصوصاً في هذه الآية،

(١) تفسير القمي ١: ٦٧.

(٢) ظ: الطبري: محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤: ١٠٦.

(٣) ديوان الأدب إبراهيم إسحاق إبراهيم الفارابي: ٦٤.

(٤) ظ: الزمخشري: الكشاف ٢: ٥٢.

(٥) ظ: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢: ٢٨١.



التـي تحتـاج إلى ذوق أدبي في معرفـة مقاصدهـا حتى أنَّ هـذه الآية أشـكل فهم المراد منهـا عـلى بعـض الصحابة فقـد أخـذ بعضهم[1] خيطـاً اسـود وآخر ابيض، فشـرع يـأكل وهـو ينظـر إليهما، فلـم يتبين له الفجـر حتى جاء الرسـول صـلى الله عليه وآله واخـبره، فتبسـم النبـي صلى الله عليـه وآله وقال لـه: (إِنَّكَ لَعَرِيـضُ الْقَفَا، إِنَّـمَا ذَلِكَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَـوَادُ اللَّيْلِ)[2].

وهذا من باب العناية والاختراع، أو ما يسمى باللطف الإلهي؛ لأنَّه لا تكليف الا بمقدور، فلو لم تكن هناك دلالة على الإمساك والإفطار لأحتج المبطلون بحجة عدم معرفة الوقت الذي يتم الإمساك والإفطار، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[3].

فاللون في هذه الآية يدل على دلالات عدة تتعلق بفعل المكلف الذي يثاب عليه إنْ فعله، ويعاقب عليه إنْ تركه، فهو ذو دلالة شـرعية فمن هذه الدلالات:

أولاً: إن (من) الأولى لابتداء الغاية، ويفيد معناها لأنها متعلقة بـ (يتبيّن) فتتضمن معنى التميز، والمعنى كي يتضح (لكم الفجر) متميزاً عن غبش الليل، فالغاية إباحة ما تقدم كي يتبين احدهما من الآخر[4]، وفيه قال أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي - محمد بن علي الجواد - عليه السلام: (... الْفَجْرُ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الْمُعْتَرِضُ لَيْسَ هُوَ الْأَبْيَضَ صُعَدَاءَ، فَلَا تُصَلِّ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنَهُ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ خَلْقَهُ فِي شُبْهَةٍ مِنْ هَذَا، فَقَال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

(١) وهو عدي بن حاتم الطائي.

(٢) البخاري: صحيح البخاري ٥: ١٥٦. والاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠٢.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) ظ: الآلوسي: روح المعاني٢: ٦٦.



مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ فَالْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ الْمُعْتَرِضُ الَّذِي يَحْرُمُ بِهِ الْأَكْلُ والشُّرْبُ فِي الصَّوْمِ وكَذَلِكَ هُوَ الَّذِي تُوجَبُ بِهِ الصَّلَاةُ)[١].

ثانياً: الحرمة للوقاع والأكل والشرب بعد هذه الآية الكونيّة، التي تحدد وقت الصوم.

ثالثاً: واستدل بالآية على صحة صوم الجنب؛ لأَنَّهُ يلزم من إباحة المباشرة إلى تبيّن الفجر وإباحتها في آخر جزء من أجزاء الليل متصلاً بالصبح فإذا وقعت كذلك أصبح الشخص جنباً، فأنه يصح صومه ما لم يتجاوز وقت التبيّن[٢].

الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَادْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[٤]، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ عليه السلام: (...قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام ﴿ادْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يَعْنِي مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ...)[٥]، وفي رواية أخرى (أَيْ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ شَدِيدَ السُّمْرَةِ - فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَيْبِهِ - فَأَضَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[٦] وهذا البياض بياض نوراني خارج عن العادة - المعجزة -، وقوله (للناظرين) فيها دلالتان الأولى: أنَّ الناظرين هم من يطلبون النظر إلى الشيء بالبصر وهذا الأمر لم يعهد في زمن فرعون. والثانية: أنَّها جاءت جمعا يدل على كثرة

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٣: ٢٨٢ ك١٢ ب٧ ح١.
(٢) ظ: ابن حيان: البحر المحيط: أثير الدين الاندلسي الغرناطي ٢: ٦٧.
(٣) سورة الأعراف: ١٠٨.
(٤) سورة النمل: ١٢.
(٥) ابنا بسطام، عبد الله وحسين: طب الأئمة عليهم السلام: ٥٥-٥٦.
(٦) القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٢: ١٤٠.



من وقف لرؤيتها تعجباً من أمرها، وكان هذا البياض كما تقدم عن غير مرض أو علة، ويروى أنَّ موسى عليه السلام أرى لفرعون يده وقال: ما هذه؟ قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة[1]، فذكر اللون بهذه الصفة - وأنَّ هذه اليد شديدة السمرة تخرج هذا البياض - يدل على أنَّ هذه اليد ستظهر شرائع تغلب أنوارَها المعنوية الأنوارَ الحسية ويتقوى بها الإيمان بالله[2].

ومن الصور القرآنية التي استعملت لفظة (بيضاء) قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾[3]، وأختلف في هذا البياض على قولين:

أحدهما: أنه صفةٌ للكأس[4]، فهي بيضاء صافية، وهي ببياضها وصفاؤها يلذ الناظر بها، وتملأ عينه بهجة وحبوراً.

الآخر: إنه صفة للخمر، وهذا ما ذهب جمع من المفسرين، وقالوا: خمر الجنة اشد بياضاً من اللبن[5]، وجاء في الأمثل إنَّ فيها دلالة على: (إنّها أشربة طاهرة، خالية من

---

(١) ظ: الزمخشري: تفسير الكشاف ٢: ١٣٨.

(٢) المهائمي: علي بن أحمد: تفسير القرآن: المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ط٢- ١٤٠٣ هـ. ق الناشر: عالم الكتب بيروت ١: ٢٦١.

(٣) سورة الصافات: ٤٥ -٤٦.

(٤) ظ: الطبري: محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤: ١٠٦. الخطيب: عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن الكريم ٦: ٩٨١. الزمخشري: الكشاف ٤: ٤٢.

(٥) ظ: السمرقندي: نصر بن محمد: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ط١-١٤١٦ هـ. ق المحقق: العمروي، عمر الناشر: دار الفكر بيروت ٣: ١٤١. والطبراني: سليمان بن أحمد التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم ط١- ٢٣/ ١٢/ ١٤٢٨ هـ. ق الناشر: دار الكتاب الثقافي أربد ٥: ٣٠٤. والطبرسي: مجمع البيان ٨: ٦٩٢. والفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٢٦: ١٣٦.



الألوان الشيطانية، وبيضاء اللون شفّافة)[١].

وعلى كلا المعنيين فإن اللون الأبيض يدل على النقاء من شوائب الدنيا وأدرانها، وهي باب ترغيب في نعيم الآخرة، فهي تحث الإنسان على التصبر قِبل ملذات الدنيا والعمل في طاعة الله.

الخامس: قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٢]. فالآية معرض من معارض الخلق والإبداع لقدرة الله سبحانه وتعالى، وفيه إلفات إلى هؤلاء السادرين في غيهم الهائمين في ظلمات جهلهم وضلالهم فهي الدليل على قدرة الله وإرادته؛ لأنَّ كون الجبال في بعض نواحي الأرض دون بعضها، والاختلاف الذي في هيأة الجبال فأنَّ بعضها يكون اخفض وبعضها ارفع دليل على القدرة والاختيار، ثم زاده بيان وقال: (جددٌ بيض) أي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها[٣].

فهذه سطور من صفحة الوجود يرى فيها الناظرون بألبابهم قدرة الله عز وجل وإبداعه في هذا الجماد الناطق عن وحدانيته، فإنَّ الناظر فيها يرى أن يداً قادرةً مدبرةً قد أقامتها بحساب دقيق وتدبير محكم إذ إنَّ وراء هذا اللون صفات أخرى لتلك الجبال، ففي هذه الألوان علم ينفذ منه العقل إلى حقائق التوحيد، ولكن من الذي يرى هذا ويدرك الفروق الظاهرة أو الخفية بين هذه المخلوقات إنه لا يرى هذا إلا أهل العلم وأصحاب النظر الذين ينظرون بعقولهم لا بعيونهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا

(١) الشيرازي: ناصر مكارم ١٤: ٣٢٠.

(٢) سورة فاطر:٢٧.

(٣) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٢٦: ١٣٦.



﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١]؛ ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢] تعقيباً على هذه الدعوة الداعية إلى النظر في تلك الأشياء والموجودات.

المطلب الثاني: اللون الأحمر ودلالته:

الحمرة: هي عرض يصيب الجواهر، فتظهر بهيأة مخصوصة، يقال احمر ناصحُ واحمر قانٍ، والشيء أحمر، وهي حمراء، ويجمع على حُمر[٣]، وهو أطول الألوان من حيث الطول الموجي، ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾[٤]، وما ذكر اللون في هذه الآية إلا إضافة لسان إلى الصخور لتتكلم به عن قدرة الله عز وجل، فإن امتد نظر الناظر إلى هذه الصخور سيعلم إنّها ليست ألوانا تجذب الانتباه فقط، وإنما هي هداية تكوينية تلتمسها عقول العلماء، ولهذا جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥]، فالأرض تمثل صفحة من صفحات الهداية، وليقرأ كل من جحد وجود الله عز وجل هذا السطر - لون الصخور - وما خط على هذه الصفحة من صفحات الوجود، التي تتحدث عن قدرة الله عز وجل فهي تحث البشر على التفكير في موجد هذا الكون وخصوصاً هذا اللون الأحمر، ويساعد لون التربة الأحمر

---

(١) سورة الحج:٤٦.

(٢) سورة فاطر:٢٨.

(٣) عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم الفاظ القرآن الكريم ١: ٣١٠.

(٤) سورة فاطر: ٢٧.

(٥) سورة فاطر:٢٨.



علماءها في تقدير كمية الهواء والماء والمواد العضوية، وبعض العناصر في التربة، فقد يدل اللون الأحمر مثلاً على وجود مركبات الحديد في التربة[١]، كما ثبت لدى العلماء قابليته على بعث الحيوية والنشاط في النفس[٢].

المطلب الثالث: اللون الأخضر ودلالته:

الخضرة: لون الأخضر واخضرّ الشيء اخضراراً واخضوضر واخضره غيره تخضيراً، وربما سمي الأسود اخضرّ، وسميت ارض العراق سواداً لكثرة شجرها، وفي الحديث قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيبا فقال: (يا أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)[٣]، وهو كناية عن المرأة الحسناء ذات الخلق السيء[٤].

ولقد ورد ذكر هذا اللون في القرآن في ثمانية مواضع تختلف دلالته من موقع إلى آخر بحسب ما يقتضيه المقام وابرز المعاني التي خرج إليها هذا اللون هي:

الأول: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

---

(١) ظ: الموسوعة العربية ١: ٢١١.

(٢) ظ: كيون: عبد: أصول الرسم والتلوين:٦٣.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٥: ٣٣٢.

(٤) الرازي: مختار الصحاح: ١٧٨-١٧٩.

(٥) سورة الأنعام:٩٩.



قال الزجاج: معنى خضر كمعنى أخضر، يقال: اخضر فهو أخضر، وخضر مثل أعور، فهو أعور وعور، وقال الليث الخضر في كتاب الله عز وجل الزرع كل نبات من الخضرة، ويقول الرازي: (إنَّ الله سبحانه وتعالى حصر النبت في الآية في قسمين حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، فالذي ينبت من الحب هو الزارع، والذي ينبت من النوى فهو الشجر)[١].

لقد سيقت هذه الآية بهذا الإطناب لغرض التفصيل والإيضاح، وبيان قدرة الله تعالى في إنزال الماء من السماء المختص بالله عز وجل، والخارج عن قدرة البشر، وكذا إخراج الزرع، وهو اللون الأخضر الذي يمثل الحياة، فهذه آلاء الله التي أخرجها لعباده لطفاً بهم، فهي رسول صامت يتكلم عن قدرة الله عز وجل، وكيف أن أمره بين الكاف والنون إذ قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَتَفَكَّهُونَ﴾[٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٣].

وهنا نكتة دقيقة جدًا وهو أنَّ الله عز وجل جاء بلفظة (الأخضر) على صيغة (فَعِل). وهو صفة مشبهة من فعل خضر يخضر باب فرح وزنه فعل بفتح فكسر إذ فيه إشارة إلى مسألة مهمة إذ (أكد القرآن أن تشكل المادة الخضراء يتم أولاً ثم يتم إخراج الثمار والحبوب منها)[٤]، (فإن المواد العضوية تتخلق بدءا من المواد الخضراء: الكلوروفيل والكلوروبلاست من خلال عملية التمثيل الضوئي،.. كما أثبته العلم الحديث وكما

(١) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ١٣: ٣٨.

(٢) سورة الواقعة: ٦٣ – ٦٥.

(٣) سورة الحج:٦٣.

(٤) الكحيل: عبد الدائم: كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٤٠.



أشارت إليه الآيات القرآنية، والإشارة إلى هذه المادة هو إعجاز بحد ذاته؛ لأن هذه المادة الخضـراء غير مرئية)[١].

فالمراد من هذا النص وغيره هو العلم والتفكير في هذه الآيات الكونية، التي تدل على أن هناك يدا مدبرة ومسيطرة على هذا النظام العجيب.

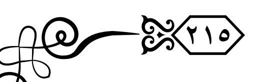
الثاني: قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضر نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[٢].

من دلائل عظيم خلق الله أَنَّهُ يوجد في الجزيرة العربية شجر يعرف بالمرخ والعفار، إذا سحق المرخ على العفار - وهما خضـراوان يقطر منهما الماء- إنقدحت النار منهما[٣]، وهذه الآية جاءت رداً على منكر البعث والنشور، فقال: إنَّ النار في الشجر الأخضـر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب (فَعَرَّفَكُمْ أَنَّهُ عَلَى إِعَادَةِ مَا يَلِيَ أَقْدَر)[٤].

وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإنَّ الله على كل شيء قدير[٥]، وهذا ضـرب من الإعجاز؛ لأنَّ اللون الأخضـر يفيد البرودة والرطوبة أي الماء، والنار تفيد الحرارة واليبس، فالخضـرة في هذه الآية قرينة تفيد اجتماع النقيضين، وهذا خلاف ما يقره العقل؛ لأنَّ النقيضين لا

(١) الأغر: نجيب كريم: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام ط١- ١٤٢٥هـ. ق،الناشر: دار المعرفة بيروت: ٦٠.
(٢) سورة يس:٨٠.
(٣) ظ: تفسير القمي ٢: ٢١٨ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٧: ٢٥٤.
(٤) التفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٢٩.
(٥) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٢٣: ٢٢١.





يجتمعان بحال[١] إلا بأمر الله عز وجل.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[٣].

هنا سؤال يطرح ما الفائدة في ذكر اللون الأخضر إذ وصف الله تعالى ثياب أهل الجنة به؟

الجواب: هو ميل الناس إلى اللون الأخضر في الدنيا أكثر، وسبب الميل إليه هو أنه من الألوان الأساس الثلاثة: وهي الأبيض وخاصيته تفريق البصر، والأسود يختص بجمع، النظر ولهذا كره النظر إلى الأشياء المعتمة، كالدم. والأخضر الذي اجتمع فيه الأمران،ودفع بعضهما أذى بعض، وحصل اللون الممتزج على ميل النفوس إليه[٤]، وأشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا بقوله: (إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْأَطِبَّاءِ لِمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ أَضَرَّ بِبَصَرِهِ إِدْمَانَ النَّظَرِ إِلَى الْخُضْرَةِ، وَمَا قَرُبَ مِنْهَا إِلَى السَّوَادِ، وَقَدْ وَصَفَ الْحُذَّاقُ مِنْهُمْ لِمَنْ كَلَّ بَصَرُهُ الِاطِّلَاعَ فِي إِجَّانَةٍ[٥] خَضْرَاءَ مَمْلُوءَةٍ مَاء)[٦].

وقيل إنّما خصّ اللهُ تعالى ذكر اللون الأخضر لثياب أهل الجنة؛ لأنَّهُ أوفق الألوان للبصر[٧].

---

(١) ظ: المظفر: المنطق: ٣٢٨.

(٢) سورة الكهف:٣١.

(٣) سورة الإنسان:٢١.

(٤) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٢٩: ١٣٦-١٣٧.

(٥) الاجانة- بكسر فتشديد- إناء تغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.

(٦) توحيد المفضل: ١٢٧.

(٧) ظ: الخطيب: عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن الكريم ٨: ١٢٦.



وأرى أنَّ اللون الأخضر يفيد الحداثة وكثرة الخير، كقولهم شاب أخضر، وفلان أخضر أي كثير الخير، والأمر بيننا أخضر: جديد لم يخلق، والمودة بيننا خضراء؛ قال ذو الرمة:

وقد يرى فيها لعين منظر   أَتْرَابُ مَيٍّ وَالْوِصَالُ أَخْضَرُ[٨]

فعلى هذا المعنى يكون اختيار اللون الأخضر سببا لإضفائه جوًا من الحيوية والحداثة، وكثرة الخير، وبقاء الأشياء على حداثتها، وعدم تغيرها قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا...﴾[٩] أي ما كان من النبات غضاً نضراً طرياً بخلاف صفته عند بذره.

أما العلم الحديث فقد وجد أنَّ اللون الأخضر يترك أثراً طيباً في النفس، فهو يدخل السكينة عليها ويشيع روح التفاؤل، وقد ذكر صاحب كتاب كيف تتعلم الرسم أن طبيبا يدعى (بوتر) قام بإجراء تجارب على هذا اللون، فاستعمله مع الضوء الأخضر في حالات الأمراض العصبية، وعقب إجراء العمليات الجراحية، لوحظ على المريض:

١- زوال الصداع الناشئ عن التوتر العصبي.

٢- الارتياح النفسي.

٣- تخفيف التهيج الناشئ عن ارتفاع الحرارة.

٤- النوم الهادئ[١٠].

(٨) الزمخشري: أساس البلاغة:١٦٦.

(٩) سورة الأنعام:٩٩.

(١٠) ظ: كيف تتعلم الرسم وتعلمه: ١٢٢.



ولهذا استخدم الأطباء اللون الأخضر في الشراشف وزيهم أثناء العمليات الجراحية.

المطلب الرابع: اللون الأزرق ودلالته:

زرق لونه يزرق زرقاً: صار إلى لون بين السواد والبياض، فهو أزرق وجمعه زرق[١]، ولقد ورد ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة؛ فقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[٢]. وأختلف في المراد من هذه الزرقة على وجوه:

الأول: يحشرون زرق العيون سود الوجوه، عن ابن عباس، والضحاك، ومقاتل[٣].

الثاني: يحشرون عمياً عن الفراء[٤].

الثالث: ازرقت أعينهم من العطش، عن ابن سيدة[٥].

الرابع: يحشرون عطاشى هذا عن الأزهري[٦]، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[٧].

الخامس: المراد من هذه الزرقة شخوص أبصارهم، عن أبي مسلم[٨]، وهو ما ذكره

(١) عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم ألفاظ القرآن الكريم١: ٥٣٦.

(٢) سورة طه: ١٠٢.

(٣) ظ: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان ٢: ١٤١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الزبيدي: تاج العروس٢٥: ٣٩٤.

(٦) ظ: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان ٤: ١٤١.

(٧) سورة مريم: ٨٦.

(٨) ظ: القاسمي: محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ١١: ٤٢٨.



علي بن إبراهيم في تفسيره[١].

بعد هذا العرض هنا سؤال يطرح لماذا اختير هذا اللون؟

الجواب: لأنَّ الزرقة أسوأ ألوان العيون وابغضها إلى العرب؛ لأنَّ الروم كانوا أعدى أعدائهم، وهم زرق العيون، وكذلك قالوا في صفتهم: (العدو السود الكبد أصهب السبال، ازرق العيون)[٢].

أما العلم الحديث يفسر هذه الزرقة التي تعلو الوجه هي أولى الدلالات على انحباس الدم وتجمده في كيان الإنسان مما يعاني من ضيق وبلاء[٣].

وقيل: إنَّهُ وصف الشيء بصفة جزئه، كما يقال غلام أكحل، فيكون مجازاً على هذا المعنى[٤].

أما إذا عدت الزرقة من لوازم العمى فهو كناية عنه[٥].

وارى أن اللون الأزرق الذي يكسو أهل النار ما هو إلا دليل على الهلاك والهم والكرب والحزن، وله الدلالة نفسها في الموروث الأدبي عند العرب، يقول مهلل بن ربيعة:

حَتَّى تُكسر شَزْراً فِي نُحُورِهِم زُرْقَ الأَسِنَّةِ إِذْ تُرْوَى صَوَادِيهَا[٦]

(١) القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٢: ٦٤.

(٢) ظ: الزمخشري: الكشاف ٢: ٥٢٢. والبيضاوي: عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٢.

(٣) ظ: الخطيب: عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن الكريم ٦: ١٢٧.

(٤) ظ: الخفاجي: أحمد بن محمد: حاشية الشهاب المسمات عناية القاضي وكفاية الراضي ٦: ١٢٦.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ظ: الموسوعة الشعرية برنامج رقمي.



فانه أعطى للأسنة وصف الزرقة التي بها هلاك عدوهم.

وكذا يقول امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ[١]

فهو يصف رمحه الذي يضاجعه بالزرقة، التي تشابه أنياب الغول الذي كان أمره يهولهم.

المطلب الخامس: اللون الأسود ودلالته:

السواد: اللون المضاد للبياض، سَوِدَ فهو أسود وجمعه سود[٢]، ولقد ورد ذكر هذا اللون في القرآن الكريم في ستة مواضع، يخرج إلى معاني عدة بحسب ما يساق له وهي:

الأول: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٣]. ويقصد بهذا السواد سواد الليل، ومصداق كلامنا حديث الرسول صلى الله عليه وآله؛ إذ قال الخيط الأبيض: (بياض النهار والخيط الأسود سواد الليل)[٤].

والخيط الأسود هنا فيه قولان:

أحدهما: أنه استعارة، وهو ضعيف؛ لأن في كل استعارة دلالة على حذف المشبه[٥].

---

(١) ديوان امرئ القيس حسن السندوبي: ٣٨.

(٢) عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم ألفاظ القرآن الكريم ١: ٦٣٠-٦٣١.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) ظ: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان ٢: ١٧٦.

(٥) ظ: الزمخشري: الكشاف ٢:٥٢.



الأخر: إنه تشبيه وهذا مختار السكاكي والزمخشري[١]، فكانت لذكر اللون الأسود دلالة مقصودة تعود بالنفع على المكلف، فهو من باب اللطف الإلهي فهو علامة للصائم لجواز الأكل والشرب والجماع من بعد صلاة العشاء الأول إلى صلاة الفجر فهو ذو دلالة شرعية تعرف بالحس.

الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٢]. هذا السواد في هذه الآية فيه قولان:

أحدهما: إنَّ السواد مجازٌ عن الغم والحزن[٣]، فيكون المعنى إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة اسود وجهه حزناً واغتماماً.

الآخر: إنَّ هذا السواد حقيقة، يحصل في وجه الكافر[٤]، ولهذا السواد دلالات كثيرة منها:

١- الترهيب من مصير الكافرين، وما ينالهم من عذاب اليم، والحث على ترك المحرمات وهذا في الدنيا.

٢- سواد الوجه سبب لمزيد من الغم والحزن والندم على ما فاته من الدنيا.

٣- اتفق قديماً وحديثاً على أنَّ اللون الأسود يدل على الحزن وضيق الصدر.

---

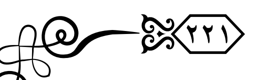
(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة آل عمران:١٠٦.

(٣) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٣.

(٤) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٤. والزمخشري: الكشاف ٢: ٥٢.





نكتة في تقديم اللون الأبيض على اللون الأسود في القرآن:

قدم اللون الأبيض على اللون الأسود؛ لأنَّ اللون الأبيض يمثل الرحمة وهي المقصود من الخلق لا إيصال العذاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى: (خلقتهم ليربحوا عليَّ لا لأربح عليهم)[١]، فكان الابتداء به؛ لأنه يمثل أهل طاعته وهم الأشرف، فكان من باب تقديم الأشـراف على الاخس، وهذا منهج العرب في أدبياتهم فكانوا يذكرون في مطلع كلامهم ما يسـر ويشـرح الصدر[٢].

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشر أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشر بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٣].

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشر أَحَدُهُمْ بِمَا ضربَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٤]. قال الطبرسي في تفسير هاتين الآيتين (ظل وجهه مسوداً): أي صار متغيراً لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة، فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم، وهذا غاية الجهل[٥].

إنَّ اسوداد الوجه في هاتين الآيتين كناية عن الغم؛ وذلك؛ لأنّ الإنسان إذا فرح وانشـرح صدره وانبسط روح قلبه ووصل إلى الأطراف ولاسيما الوجه لما بينهما من التعلق الشديد وإذا وصل الروح إلى ظاهر الوجه تلألأ واستنار.

---

(١) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٢.

(٢) ظ: المصدر نفسه ٨: ١٨٢.

(٣) سورة النحل:٥٨ -٥٩.

(٤) سورة الزخرف: ١٧.

(٥) ظ: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤: ١٨.



أمّا إذا قَوِيَ غمُ الإنسان احتقن الروح في باطن القلب[١] فيكمد الوجه، ويغبره ويعلوه السواد وعدَّ كناية؛ لأنَّ السواد من لوازم الغم والحزن والكراهية.

وكذا يفيد التكتم يقال ساودته: إذا ساررته؛ لأنك تدني سوادك من سواده[٢]، فعلى هذا المعنى يكون الذي بشر بالأنثى يكتم في نفسه حيرة وتردداً وغماً شديداً واضطراباً، وأنَّهُ يحاول أن يكتم ما رزق به، ومصداق كلامنا قوله تعالى: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[٣].

المطلب السادس: اللون الأصفر ودلالته:

صفر: الصفرة: اللون دون الحمرة، أو بين السواد والبياض، والوصف أصفر وصفراء، والفعل اصفر يصفر فهو مصفر[٤].

ولقد ورد ذكر هذا اللون في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وخرج هذا اللون إلى معان عدة كالألوان الأخرى بحسب ما تساق إليه وهي:

الأول: قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[٥]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أَيْ شَدِيدَةُ الصُّفْرَة)[٦]. قال وهب: كان شعاع الشمس يخرج من جلدها، ولهذا قال

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤: ١٨.

(٢) ظ: الزمخشري: أساس البلاغة: ٣١٢.

(٣) سورة النحل: ٥٩.

(٤) عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم الفاظ القرآن الكريم٢: ٧٦.

(٥) سورة البقرة: ٦٩.

(٦) تفسير القمي ١: ٥٠.



ابـن عبـاس: أنّ الصفـرة تسـر النفـس، وحض عـلى لباس النعـال الأصفـر، حكاه عنـه النقـاش، وقـال الإمـام علي عليـه السـلام من لبـس نعلي جلـد أصفر قـلَّ هَمُّهُ؛ لأنَّ الله تعـالى يقول: ﴿ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسر النَّاظِرِينَ ﴾ رواه عنـه الثعلبـي[١].

وجاء في الفتوحات الإلهية: أي يحملهم - اللون الأصفر- على التعجب من شدة صفرتها لغرابتها وخروجها عن المعتاد[٢].

فهذا اللون في البقرة حقيقي، وحصول السـرور يتم بوقوع أبصار الناس على ما هو غير مألوف لديهم، وليس من صفاته التنفير أو التخويف، ويقول سيد قطب: سـرور الناظرين لا يتم إلا أنْ تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط البقرة المطلوبة، فهذا الشائع في طباع الناس أنْ يعجبوا ويسـروا بالحيوية والاستواء، وأنْ ينفروا من الهزل والتشويه ويشمئزوا[٣].

وجاء في العلم الحديث أن اللون الأصفر يبعث الحيوية والنشاط، ويفيد المصابين بضعف عام ويساعد على تهدئة الأعصاب.

وقيل أراد بصفراء هنا سوداء شديدة السواد كما في قول الشاعر:

تـلـك خيـلي منـهـا وتـلـك ركـابي　　　هـن صفر أولادهـا كالزبيب[٤]

والأول أصح،لإنَّ الإبل إنْ وصف به دل على السواد، وانه لا يوصف به البقر على

---

(١) ظ: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٥١. والطبرسي: مجمع البيان ١: ٢٤٩.

(٢) ظ: الشافعي: سليمان ابن عمر العجيلي: الفتوحات الالهية: ٢٧٩.

(٣) ظ: سيد قطب: في ظلال القرآن ١: ٧٩.

(٤) الأعشى: الديوان: ٣٨٥.



إرادة السواد بل يراد به الصفرة[١].

الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشررٍ كَالْقَصر * كَأَنَّهُ جِمَالَتُ صُفْرٌ﴾[٢]، قال الطبرسي في تفسير هاتين الآيتين (أنها ترمي): أي جهنم (بشرر)، وهو ما يتطاير من النار في الجهات (كالقصر) أي مثله في العظمة وتخويفاً للناس، وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس ومجاهد، والعرب تشبه الإبل بالقصور، قال عنترة:

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلون[٣]

والفدن القصر، ثم شبهه في لونه بالجملات الصفر فقال: (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) أي كأنها أينق سود لما يعتري سوادها من الصفرة عن الحسن وقتادة، وقال الفراء لا ترى الأسود من الإبل إلا وهو مشروب بصفرة، ولذلك سمت العرب سود الإبل صفراء[٤].

على حين ذكر غير واحد معنى آخر لجِمالة، وهو: حبل ضخم من ليف أو خوص من حبال سُفُن البحر، أَو كالحبل من حبال الجُسور، وقرئت جِمالَتٌ صُفْرٌ، على هذا المعنى[٥].

فبعد الاطلاع على تفسير هاتين الآيتين يظهر لنا إنَّ ذكر اللون الأصفر هنا قرينة تبين حجم الشرر المتطاير من جهنم، التي نورها ظلمة بالمقارنة مع شرر

(١) ظ: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١: ٢٩١.

(٢) سورة المرسلات:٣٢ – ٣٣.

(٣) عنترة بن شدّاد: الديوان، طبع بيروت:١٤.

(٤) ظ: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ١:٢٩٤.

(٥) ظ: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: تفسير غريب القرآن ط١–١٤١١ هـ. ق الشارح: رمضان، إبراهيم محمد الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت: ٤٣٣. وابن منظور: لسان العرب ١١: ١٢٤.



الدنيـا الـذي مـع صغـره قد يسـبب الكـوارث، فهو مـن بـاب الترهيـب والترغيب فأمّـا الترهيـب لمّـا ينـال الكافريـن من عـذاب أليـم، وأما الترغيـب فمـن أدرك هذا كان حـري بـه أن يعمـل صالحـا ليصـرفه عنه العـذاب، فهـو حـث وحـضَّ عـلى العمـل بطاعـة الله عـز وجل، ومصـداق كلامنـا تعليق ابـن ناقيا البغـدادي على هذه الآيـة إذ قـال: (إنـما ظاهر في التشبيه الشـرر تأكيـداً للتخويـف من النار تـراءى به، وتعظيـماً لشـأنها وإرهابـاً للكافريـن مـن سـطوتها، والتشـبيه عـلى هـذا النحـو بغير حـرف العطـف آكـد في صفة الموصـوف في نعتـه من تشـبيه المعطـوف)[١].

الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[٢]، هذه الآيات وردت في معرض التذكير، فهي أمثلة لتذكير الناس لعلهم يذكرون ويستيقظون من نومهم، ففي الآية: ذكر الله عز وجل الريح المصفرة، وهي كناية عن الفقر والجوع والعذاب، فأنَّ هذه الريح لا تحمل مطراً ولا تلقح زرعاً، وإنما هي جاءت لإنزال العذاب بالقوم الظالمين، وبعضٌ ارجع الهاء في (فرأوه) إلى الزرع (الذي يصفـر بالريح للجفاف ويحول عن حال الاخضـرار، فيصير إلى الهلاك ويقنط صاحبه الجاهل بتدبير ربه في ما يأخذ به من الشدة بأمره تارة والرخاء أخرى ليصح التكليف بطريق الترغيب والترهيب)[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) ابن ناقيا: عبد الله بن محمد بن الحسين: الجمان في تشبيهات القرآن،ط١-١٩٧٨ تح: محمود حسن أبو ناجي الشيباني الرياض:٢٨٧.

(٢) سورة الروم: ٥١

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٨: ٢٦٣.



لَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[١]، ومثله قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[٢].

أَمَّا هاتان الآيتان فإنها أروع مثل ضـرب للإنسان، وهما صفحة من صفحات الهداية التكوينيّة، إذ تبين لنا هاتان الآيتان مآل الأشياء من الموجودات من نبات وحيوان وإنسان، يقول الرازي في تفسيرهما: يعني أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وإنه وإنْ طال عمره فلا بدّ له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون متحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكره حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيباتها. والحاصل أنه تعالى لمّا ذكر في الآيات المتقدمة ما يقويِّ الرغبة في الآخرة وذكر في هذه ما يقوي النفرة من الدنيا فشـرح صفات القيامة يقوي الرغبة في طاعة الله عز وجل، وإنما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا؛ لأنَّ الترغيب في الآخرة مقصود بالذات، والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض، والمقصود بالذات متقدماً على المقصود بالعرض[٣].

وقيل: إنَّه مثل ضـربه الله تعالى للقرآن ولصدور من في الأرض أي انزل من السماء قرآنا فسلكه في قلوب المؤمنين، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه أي دنيا مختلفاً بعضه

(١) سورة الزمر:٢١

(٢) سورة الحديد:٢٠

(٣) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٢١: ٢٦٤.



أفضل من بعض، فأمّا المؤمنون فيزدادون إيماناً، وأما الذين في قلوبهم مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع[1].

وقال الطبرسي: معناه أن إخراج هذه الزروع ألوانا مختلفة بماءٍ واحد ونقلها من حال إلى حال تذكيراً لذوي العقول السليمة إذا تفكروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحته بالإنذار والبعث والإعادة[2].

فمن هذا العرض يتضح لنا أنَّ اللون الأصفر يفيد الزوال والفناء، المتمثل بالهرم ثم الموت هذا من وجهة، ومن جهة أخرى يفيد النشاط والحيوية لتدارك ما بقي من العمر قبل الوصول إلى هذه المرحلة بعمل الطاعات والإكثار منها.

المطلب السابع: اللون الغربيب ودلالته:

الغربيب: لون شديد السواد وإذا قيل غرابيب سود يجعل السواد بدلاً من غرابيب؛ لأنَّ توكيد اللون لا يتقدم[3] ومصداق كلامنا قول امرئ القيس:

فاليَدُّ سابحة والرِّجلُ ضارحة ... والعينُ قادِحة واللونُ غِرْبِيبُ[4]

ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[5].

و(غرابيبُ سود) أي طرائق سود؛ جمع: غربيب، وهي الذي أبعد في

(١) ظ: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨: ٢٤٦.

(٢) ظ: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥: ٧٦.

(٣) ظ: الرازي: مختار الصحاح: ٤٧٠. وعبد الباقي: محمد فؤاد: معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢: ٧٤.

(٤) ديوان امرؤ القيس حسن السندوبي: ٣٨.

(٥) سورة فاطر: ٢٧.

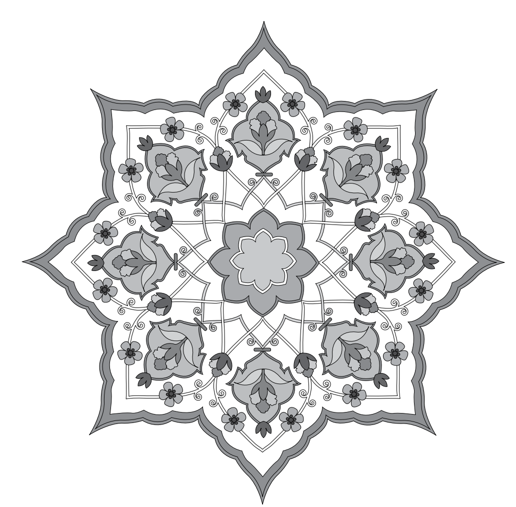


السـواد وأغـرب، ومنـه: الغـراب. قـال الهـروي: هـي الجـواد - الطرائـق- ذوات الصخـور السـود(١).

إنَّ هذا اللون جعل الصخور الصماء تتكلم عن قدرة الله عز وجل، فهذا قبس من نور قدرته عز وعلا، وكيف انه جعل هذه الصخور ذات العنصر الواحد تختلف وتتفاوت فيما بينها في اللون، فالناظر إليها يعرف أن يداً قادرة وراء هذا التكوين ورداً على من قال: إنَّ هذه الصخور من صنع الطبيعة.

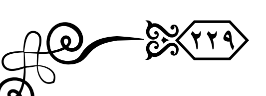
فعليه إن هذا اللون آية من آيات الله عز وجل وتفضي إلى سبيل معرفة الله عز وجل فهو ذو دلالة عظيمة.

وأما العلم الحديث فإنه يقول أن أشد أنواع الصخور هو الحجر الأسود لما لجزيئاته من تماسك.



(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٣٤٣.





المبحث الثالث تعابير مجازية أريد بها ألوان

المطلب الأول: تعابير تمثل البياض

لقد وردت ألفاظ في كتاب الله عز وجل خرجت إلى دلالة البياض على خلاف ما وضعت له في اللغة وهي:

أولا: قوله تعالى في وصف أهل الجنة وما ينالونه فيها من نعيم، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾[١]، فالنضارة هنا لورق الشجر إذا اخضر وظهر حسنه، ونضر الوجه حسن، فهو ناضر وهي ناضرة، والنضار الخالص من كل شيء، والنضرة بوزن البصرة الحسنة والرونق[٢]، وجاء في تفسير هذه اللفظة إنّها تعني الناعمة والبهجة والحسنة عن ابن عباس، والحسن، وقيل مسرورة عن مجاهد، وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي[٣]، وهذا ما ارجحه؛ لأنَّ الله عز وجل يقول في وصف أهل الثواب: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤].

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾[٥] فهو من اسفر يسفر، وهو مقلوب

---

(١) سورة القيامة:٢٢.

(٢) الرازي: مختار الصحاح: ٦٤٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٦: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٧.

(٥) سورة عبس: ٣٨.



الفسر، واسفر، الصبح إذا أضاء، واسفر وجهه حسنا واشرق[١]، فهي قريبة من قوله تعالى:: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ فهذا الإسفار يحصل في الوجوه التي طالما عبدت الله عز وجل، وتكون مجازا عن الفرح والسرور، الذي ينال أصحاب هذه الوجوه في الآخر، كما فيها دلالة على الحث والتنشيط؛ لتدخل في باب الترغيب للحصول على تلك المقامات بامتثال أوامر الله عز وجل؛ لأنَّ العرب يكنون عن الفرح والسرور بالبياض إذ يقولون: الحمد لله الذي بيض وجهك[٢].

ثالثا: من الألفاظ التي تعبّر عن اللون الأبيض قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[٣] إذ شبه الحور بالبيض، الذي يكنه الطير بالريش من الغبار والريح عن الحسن، وفي معناه قول امرئ القيس:

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ[٤].

وقيل شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وقبل ان تمسه الأيادي وقال أيضا:

و بَيْضَةِ خِدْر لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غيْرَ مُعْجَل[٥].

وشبهن بالبيض لصفاء اللون ونقائه؛ لأنَّ البيض يكون صافي اللون إذا كان تحت الطائر.

رابعا: استعمل القرآن الكريم اللؤلؤ ليدل على لون الأبيض، قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ

---

(١) الرازي: مختار الصحاح: ٣٠٠.

(٢) ظ: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ٨: ١٨٢.

(٣) سورة الصافات: ٤٩.

(٤) امرئ القيس: الديوان:١١٦.

(٥) امرئ القيس: الديوان:٣٨.



عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾[١]. أي تحسب هؤلاء الولدان من الصفاء وحسن المنظر كاللؤلؤ وهذا تشبيه ببياض اللؤلؤ النقي[٢].

خامسا: مما استعمله القرآن الكريم ليدل على اللون الأبيض اشتعال الرأس بالشيب، قال تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[٣] فلفظ اشتعل مستعار والمستعار له الشيب الذي شبهه بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه، وأخذ منه كل مأخذ باشتعال الشيب[٤].

المطلب الثاني: تعابيرتمثل السواد:

أولا: إنَّ استعمال التعابير المجازية وإرادة اللون منها ظاهرة من ظواهر الإعجاز القرآني، وهو من الاتساع الدلالي الذي تميزت به لغة العرب، إذ يستطيع القارئ الوقوف على إبعاد ما يقرؤه من ألفاظ وضعت لشيء ودلت على شيء آخر، فمثلا نلاحظ أنّ الله عزّ وجلّ يصف الجنة بقوله: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ ﴾[٥] المراد من هذه الدهمة هي السواد من ريّها وشدّة خضرتها؛ لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد[٦]، وهذا كناية عن كثافة الأشجار وتشابكها، وعدم دخول الضوء من خلالها، وقيل هي الخضرة في تمامها

---

(١) سورة الإنسان: ١٩.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان ٦: ١٥٠.

(٣) سورة مريم: ٤.

(٤) مطلوب: احمد البلاغة والتطبيق: ٣٥٨.

(٥) سورة الرحمن: ٦٢-٦٤.

(٦) الثعلبي: أحمد بن محمد: الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي المحقق: ابن عاشور، أبي محمد مراجعة وتدقيق: الساعدي، نظير ط١ - ١٤٢٢ هـ. ق الناشر: دار إحياء التراث العربي،بيروت ٩: ١٩٣.



تضرب إلى السواد[١]، وذكر صفات الجنة هو باب من أبواب الترغيب والتحبيب لنيل تلك الجائزة.

ثانيا: من الألفاظ التي استعملها القرآن لتدل على السواد لفظة(الصريم) في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[٢]، فاصل الصرم هو الحصاد والقطاف في الزرع، والصريم الليل الأسود وانشد أبو عمرو بن العلاء:

أَلاَ بَكَرَتْ وَعَاذِلَتِي تَلُومُ تُهَجِّدُنِي وَمَا انْكَشَفَ الصَّرِيمُ[٣].

ويسمى النهار أيضا صريما من باب الأضداد؛ لأنَّ الليل ينصرم عند مجيء النهار، والنهار ينصرم عند مجيء الليل، ونرجع إلى الآية فالمراد منها أنَّ تلك الجنة أصبحت كالليل المظلم، وقيل كالرماد الأسود بلغة خزيمة[٤]، وهو هنا كناية عن السواد الذي هو لازم الاحتراق، وهذا من باب إثبات قدرة الله عز وجل.

ثالثا: ومما يدل على لون السواد لفظة (عبس) وهو تغير لون الوجه وانقباضه كما في قوله تعال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[٥]، أي بسر وقبض وجهه، فهذه الألفاظ تدل على تغير لون الوجه وانقباضه لما يصيبه من العوارض، التي تكدره كالحزن والهم والغم، ومن الأصل ذاته يصف الله عز وجل ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٦]، أي مكدرا تعبس فيه الوجوه، ووصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الهول والشدة (و هذه استعارة؛ لأن العبوس من صفة الإنسان القاطب المعبّس، فشبّه

(١) الطبرسي: مجمع البيان٦: ١٠٦.
(٢) سورة القلم: ٢٠.
(٣) استشهد به الطبري في جامع البيان: ٢٩: ٣٨، والطبرسي في مجمع البيان: ١٠: ٩١.
(٤) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ١٠٦.
(٥) سورة عبس: ١.
(٦) سورة الإنسان: ١٠.



سبحانه ذلك اليوم- لقوّة دلائله على عظيم عقابه، وأليم عذابه- بالرجل العبوس)[١].

يقول ابن عباس: يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطر[٢]، وهذا يجعل الوجوه تتقلص وتنقبض، ويتغير شكلها الخارجي، وهذا فيه من الترهيب ما يحمل النفوس على اتقاء شر ذلك اليوم بالرجوع إلى الله عز وجل.

رابعا: من الألفاظ التي توحي إلى السواد لفظة الظل، قال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[٣] أي نار لها ثلاث شعب، سماها ظلا لسواد نار جهنم، وقيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبة تكون فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله[٤].

خامسا: ومن التي استعملها القرآن للدلالة على اللون الأسود هي لفظة (اغطش) في قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[٥]، أي اظلم الليل[٦]، والغطش الظلمة، واغطشه الله اظلمه، واغطش الليل مثله[٧]، وهذا في معرض بيان قدرة الله عز وجل ففيه من الترغيب والترهيب ما يحمل النفس على الرجوع إلى الله عز وجل.

(١) الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ١٤٤.

(٣) سورة المرسلات: ٣٠.

(٤) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ١٤٤.

(٥) سورة النازعات: ٢٩.

(٦) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ١٦٢.

(٧) الرازي: مختار الصحاح: ٤٧٦.



المطلب الثالث: تعابير مجازية أريد بها ألواناً:

أولا: إنَّ الألفاظ القرآنية من خصائصها البلاغة والفصاحة والإعجاز فقد كان لها دور كبير في إيصال أهداف السماء إلى الناس من خلالها، وإظهار قدرة الله عز وجل في الإيجاد والإبداع، ومن هذه المظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [1] ففي هذه الآية المباركة يبيّن الله عز وجل اصل الحليب (الأبيض) الذي يخرج من بين الفرث (الأخضر) والدم (الأحمر) خاليا من الخضرة والحمرة، وكيف خرج من هذين اللونين! فهذه في حد ذاته آية من آيات الله عز وجل.

ثانيا: في قوله تعالى: وهذا تشبيه يدل على تقوس القمر عندما يصبح هلالا، وشبهه بعذق النخلة عندما يصفر ويتقوس، وهو دليل على دورة الحياة.

ثالثا: في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [2] وهذا التنفس يعرف في علم البلاغة بالاستعارة المكنية، وهي التي حُذف فيها المشبه به، أي تنفس الإنسان وأراد منه تجسيد صورة الأسفار والإضاءة في الصبح، وكيف تنتشر كالنفس بالنسبة إلى الإنسان، الذي تكون به حياته، وهي صورة قريبة من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [3] فالنفس هو بياض الصبح، وهذا دليل من أدلة العناية والاختراع، التي تدل على وجود الله

(١) سورة النحل:٦٦.

(٢) سورة التكوير:١٨.

(٣) سورة البقرة:١٨٧.



عـز وجـل. ومثله قوله تعـالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[١] ومثله قولـه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[٢] أي رب الصبـح وخالقـه ومدبـره ومطلعـه متـى مـا شـاء عـلى ما يـرى مـن الصـلاح فيـه، وانّما سـمي الصبـح فلقا لانقـلاب عمـوده في الضيـاء عن الظـلام، كـما قيل لـه الفجر لانفجـاره بالنـور وذهـاب ظلمـة الليل[٣].

رابعا: من التعابير المجازية التي دلت على لون لفظ (وردة) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٤]، أي فصارت السماء حمراء كلون الفرس الورد،و هو نبات أبيض يضـرب إلى الحمرة في الشتاء، وإلى الصّفرة في الربيع، والى الغبرة إذا اشتد البرد، فهو يشبه السماء يوم القيامة بهذا الاختلاف، وقيل أراد به وردة النبات، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب فيها الحمرة، فتصير كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان عند انقضاء مدتها وهي قيام الساعة[٥]، وهي من الصور المرعبة التي تبعث في النفس الخوف من القادر عز وجل، الذي جعل هذا السقف الذي يقل هذه الكواكب ينساب كالدهان.

---

(١) سورة المدثر:٣٤.

(٢) سورة الفلق:١.

(٣) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ٢٨٦.

(٤) سورة الرحمن:٣٧.

(٥) ظ: الطبرسي: مجمع البيان٦: ٢٨٦.



الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث أنَّ اللون في القرآن الكريم ما هو الا لغة تجسدت من خلالها كثير من المعاني، وما كان القرآن بدعا في مخاطبة الناس بل تبع ما سارت عليه سليقتهم وبرعوا فيه من أشعارهم وأدبهم، فحرص القرآن الكريم على تلمس مواطن الجمال لديهم من خلال عرض الألوان في كثير من الآيات القرآنية، فجاءت دالة على معان تنزع إليها النفوس، فقد نجد اللون في كتاب الله العزيز يدل على التشريع، والترغيب والترهيب كي يحقق التكامل للإنسان، وجعل الله سبحانه وتعالى لكل لون خاصية وصفة تميزه عن غيره، كما ذكرنا في أقسامه وأنواعه وهي كالآتي:

أولاً: اللون الأبيض: ذكر الله سبحانه وتعالى هذا اللون في أحد عشر موضعاً وذكر علماء التفسير قولين:

أحدهما: أنَّ البياض مجاز يدل على الفرح والسرور، ومعناه الاستبشار والتهلل عند التهنئة بالسرور.

والآخر: أنَّ البياض يحصل في وجوه المؤمنين؛ لأن اللفظ حقيقة فيه ولا دليل يوجب ترك الحقيقة.

ثانيا: اللون الأحمر: فقد ذكر اللون الأحمر في القرآن مرة واحدة، وقد ذكر العلماء خصوصية اللون الأحمر قابليته على بعث الحيوية والنشاط في النفس.

ثالثاً: اللون الأخضر ذكر اللون الأخضر في القرآن الكريم في ثمانية مواضع



مختلفة دلالته من موقع إلى آخر، ونجد ميل الناس إلى اللون الأخضـر في الدنيا أكثر؛ وسبب الميل إليه أنه يعد من الألوان الأصلية الثلاثة وهي الأبيض والأسود والأخضـر، كما تبين سبب اختصاص ذكر اللون الأخضـر لشباب أهل الجنة، وكذلك اللون الأخضـر لما يفيده من الحداثة وكثرة الخير، أمّا العلم الحديث فقد ذكر أن اللون الأخضر يترك اثراً طيباً في النفس، فهو يدخل السكينة عليها، ويشبع روح التفاؤل وقد قدمت تجارب على هذا اللون فقد استخدم في حالات الأمراض العصبية، فلوحظ على المريض أمورا عدة:

١ـ زوال الصداع الناشئ عن التوتر العصبي.

٢ـ الارتياح النفسي.

٣ـ تحقيق التهيج الناشئ عن ارتفاع الحرارة.

٤ـ النوم الهادئ.

ربعاً: اللون الأزرق: ورد ذكر هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة، أما العلم الحديث: يعُّد الزرقة التي تعلو الوجه وهي أولى الدلالات على انحباس الدم في كيان الإنسان مما يعاني من ضيق وبلاء، وأنَّ اللون الأزرق الذي يكسـو أهل النار ما هو الا دليل على الهم والكرب والحزن وكذلك يدل على العناء والتعب.

خامساً: اللون الأسود: وقد ذكر في القرآن الكريم في ستة مواضع، وقد عُدَّ اللون الأسود من لوازم الغم والحزن والكراهية وكذلك يفيد التكتم.

سادساً: الأصفر: وقد ذكر في القرآن الكريم خمسة مواضع، وقد دل على انه يحمل على التعجب، وإدخال السـرور في قلب من ينظره، وفي العلم الحديث ان اللون



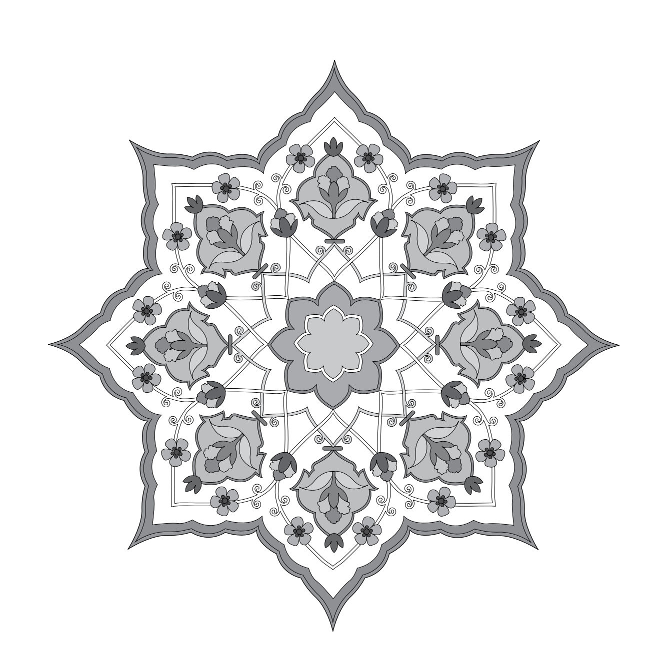


الأصفر يبعث الحيوية والنشاط، ويفيد المصابين بضعف عام ويساعد على تهدئة الأعصاب، واللون الأصفر يفيد أمرين:

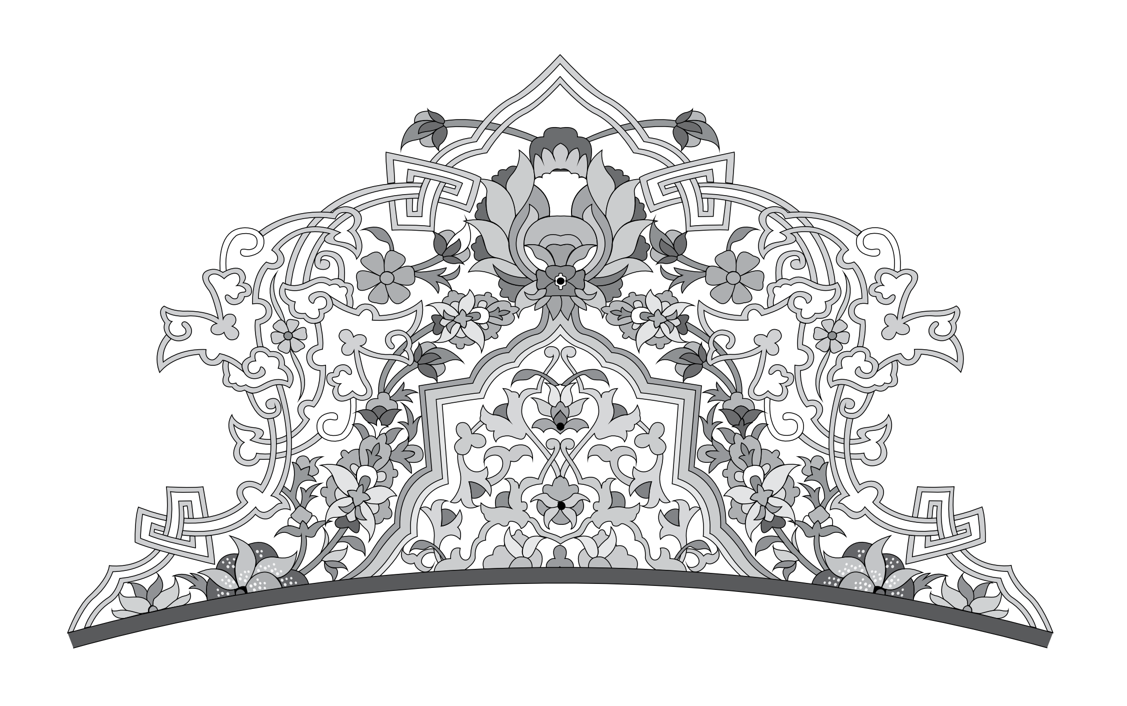
أولهما: الزوال والفناء المتمثل بالهرم ثم الموت، والأمر الآخر: يفيد النشاط والحيوية لتدارك ما بقى من العمر قبل الوصول إلى هذه المرحلة ليعمل الطاعات والإكثار منها

سابعاً: اللون الغِربيب: هو شديد السواد، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة أما العلم الحديث يقول إنَّ اشد أنواع الصخور هو الحجر الأسود لما لجزيئاته من تماسك.

ومهما تحدثنا عن معنى اللون في القرآن الكريم فإننا لا نستطيع ان نستوفي معناه في عدة أوراق هذا البحث وإنّما هذه نبذة مختصرة عنه والحمد لله أولا وأخيرا.



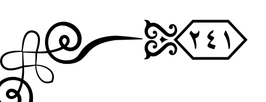




الأسس المنهجية

لتحليل النص القرآني

تحليل آية البسملة أنموذجا



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، لقد تعددت المناهج التفسيرية، ومن هذه المناهج هو المنهج التحليلي[1]، الذي يعد أكملها؛ لأنَّه يتناول جميع المستويات المتصورة في النص القرآني، فهو يقف على المستوى المعجمي، والمستوى الصرفي، والمستوى اللغوي، والمستوى البلاغي، والمستوى الدلالي، وغيرها من المستويات حتى يخرج بفهم دقيق لمراد الله عز وجل، فالمنهج التحليلي ليس وليدا جديدا، وإنّما ظهر في الأيام الأولى لنزول القرآن الكريم، التي شرع بها المسلمون لفهم كتاب الله عز وجل فلا يتجاوزون الآية حتى يقفوا على معناها وفهمها، وكان هذا الفهم على مستويات ومراحل مختلفة خصوصا بعد أن تطورت العلوم وتخصصت، فهنا بدأت معالمه تظهر وتتحدد شخصيته، وأخذ الباحثون يهتمون به كثيرا لما يمتاز به من دقة وموضوعية، يقول احد الباحثين: (أنّ الفضل في تحليل النص يرجع إلى القرآن نفسه، الذي أغرى العلماء ببحث أحكامه وأسراره وبنيته المحكمة المحبوكة، ومعانيه الفياضة، وبلاغة أسلوبه الساحر، الذي يعلو ولا يعلى عليه ونفاسة حجاجه وقوة إقناعه)[2]. ومن هنا جاءت هذه المحاولة لإظهار الأسس التي يقوم عليها هذا المنهج مستشعرا أهميته وحاجة القارئ للوقوف على هذا المنهج، فاقتضت منهجية البحث ان يكون على مبحثين تناول الأول مفهوم التحليل في اللغة والاصطلاح معرجا على أهميته واهم آلياته، اما المبحث الثاني فكان ميدانا تطبيقيا لآية البسملة في عملية التحليل.

---

(١) وان ذهب بعضهم إلى انه أسلوب انظر رضا مؤدب: دروس في المناهج والاتجات التفسيرية.

(٢) عكاشة: محمود: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ط١-٢٠١٣م دار النشر للجامعات القاهرة – مصر:١٢.



المبحث الأول: تحليل النص القرآني لغة واصطلاحا

المطلب الأول: التحليل في اللغة وفي الاصطلاح:

أولا: التحليل في اللغة: التحليل مصدر حلل، يقول ابن فارس: إنَّ فروع هذا الأصل كثيرة، وأصلها كلُّها عنده ترجع إلى معنى واحد، وهو: فَتْح الشيء، وقال: لا يشذُّ عنه شيء، يقال: حلَلْتُ العُقدةَ أحُلُّها حَلاًّ[١]، أي إذا فتحتها، ومثله في المعجم الوسيط، إذ يقول: وحلل (الشيء رجعه إلى عناصره، يقال: حلل الدم، وحلل البول، ويقال: حلل نفسيّة فلان درسها لكشف خباياها)[٢].

والتحليل على وزن تفعيل، وهو للمبالغة والتكثير، وجاءت لفظة التحليل في استعمال العرب بمعنى التفتيت والتفكيك والاستخراج، قال عبدة بن الطبيب يصف ثورا:

يخفى التُّرَابَ بأَظْلافٍ ثمانيةٍ في أَربعٍ مَسَّهنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ[٣]

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه.

---

(١) ظ: أبو الحسن: احمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة تح: عبد السلام هارون ط١ - ١٤٠٤هـ طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي قم - ايران ٢: ٢٠

(٢) المعجم الوسيط مادة حلل.

(٣) عكاشة: محمود: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ط١-٢٠١٣م دار النشر للجامعات القاهرة - مصر:١٢.



وقال كعب بن زهير:

تخدي على يَســراتٍ وهـي لاحقةٌ ذوابـلٍ مسَّهنَّ الأرضَ تحليلُ[١]

أراد أنَّ مسَّ خفافها الأرض يفتتها ويحرّكها.

ثانيا: التحليل في الاصطلاح: هو إرجاع الآية إلى عناصـرها المكونة لها، وبيان أجزائها ووظيفة كل منها، والتعرف على أنواع العلاقات بين مفرداتها مع بقاء الكلمات نفسها في الجمل أو الجمل الأخرى[٢].

وقال محمود عكاشة: هو تفكيك النص وحلّه إلى وحداته التي تسهم في بنائه الشكلي ودلالته للتعرف على وظيفة كل عنصـر منها في الخطاب، وأثرها فيه لاستنباط أسراره ومقاصده[٣].

إنّ مسألة التحليل هي بيان أصل المفردة، وعلاقتها بالموضوع الذي سيقت له، وبيان دلالتها مع ذكر الإشارات أو الإيحاءات التي تحويها، وعلاقة المفردة بالجملة والمفردة، ومطابقة المفردة للمعنى المساقة من أجله، والوقوف على جميع ما يمكن الوصول إليه من العلاقات والعلل على اختيار لفظة دون غيرها.

ثالثا: تعريف تحليل النص القرآني: إنَّ المعنى الاصطلاحي لا يبتعد عن المعنى اللغوي، فقد استعمل في المعنى نفسه، ويمكن ان نعرفه: بانه علم يُعنى بتوضيح النص القرآني بأسلوب تجزئته إلى عناصـره المكونة له بالوقوف على كل مفردة وتركيب

---

(١) كعب بن زهر: الديوان تحقيق: علي فاعور ط١- ١٩٩٧ طبع ونشر: بيروت - لبنان: ٦٤.

(٢) الحمداني: محمد صالح: منهج التفسير التحليلي للنص القرآني. ط١- ٢٠٠٩ هـ نشر مكز البحوث الإسلامية المعاصرة بغداد العراق: ١٣

(٣) عكاشة: محمود: تحليل الخطاب:١١.



والتعرف على أنواع العلاقات بين أجزائه ومكوناته بالوقوف على مستويات الخطاب اللغوية وصولا إلى فهم دقيق وسليم.

المطلب الثاني: أهميّة موضوع تحليل النص القرآني:

١- إنّ أبرز ما يميز هذا المنهج أنه شامل؛ لأنَّهُ يعتمد كل ما يمكن أن يدخل في فهم النص القرآني من علوم تعين على فهم النص، والوصل إلى الغاية المرجوة، فهو يعتمد كبريات مسائل القرآن نفسه؛ لأنَّ بعض الأحكام جاء مجلا في موطن بُيّن في موطن، ومما يعتمد في تحليل النص القرآني الحديث؛ لأنّ السنة الشريفة جاءت مبيّنة لما أجمل في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ﴾[1] ومما يفيد المحلل كتب التفسير المعتبرة، وعلوم القرآن، وآيات الأحكام، وقصص الأنبياء، وتأريخ الأمم الماضية اضف إلى ذلك علوم اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة، وعلوم القرآن؛ لأنَّ القرآن جاء بلغة العرب وغيرها مما يمكن أنْ يخدم المحلل.

٢- يتميز هذا المنهج بأنّه يحمل الباحث على التفكر، وإجالة النظر لاستخراج ما يستفاد من النص، وهذا لا يتأتى إلّا بوقفات طويلة على مفاصل النص، وظلال النص، وتأمل بالغ للوصول إلى أقرب المعاني للواقع.

٣- إنّ الخطوات العملية المتبعة في منهجه تُنمي لدى الباحث عملية الاستنتاج واكتشاف العلاقات بين الآيات، وتنمي لديه دقة العمل، والقناعة بسبب الاختيار والترجيح.

٤- إنّ هذا المنهج يحمل الباحث على مراجعة علوم كثيرة بسبب المستويات المتعددة

(١) سورة ابراهيم: ٤.





التي يبحثها،أو لإثبات قضية ما أو أنه يقف على رأي لم يطلع عليه مسبقا، وهذا بالتالي يؤدي إلى زيادة الحصيلة العلمية للباحث.

٥- إنَّ عملية تحليل النص ميدان تطبيقي للعلوم النظرية، التي درسها الباحث خلال مراحل حياته العلمية إذ إنَّ القبليات المعرفيّة تتضافر للوصول إلى أدق مراتب الفهم.

٦- إنَّ أجود طريقة للتعايش مع جو النص هو منهج تحليل النص؛ لأنه يكشف عن الدقة في التعبير وترابط السياق، والاختيار المناسب للكلمات، وتقديم بعضها على بعض، وحذف كلمة أو إظهار أخرى وغيرها.

٧- خير مكان لظهور شخصية الباحث وما يمتلك من قدرات معرفية هو تحليل النص؛ لأنَّ من خلاله تظهر قدراته من حيث العرض، والتنسيق، والاستنتاج، واكتشاف العلاقات بين المفردات والجمل، والترجيح المبني على الدليل.

٨- يمكن الاستفادة من هذا المنهج كأسلوب عمل للحياة اليومية؛ إذ بالوقوف على هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف حري بنا ان نطبّق هذا ولو بالقدر المستطاع، فهو منهج معرفي واجتماعي.

٩- بما أنَّ المستويات التي تدرس فيه متعددة؛ كالمستوى العقدي، والعملي، والأخلاقي فله غاية تنويرية، تعمل على تقوية الإيمان، وزيادة ثقة الفرد بدينه من خلال استجلاء الظواهر المعجزة فيه، بل يتعدى ذلك ويكون له غاية وهدف دفاعي عن روحيانية القرآن وإعجازه.

١٠- بما أنَّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وأنّه صالح لكل عصر، فان منهج



تحليل النص يجمع بين الأصالة والمعاصـرة من خلال إظهار صور الإعجاز العلمي، التي سبق بها الآخرين بقرون من خلال الإشارات العلمية في القرآن مع العلم بالبيئة التي كان يعيشها النبي صلى الله عليه وآله.

١١- كما أنَّ تحليل النص منهج عملي يساعدنا في بناء خطاباتنا على غراره لما فيه من الدقة اللغوية، والعلمية والمنهج الحكيم في حواراته وأسلوبه العلمي في المناظرة والإقناع مع مراعاة الجانب الإنساني والزماني والمكاني، فهو خير مرشد للأديب والبليغ والخطيب.

المطلب الثالث: مصادر تحليل النص القرآني:

إنَّ تحليل النص القرآني يستمد مادته من مجموعة من المصادر، وهذه المصادر هي: القرآن الكريم نفسه، والسنة المطهرة، وأقوال أهل اللغة، وكتب التفسير؛ ونبينها بهذا الإجمال:

أولا: القرآن الكريم: لقد أسس القرآن الكريم مجموعة من القواعد المعرفية، التي يمكن الرجوع إليها في فهم خطاباته، فهو يقوم ببيان بعض الآيات بآيات أخرى لعلاقة بينهما، وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، فالقرآن الكريم يعد المصدر الأول لبيان معانيه؛ لأنَّ المتكلم به عز وجل وهو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره، فهو أول مستوى من مستويات تفسير القرآن الكريم، وإنه من أبلغ التفاسير، فإنّ اللجوء إلى بعض الآيات في فهم وتفسير آيات أخرى منهج علمي سليم، وقد وضع الإمام علي عليه السلام أساس هذا المنهج بقوله: (القرآن ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض)[1].



(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٢: ١٧.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن تفسير الإمام علي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾[١]، إذ فسَّرها عن طريق ردها إلى قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[٢]، فاستخرج من الآية الأولى والثانية أنَّ اقل مدة للحمل هي ستة اشهر.

فالرجوع إلى آيات من القرآن الكريم لتفسير آيات أخرى مبدأ أساس من مبادئ اكتشاف المعاني القرآنية، وحمايتها من التحريف والتزييف، لاسيّما في مجال العقيدة والفكر.

ثانيا: السُنّة النبوية الشريفة: إنَّ المصدر الثاني لفهم القرآن الكريم السنة النبوية، وهي مصدر متفق عليه؛ لأنَّ مهمة النبي صلى الله عليه وآله هي هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وهذه الهداية تقوم على البيان والتوضيح لمعالم الشريعة؛ وهذا ما صرح به الكتاب الكريم والسنة الشريفة أما الكتاب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤].

ومن خلال تتبع علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة نجدها لا تخلو واحدة من ثلاث وهي:

---

(١) من الآية ١٥ من سورة الأحقاف.

(٢) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

(٤) سورة إبراهيم: ٤.



الأولى: أنَّ تكون مؤكدةً لما في القرآن الكريم، فيكون توارد القرآن الكريم والسنة الشريفة في الحكم الواحد موافقة له من كل وجه كما في كثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في فضل العبادات.

الثانية: أنَّ تكون السنة مُبَيِّنَةٌ للقرآن الكريم؛ أي أَنْ تَكُونَ بَيَانًا لِمَا أُرِيدَ بِالقرآن الكريم وَتَفْسِيرًا لَهُ كقول الصادق عليه السلام (في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1] قال: مفروضاً). وعن أبي بصير يعني المرادي قال: سمعت أبا عبد للهّ عليه السلام يقول: (الصلاة الوسطى صلاة الظهر وهي أوّل صلاة أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله)[2].

الثالثة: أنَّ تَكُونَ السنة مُؤسسَة، أي مشـرعة لِحُكْمٍ لم يرد في القرآن الكريم إيجَابه أَوْ تَحْرِيمه[3]، كما في حديث القاسم بن سليمان قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل أمه أيرثها؟ قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: أيما رجل ذو رحم قتل قريبَه لم يرثه)[4]. فهذا الحكم لم يرد في القرآن الكريم، ولكن السنة الشـريفة أسست له وشـرعته.

ومن خلال ما تقدم لابد لمن يشـرع في تحليل النص القرآني من الرجوع إلى السنة الشريفة لمعرفة أحكام الشـريعة من صاحبها؛ لأنه أعرف بها من غيره.

---

(١) سورة النساء:١٠٣.

(٢) الحر العاملي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ٤: ٢٢.

(٣) ظ: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب: إعلام الموقعين عن رب العالمين،ط١ - ١٩٧٣،تح: عصام الدين الصبابطي نشر: دار الحديث القاهرة- مصر. ٢: ٥٢٧ والحكيم: محمد تقي: الاصول العامة للفقه المقارن ط٤-٢٠٠١م طبع ونشر: المؤسسة الدولية بيروت- لبنان. ٢٤٢.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٧: ١٤٠.



ثالثا: علوم اللغة العربية: بما أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب فلا بد لمن يخوض في هذا العلم من أن يكون مطلعًا على علوم العربية كي يعرف طرائق أداء المعنى وأساليب الخطاب حتى يقف على تلك المعاني، التي اتبع بها القرآن منهج العرب في لغتهم فعَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَغْدَادِيِّ قَالَ: قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ[1]، قَالَ أَبُو الْـحَسَنِ الرضا عليه السلام: (... إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصـرِهِ الْخُطَبَ وَالْكَلَامَ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: الشِّعْرَ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ الله مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحِكَمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِم..)[2].

إذاً من خلال المعرفة الدقيقة لعلوم اللغة نستطيع تصور تلك المستويات من الإعجاز، التي جاء بها القرآن الكريم، فمن لا حظَّ له بعلوم العربية لا يمكنه الخوض في هذا المضمار.

رابعا: الاطلاع على تأريخ العرب: إنَّ الاطلاع على تاريخ العرب يُوقف المحلل على أجواء النص وأسبابه، والوقوف على أحوال من كان يعيش معهم من الشعوب والقبائل الأخرى؛ لأنَّ القرآن الكريم له موقف مما كان سائدا من العادات والتقاليد فقد أمضى بعضها، وحرّم بعضها، كما تناول تأريخ تلك الشعوب على سبيل التعريض

---

(١) ابن السكيت - بكسر السين وشد الكاف-. هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الشيعي أحد أئمة اللغة والأدب، ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه وكان ثقة جليلا من عظماء الشيعة ويعد من خواص الإمامين التقيين عليهما السلام وكان حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، له تصانيف كثيرة مفيدة منها كتاب تهذيب الألفاظ وكتاب إصلاح المنطق قتله المتوكل في خامس شهر رجب سنة ٢٤٤ وسببه أن المتوكل قال له يوما: أيّما أحبّ إليك إبناي هذان أي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين عليهما السلام؟ فقال ابن السكيت: واللهّ إن قنبرًا خادم على بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ٢٤.





تارة، وأخرى على سبيل العبرة وغيرها من مبررات التعرض لتلك الشعوب.

المطلب الرابع: الأصول العامّة لتحليل النص القرآني:

هنا مجموعة من الأصول استفدتُ بعضها من أستاذنا الفاضل گاصد الزيدي، وهي أيضا منشورة، فنقول: لا بدّ للباحث المحلل للنص القرآني من اعتماد أصول عامّة منوّعة، تُعينه على فهم النص الكريم فهمًا دقيقًا شاملاً، يتناول أطُرَه المختلفة وصوره المتعددة، بما فيها من معان وجمال وأساليب، ويمكن إجمال هذه الأصول العامّة بما يأتي:

١- فهم النص المراد تحليله فهمًا جيّدًا أوّلاً، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير ومعاني القرآن الكريم، وكتب مفردات القرآن الكريم، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وكتب إعجاز القرآن الكريم، وما إليها، وذلك لطبيعة النص القرآني فقد جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ، فَأَجَابَنِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كُنْتَ أَجَبْتَنِي فِي هَذِهِ الْـمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً، وَلِلْبَطْنِ بَطْناً، وَلَهُ ظَهْرٌ وَلِلظَّهْرِ ظَهْرا يَا جَابِرُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ القرآن إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُنْصرِفٌ عَلَى وُجُوهٍ)[١].

٢- الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام المعتبرة، إذ أرسى أهل البيت قواعد التفسير، وبينوا ما اجمل من خلال أحاديثهم وخطبهم، وإلّا وقعنا في التخبط وعدم معرفة مراد الله عزو جل، ومن خلال مراجعة كتب الشأن القرآني تجلى لي أنَّ هناك أخطاء كبيرة، تحتاج إلى تنقيح وفق تلك الروايات المعتبرة، واذكر مثالا واحدا كي لا تكون مجرد دعوى، ففي قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٢] عدَّ جل

(١) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ٢: ٣٠٠.

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وآله: ٢٥.



المفسـرين أنَّ فاعل (أملى) هو عين فاعل (سوّل)، لكن من خلال روايات أهل البيت عليهم السلام نستطيع أن نميّز الضمير المستتر في (سوَّل وأملى)، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام في وصيته لكميل: (... ﴿الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ﴾ وَالْـمُسَوِّلُ الشَّيْطَانُ وَالْـمُمْلِي اللهُ تَعَالَى)[1]، وهذا ليس مقتصـرا على طرق الخاصة، بل جاء عن طرق العامة، فقد جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٠٥هـ): (الشيطان سوَل لهم يعني: زين لهم ترك الهدى يعني إيمانًا بمحمد صلى الله عليه وآله، وأملى الله لهم)[2].

٣- توظيف مطالب علوم القرآن الكريم في تحليل النص، إذ إنّها تُعين على استجلاء معانيه، ومن أجل فهمه فهمًا سليمًا متكاملاً، ومثال ذلك الرجوع إلى (أسباب النـزول)، إذ إنها تعين على فهم النص المراد تحليله، وتكشف عن ظروفه التي صحبته عند نزوله، من حيث الزمان والمكان والأحداث، ومثله تماما علم (المكي والمدني)؛ إذ غالبا ما نجد أنَّ الآيات المدنيّة حاكمة على الآيات المكيّة، فلا يمكن التعويل على الآيات المكيّة ما لم نلاحظ الآيات المدنيّة؛ لأنَّها متأخرة عنها، والمتأخر هو الذي يعول عليه في مراد الشارع إذ أنّ بعض الآيات يصيبها النسخ، وهذا يظهر جليا من خلال المناظرة التي جرت بين مُحَمَّد بْنَ النُّعْمَانِ صَاحِبَ الطَّاق[3]، وأبي حنيفة، إذ قال أبو حنيفة: (يَا أَبَا جَعْفَرٍ، إِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي[4] (سَأَلَ سَائِلٌ) تَنْطِقُ بِتَحْرِيمِ الْـمُتْعَةِ، وَالرِّوَايَةَ

(١) الطبري الآملي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى لشيعة المرتضى المكتبة الحيدرية،ط٢- ١٣٨٢ هـ النجف: ٢٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان المحقق: شحاتة، عبد الله محمود ط١-١٤٢٣ هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ٤: ٤٩.

(٣) هو محمد بن علي بن النعمان الأحوال، أبو جعفر، الملقب بـ(مؤمن الطاق) قال في الفهرست: محمد بن النعمان الأحول (رحمه الله) يلقب عندنا بـ(مؤمن الطاق) ويلقبه المخالفون بـ(شيطان الطاق) من أصحاب أبي عبد الله، جعفر بن محمد عليه السلام، وكان ثقة متكلما حاذقا حاضر الجواب له كتب.

(٤) الآية التي في(سَأَلَ سَائِلُ) هي قوله سبحانه: ﴿وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ* إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ﴾ المعارج: ٢٩ -٣٠.



عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَدْ جَاءَتْ بِنَسْخِهَا. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ، إِنَّ سُورَةَ (سَأَلَ سَائِلٌ) مَكِّيَّةٌ، وَآيَةَ الْـمُتْعَةِ مَدَنِيَّةٌ)[١]. فأراد أنْ يقول له: إنَّ التي يعمل بها ويعول عليها هي الآية المدنيّة؛ لأنَّها متأخرة عن المكيّة فتكون حاكمة عليها.

ومن علوم القرآن الكريم التي ينبغي على المحلل أنْ يلتفت إليها، معرفة (الْـمُحْكَم والمتشابه)؛ لأنَّها ضرورة أكد عليها آل البيت عليهم السلام، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَا أَذْكُرُ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام إِلَّا كَادَ يَتَصَدَّعُ قَلْبِي، قَالَ: (قَالَ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله:.. مَنْ أَفْتَى النَّاسَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ النَّاسِخَ وَالْـمَنْسُوخَ وَالْـمُحْكَمَ وَالْـمُتَشَابِهَ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ)[٢]. وتتجلى أهمية بحث المحكم والمتشابه في مسائل العقيدة، وأهمها (متشابه الصفات)، صفات الله تعالى، فيجب إرجاع المتشابهات إلى المحكمات لئلاّ يحملها المحلل للنص الكريم على غير المراد، وخير مثال ما عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِي:.. إِذَا سَأَلُوكَ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٣]، وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، فَقُلْ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤]، وَإِذَا سَأَلُوكَ عَنِ السَّمْعِ فَقُلْ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فَكَلِّمِ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ)[٥].

كما ينبغي على المحلل للنص الكريم الالتفات إلى (الناسخ والمنسوخ) من نصوص

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١١: ١٣.

(٢) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ١: ٢٠٦.

(٣) سورة الإخلاص: ١-٤.

(٤) سورة الشورى: ١١.

(٥) الصدوق: التوحيد: ٩٥.



القرآن الكريم؛ لئلاّ يقع في وَهْم الأخذ بما هو منسوخ من الآيات، ولا سيّما ما يتعلق منها بالتشريع؛ إذ لا خلاف بين أهل العلم في أنّ المنسوخ لا يجوز العمل به، بل يعمل بالناسخ له، يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لِقَاضٍ هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْـمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ أَشرفْتَ عَلَى مُرَادِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْثَالِ القرآن؟ قَالَ: لَا. قَالَ عليه السلام: إِذاً هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ)[1].

٤- دراسة النص المراد تحليله لغويا، والوقوف على المستوى المعجمي للمفردة، والتركيز ابتداء على تفسير (الألفاظ القرآنية الغريبة)، التي تحتاج إلى شرح وبيان، وهو ما يعرف بـ(غريب القرآن)؛ لأنَّ اللغة العربية من أغنى اللغات بمادتها، والتي واكبت تطور الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، واستيعاب تراث الحضارة الإنسانية، وكانت البداية من القرآن الكريم الذي جاء بألفاظ كانت لها معان لغوية معينة فأعطاها دلالات جديدة، كألفاظ الصلاة، والزكاة، والإيمان، والكفر، والتقوى وغيرها كثير فمعانيها اللغوية قبل الإسلام معروفة في معانيها، وربما استعملها القرآن الكريم في غير تلك المعاني، وبذلك يكون القرآن سنَّ للمسلمين سنة الاصطلاح، فلا بد من معرفة تلك المفردات، وملاحظة العلاقة بين الوضع وبين الاستعمال، إذ أُلِّفتْ في هذا العلم كتب كثيرة قديمًا وحديثًا، من أشهرها (تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، و(تفسير غريب القرآن) المسمى نزهة القلوب، لمحمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ)، و(مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني (ت ٤٢٠هـ).

ومثاله استعمال (حنيفا) للقويم من الدين، بدل (مستقيم)، على حين نجد أنَّ



(١) مصباح الشريعة؛ منسوب إلى جعفر بن محمد عليه السلام: ١٧.

اصلها في اللغة هو الميل والانحراف، يقول ابن فارس: إنَّ اصلها يدل على الميل[(١)]، فإنما أراد انه مائل عن الباطل إلى الحق، وكذا في قصة امرأة إبراهيم؛ كما في قوله تعالى ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشرنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب ﴾[(٢)] إذ الظاهر من ضحكت، هو الضحك المعروف على حين نجد أنها في الروايات عن أهل البيت أراد به (الحيض)، ففي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام: (حَاضَتْ فَعَجِبَتْ مِنْ قَوْلِهِم)[(٣)]، وفي كتب اللغة يقول الخليل: (وقوله ﴿ فضحكت فَبشرناها ﴾ يَعني طَمِثَتْ)[(٤)]. وغير ذلك من استعمالات دقيقة في تعبير القرآن، وتسمية الخوان (مائدة) إذا كان عليه طعام كما في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاء ﴾[(٥)] فملاحظة الدقة في استعمال الألفاظ وغريبها له أثر كبير في فهم النص القرآني الكريم.

٥- الوقوف على اللهجات العربية بل ربما يتعدى ذلك إلى اللغات غير العربية، كالعبرية، والحبشية، والقبطية، والهندية، ذات الصلة بفهم النص القرآني المراد تحليله وربطها قدر الإمكان بالمعنى المراد، فنجد أن البيئة العربية القديمة كانت توجد فيها اكثر من لهجة، كلهجة الحجاز، ونجد، وتهامة، واليمن، وما إليها. فمثلا نجد ان كلمة (طه) في لغة (طي) تختلف عن غيرها من اللهجات، فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ وَأَبِي جَعْفَرٍ

---

(١) ظ: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٢: ١١٠.

(٢) سورة هود: ٧١.

(٣) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ٢: ١٥٢.

(٤) الفراهيدي: الخليل بن احمد: العين ٣: ٥٨.

(٥) سورة المائدة: ١١٤.



عليهما السلام قَالا: (﴿طه﴾ بِلُغَةِ طَيٍّ يَا مُحَمَّد)[١]. ونقل ابن منظور والزبيدي أنّها اختلف في أصلها فقد قيل: سريانية، وقيل: نبطية، وقيل: حبشية[٢].

٦- الوقوف على حقيقة دلالة اللفظ أو التركيب، إذ أنَّ بعض الألفاظ أحدثها الإسلام بعد ظهوره، مثل (الزكاة)، إذ أنّ أصلها في اللغة: النماء والزيادة، يقال: زكا الزرعُ: إذا كثُر ونما، ثم استعملها القرآن للدلالة على مقدار من المال يخرج من إجمالي المال عند توفّر الشروط المعتبرة في وجوبها، وتدفَع إلى بيت مال المسلمين.

ومثلها (الربا)؛ إذ أصله الزيادة من ربا يربو: إذا زاد، ثم استعملها القرآن في المال الذي يؤخذ زائدًا على القرض، وهو ما حرّمه الإسلام بنص القرآن والحديث بشِدّة. ومن هذه الألفاظ الإسلامية (الكَلالة) في الإرث، وغير ذلك.

٧- ومن الأمور المهمة ملاحظة العلاقات الدلالية بين الألفاظ في النص القرآني؛ إذ من خلالها تتجلي حقائق كثيرة فتوصلنا إلى فهم متكامل خصوصا إذا علمنا أن القرآن يمثل منظومة متكاملة، وأن كلماته ترتبط فيما بينها بمجموعة من العلاقات ومن هذه العلاقات: (الاشتراك)، و(الاشتمال أو التضمن) (علاقة الجزء بالكل) و(التضادّ)، و(التقابل) بنوعيه: تقابل الضد والنقيض، وتقابل الخلاف، وكذلك علاقة (الترادف)، سواء أكان ترادفًا تامًّا، كما بين (البعل) و(الزّوج)، أم ترادفًا غير تامٍّ، كما بين (اليمين) و(الحِلْف)، و(الرُّؤيا) و(الحُلُم)، وغير ذلك، وخير مثال لملاحظة هذه العلاقات ما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ عليه السلام: (.. إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ

---

(١) القمي: علب بن إبراهيم: تفسير القمي ٢:٥٧-٨٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب٤: ٢٧١٤ والزبيدي: تاج العروس ٣٦: ٤٣١.



مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[1] يَعْنِي الْفَقْرَ، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ﴾[2] فَالسُّوءُ هَاهُنَا الزِّنَاءُ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام ﴿أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[3] يَعْنِي مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ، وَاجْمَعْ ذَلِكَ عِنْدَ حِجَامَتِكَ وَالدَّمُ يَسِيلُ بِهَذِهِ الْعُوذَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ)[4]، فهنا أراد أن يبيّن الإمام أنّ السوء مشترك لفظي يقع على معان مختلفة قد حددها السياق وإنْ اتفق اللفظ.

٨- بيان (الدلالة الإيحائية) للألفاظ والتراكيب والتعابير القرآنية، وهي الدلالة التي يسمّيها المعاصـرون (الإضافية)، أو (ظل المعنى) (Shade of meaning)، وهي من الدلالات ذات القيمة المعنوية العالية الدقيقة في تعبير القرآن، كالإيحاء إلى عظيم ملك سليمان على نبيّنا وآله وعليه السلام من خلال مجموعة من الألفاظ التي ذكرها القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[5]، إذ نستطيع تصور عظمة مملكة سليمان من أمرين:

أحدهما: إن القدور الراسيّة هي الثابتة على الأثافي لا تبدل لعظمتها، والتي يكون لازمها عظيم ما يوضع فيها من الطعام، وبالتالي عظيم عدد المطعومين.

الآخر: أنّ لفظة القدور جمع. وإنّها على عظمها هي عديدة.

نذكر دلالة أخرى هو أنَّ الإله لا يحتاج إلى الامتلاء، ولا إلى الخلو، وهذا مستفاد

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) سورة النمل: ١٢.

(٤) طب الأئمة عليهم السلام: ٥٥-٥٦.

(٥) سورة سبأ: ١٣.



من كلامه تعالى عن السيد المسيح وأمّه عليهما السلام إذ قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾[(١)] يعني كانا يحدثان فكنى الله عن الحدث بالطعام[(٢)]، وهذا ما لا يجوز على الإله.

٩- الوقوف على الدلالة الرمزية في التعبير القرآني، بصورها المتعددة، واستجلاء معانيها كرموز (الألوان) من بياض، وسواد، وخُضرة، وصُفرة، وزُرقة، خصوصا أنَّ القرآن قد استعملها كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[(٥)]، فكل لون له دلالة بحسب ما ترمز إليه لدى العرب عند ظهور الإسلام.

وكذلك رموز الحركات، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾[(٦)]، وقوله: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾[(٧)]، فهاتان الحركتان دلالة ورمز على الندم، وقوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ

(١) سورة المائدة: ٧٥.

(٢) القمي: تفسير القمي ١: ١٧٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٤) سورة الزمر: ٢١.

(٥) سورة طه: ١٠٢.

(٦) سورة آل عمران: ١١٩.

(٧) سورة الكهف: ٤٢.



عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[١]، وهذا رمز للتعجب، ومن الرموز التي تبطنت دلالة الأصوات التي عُبِّر بها عن حالات نفسية، كقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صرةٍ﴾[٢]، والتأفُّف (أُفٍّ)، كقوله تعالى: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣] في التعبير عن التحسـر والتضجُّر، وما إلى ذلك من رموز صوتية.

١٠- من الأمور التي يجب الوقوف عندها (القرائن الدلالية) والمراد منها ما يصاحب النص، من أمور لغويّة أو حاليّة أو عقليّة تصـرف اللفظ عن معناه الأصلي، مبينة المعنى الذي يريده المتكلم وهي ثلاث:

أولا: القرائن اللفظيّة: وهي التي تفهم من اللفظ، وهي قسمان: السياقيّة وغير السياقيّة.

ثانيا: القرينة الحاليّة (context of situation): (وهي ما يدلُّ على مُرادِ المُتكلِّم وغرضِه من الكلامِ من خارجِ اللفظ والقرائن الحاليَّةُ قد تُسمَّى: قرائن مقاميَّة)[٤]، كما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥] فهذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى لأمته[٦]؛ لأنَّ إشراكه مقطوعٌ بعدمه، ولا يتناسب مع مقام النبوة.

ثالثا: القرينة العقليّة: (هي التي تكون العلاقة بينها وبين مدلولها قائمةً على العقل،

---

(١) سورة الذاريات: ٢٩.

(٢) سورة الذاريات: ٢٩.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٧.

(٤) القالش: ضياء الدين: القرائن في علم المعاني:١٠٣

(٥) سورة الزمر: ٦٥.

(٦) القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٢: ٢٥١.



بحيث يستنبطها العقل في كل وقتٍ وحين)[١]، وهي التي سمّاها اللغوي المعاصر جومسكي (Competence)، أي (القُدرة)، ولنذكر مثالًا كي تتضح الصورة أكثر قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[٢]، فلا يمكن أنْ نتصور مع عدل الله عز وجل أنَّ من كان في الدنيا أعمى فإنَّ مصيره في الآخر يكون العمى أيضا، ولكن من خلال القرينة العقلية نستطيع أنْ نعرف أنَّ المراد من الأعمى هو الضال عن سبيل الله عز وجل، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (... يا أبا بصير أ وما سمعت قول الله: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ ؟ عَمِيَ عَنْ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله)[٣].

١١- الوقوف على الجانب النحوي في التراكيب المختلفة للنص المراد تحليله، إذ بعد تشكيل المصحف، ووضع الحركات الأعرابية أصبحت دليلا على المعاني، فلا بد من مراعاة الجانب الأعراب كي لا نقع في تفسير خاطئ للنص، وهذا وحده لا يكفي أي الاعتماد على الجانب النحوي، فلا بد من تحكيم العقيدة، وثوابت الشرع في مسائل النحو، ففي قوله تعالى ﴿ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[٤]، لو قرئت بالكسر لما جاز اتباع الرسول؛ لأنَّ الله تعالى تبرأ من الرسول وحاشاه، وَرُوِيَ (أَنَّ أَعْرَابِيّاً سَمِعَ مِنْ سُوقِيٍّ يَقْرَأُ ﴿ أَنَ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وَرَسُولِهِ فَشَجَّ رَأْسَهُ فَخَاصَمَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُ كَفَرَ بِالله فِي

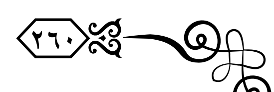
(١) الزرقاء: المدخل الفقهي العام ٢: ٩٣٦.

(٢) سورة الإسراء: ٧٢.

(٣) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ٢: ٣٠٦.

(٤) سورة التوبة: ٣.





قِرَاءَتِهِ، فَقَالَ عليه السلام: إِنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ ذَلِكَ)[١].

١٢- ومن المستويات المهمة التي يجب الوقوف عندها المستوى الصرفي، وبيان علاقته بالمعنى؛ لأنَّ التصريف هو بناء الكلمة وفق ما نريد من معنى، كصيغ (الأفعال)، مثل دلالة (فَعلة) على حدوث الفعل مرة واحدة، ودلالة (فِعلة) على هيأة الفعل، و(فَعَّلَ) على التكثير والتكرير، و(فاعَلَ) على المشاركة، و(فَعْلَلَ) على الاضطراب والحركة الشديدة، و(اسْتَفْعَلَ) دلالة على طلب الشيء، وغيرها من الصيغ، وكذلك صيغ (الأسماء)، مثل (فَعِلٌ) للدلالة على المبالغة، و(فَعُولٌ) كذلك، و(فَعّال) للتكثير... وغيرها من صيغ ذات دلالات معيّنة. بيان العلاقة بين (زيادة المبنى) و(زيادة المعنى)، كما بين (خَرْج) و(خراج) و(صر) و(صرصر)؛ إذ الثانية منهما أبلغ من الأولى في المعنى، ولهذا قال سبحانه وتعالى مخاطبة النبي: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[٢]، فأضاف الأكثر والأعظم إليه سبحانه وهو (الخراج) دون الخرج.

١٣- بيان (العلاقة الدلالية) بين الألفاظ والتراكيب في السياقات التعبيرية المختلفة، وفي السياق الواحد، من نواح متعددة، مثل (الإبهام) و(البيان) في سياقين مختلفين ومتباعدين، كقوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[٣]، وقوله في سورة الملك: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾[٤] فأبهم في النص الأول بقوله: (سَبْعًا شِدَادًا)، ثم بيّن في النص الثاني ماهية السبع الشِّداد.

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ٢: ٤٧.

(٢) سورة المؤمنون: ٧٢

(٣) سورة النبأ: ١.

(٤) سورة الـمُلْك: ٣



ومن هذا النوع المتعلق بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ، علاقة (الإبهام)، ثم (البيان القائم على التفصيل) في سياق واحد متصل، وكقوله تعالى في صفة فريق من المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[1] إذ أبهم التعبير الكريم عملهم الصالح أوّلاً، مكتفيًا بوصفهم بأنهم كانوا محسنين في دنياهم قبل أن يقفوا بين يدي الله تعالى للحساب، ثم فصَّل في السياق بعده مباشرة، ماهية هذا الإحسان بثلاث صفات هي:

أوّلاً: كانوا يسهرون أكثر الليل في الصلاة، وذكر الله، وتلاوة القرآن.

ثانيًا: أنهم كانوا في أوقات السَّحَر، أي قبيل الفجر، يستغفرون الله تعالى.

ثالثًا: أنهم يجعلون جزءًا من أموالهم للفقراء والمساكين، بحسب ما تمليه شريعة ربّ العالمين.

من هذا النوع المتعلق بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ والتراكيب في السياقات، عطف العامّ على الخاصّ، كعطف ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ على ما تقدّمه، وهو: ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾[2].

١٤- استظهار المعاني الجليلة في الخطاب القرآني، الذي شمل بين جنباته ما يعزز الجانب النفسي، عند المؤمن ويرغب الكافر بالإيمان كالترقق في مخاطبة لقمان لابنه وهو ينصحه بقوله: ﴿يَبُنَيَّ﴾، التي تُشعر بالحنان البالغ، وروح التحبُّب، التي أنبأ عنها هذا التصغير للفظة (ابن)، توخِّيًا للتأثير في هذا المتلقِّي الحبيب، وكذلك

(١) سورة الذاريات: ١٦-١٩.

(٢) سورة النحل: ١١.



﴿يَأَبَتِ﴾ في خطاب إبراهيم عليه السلام لآزر، وهو يدعوه إلى التوحيد ونبذ الشـرك، وقول هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام حين عبد بنو إسـرائيل العِجْل في غياب موسى: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ دفعًا لغضبه عليه، ولم يقل له: (يا بن أبي) أو (يا بن والدي) مثلاً؛ وذلك لما في ذِكْر الأمّ هنا من أثر في نفس المتلقِّي، وهو موسى عليه السلام، منبعث من رِقّتها وحنانها على أولادها بكثرة. وهذا ونظائره من انصع الصور التي عبّر به القرآن اغراضه، مراعيًا الجانب النفسي فيه.

١٥- من المسائل التي يجب أنْ يلتفت إليها المحلل هي النسق التعبيري في القرآن، ومحاولة فهمه وتحليله، كتقديم لفظ على آخر، كتقديم اليمين على الشمال في قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[1] ثم قوله بعد آيات: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[2]؛ إذ (أصحاب اليمين) هم أهل الجنّة والنّعيم، في حين أنّ (أصحاب الشِّمال) هم أهل النّار والجحيم.

وقد سمّى التعبير القرآني الفريق الأوّل: ﴿أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةِ﴾، وسمّى الفريق الثاني: ﴿أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ﴾، وهذا مبنيّ على التفاؤل والتشاؤم في عادات العرب؛ إذ كانوا يتفاءلون باليمين، ويتشاءمون بالشمال، وبقي هذا في العُرْف الاجتماعي الذي تجلّى كذلك في التعبير القرآني، سائدًا في حياة المسلمين، فكانوا يتيامنون في كل عمل، كالأكل باليمين، كالأكل باليمين، والتختُّم باليمين، والصبّ عند الاغتسال باليمين وتناول الشـيء وغير ذلك، وقد أكد ذلك الحديث الشـريف، إذ كان يحثّ على التيامن.

(١) سورة الواقعة: ٢٧.

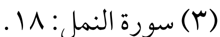
(٢) سورة الواقعة: ٤١.



١٦- من المسائل المهمة التي تحتاج من المحلل وقفة تأملية مسألة التشخيص والتجسيم الفني في القرآن، والتي تعني إضفاء صفات البشر على أفكارٍ مُجَرَّدة، أو على أشياء لَيْس فيها حياة، فتضفي على الشيء المتحدَّث عنه (صفة الإنسانية)، وهي البشرية، كتشخيص عدد من عناصر الطبيعة (الصامتة)، مثاله سجود الشمس والقمر والكواكب في رؤيا نبيّ الله يوسف عليه السلام له، قال تعالى: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1]، وقد نبّه على هذه الظاهرة عدد من كبار قدماء اللغويين، كأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٥هـ)، في كتابه (مجاز القرآن)، ونبّه عليه كذلك عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) واصفًا إياه بأنه (ضرب من المجاز كثير في القرآن)، ونبّه عليه بعدهما جار الله الزمخشري (ت ٥٣٧هـ)، مجلّيًا ظاهرة التشخيص في آية السجود بقوله: (...فلِمَ أُجرِيَتْ مجرى العقلاء؟) وأجاب عن ذلك بقوله: (لمّا وصفوه بما هو خاصّ بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليه حُكمَهُ، كأنها عاقلة)[2]. ثم وصف الزمخشري هذا اللون من التعبير بأنه (كثير شائع في كلام العرب).

ومنه تشخيص الطبيعة (الحية)، كتشخيص النملة في خطابها للنمل الذي معها، بقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] فقالت بصيغة جمع العقلاء (ادخلوا).

ومن صور التجسيم الفنّي تجسيّم الحسّيات -أي ما يدرك بإحدى الحواسّ- كالليل والنهار والصبح، وتجسيّم المعنويات، عقلية كانت كالحق والباطل، أم نفسية،



(١) سورة يوسف: ٤.

(٢) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت٢: ٤١٨.

(٣) سورة النمل: ١٨.



كالرُّعْب والخوف، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾(١)، أي: يُدخل أحدَهما في الآخر، فتكون ظاهرة الليل والنهار من هذا التداخل، وهذا النوع يسمى (تجسيم الزمان).

ومن الثاني وهو المتعلق بالتجسيم المعنوي، كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾(٢)، فجعل الحق - وهو معنويّ - جسمًا ثقيلاً مقذوفًا على الباطل، الذي صوّره التعبير القرآني كأنه جسم أيضًا، وهذا من جميل تصوير القرآن في تجسيم المعنويات(٣).

١٧- من المحطات التي يقف عندها المحلل (المستوى الصوتي) للنص القرآني، سواء تعلّق بالصوت المفرد الفُونيم (Phoneme)، كالباء، والميم، والنون، والهاء، أم تعلّق بـ (المقطع) المؤلَّف من صوتين أو ثلاثة، وسواء تعلّق بالصوت المفرد، أم بالمركّب، أم بالتعبير، مع ربط الصور الصوتية بالمعاني المختلفة في التعابير القرآنية، مع ضرورة التنبيه على ظاهرة الاستبدال الصوتي بين الوحدات الصوتية الصغيرة، وهي (الفونيمات)، وأثر ذلك في تحقيق الفروق الدلالية بين كثير من الألفاظ القرآنية متقاربة الأصوات، ما بين سياق وآخر، كما في: هَزَّ وأَزَّ، وكتَمَ وكَظَمَ، وغَشَّى وغَطَّى.

١٨- مما سجل من العلوم التي تعتني بالقرآن (القراءات القرآنية) التي قُرِئ بها النص الكريم، سواء أكانت مشهورة، أم غير مشهورة، مع كشف أوجهها اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية، وذلك لتعلّق معنى النص بها؛ لان توجيه القراءة

(١) سورة الحج: ٦١.

(٢) سورة الأنبياء: ١٨.

(٣) علي: عثمان فورزي: التخييل والتجسيم في القرآن الكريم ط١-٢٠١٨: ٤٧.



مقصود، وهذه القصود ربما ترتبط بالمبنى العقدي، الذي أدى إلى اختلاف بين قراءة وأخرى، أو لكشفها لظواهر اللغة المختلفة، كالهمز في (كُفُؤًا) وتسهيله في (كُفُوًا)، وكالإطباق الصوتي في صاد لفظة (الصراط)، وعدمه في سين (السراط)، وكالمدّ في (مَالِكِ) والقَصر في (مَلِكِ)، إذ معنى (مَلِكِ) أبلغ من معنى (مَالِك)، من حيث إنَّ الوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك؛ لأَنَّهُ بالمالكية يدخل كل شيء تحت ملكه، أما الملكية هي السيطرة على الكليات.

١٩- لعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع؛ مكانة كبيرة في عملية التحليل فعلم المعاني يبحث فيه عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتتعلق به ظواهر تعبيرية كثيرة، كالتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والإيجاز بنوعيه: إيجاز الحذف وإيجاز القِصر، فمن الأول حذف المبتدأ من الجملة الاسمية، كما في قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(١)، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

أمّا العلم الثاني (البيان) وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بصور عدة، ويتعلّق بالحقيقة والمجاز، فمن المجاز: التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل، وما إليها. وتنبغي العناية بفنّ (الالتفات) كذلك، إذ هو فنّ رفيع في تعبير القرآن، وثيق الارتباط بالمعنى، وذلك بالانتقال من ضمير إلى آخر في السياق، كانتقاله من الغَيبة إلى الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾(٣)، فالتفت بقوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) من الغَيبة في الحديث عن

---

(١) سورة هود:١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٩.



المؤمنين إلى الخطاب، ومن موضوعات (علم البديع)، الطِباق، والجِناس، والتَّوْرِية، والتقابل، وما إليها، فهذه كلها ينبغي على المحلل للنص القرآنيّ أن يعطيَها حقَّها من الدرس والفهم والتحليل والتعليل؛ لمعرفة معاني القرآن المجيد معرفة شاملة وافية، لا تقف عند جوانب دون أخرى، وإنما تتناول الجواب كلها.

٢٠- ضرورة بيان العلاقات الدلالية بين الآيات الكريمة، والكشف عن الوشائج التي تربط الجمل والألفاظ والتراكيب، وما يترتب على ذلك من ترابط وتلاؤم معنويّ، بحيث يُرَدّ المتأخر على المتقدّم عند التحليل ويُربَط به معنويًّا، أو يُشار إلى علاقة المتقدِّم بالمتأخِّر، أو تأثيره فيه لفظًا ودلالة، من خلال التأمّل في السياق، وهو مجرى الكلام، ليكشف المحلل بذلك عن حقيقة أنّ القرآن العظيم بناءٌ متماسك لا نظير له، بل هو نسيج واحد. ولتحقيق ذلك، ينبغي على المحلل للنص الكريم أن يُحسِن التفهم؛ إذ إنّ الكتاب المجيد كلّما أكثر فيه الدارس التأمّل والسَّبْر، منح دارسه من المعاني والدلالات ما لا يحققه القارئ المتعجِّل، الذي لا يُحسِن إلاّ القراءة من دون عمق الفهم والتحليل. ويذكر أهل العلم أنّ مَن فسَّر القرآن، وهو غير محيط بهذه العلوم التي تقدّم الحديث عنها وبيانها، في ما أوردناه منها، انطبق عليه (التفسير بالرأي) المنهي عنه، وإذا فسَّره وهو محيط بها، لم يكن تفسيره من هذا النوع المنهيّ عنه في الشرع، بل هو من النوع المباح، والله سبحانه الموفِّق للصواب، والهادي إلى سواء السبل[1].



(١) الزيدي: الدكتور قاصد ياسر: الاصول العامة لتحليل النص نشر في مجلة العرب (محرم وصفر ١٤٢٧هـ).

المبحث الثاني: تحليل آية البسملة (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: فضل البسملة:

روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: (﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها)[١]، وروي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (إذا قال المعلم للصبي قل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فقال الصبي: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم)[٢]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها، وهي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾)[٣]. وفي الحديث النّبوي الشريف: (كُلُّ أَمْر ذِي بَال لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ اسْمُ اللهِ فَهُوَ أَبْتَر)[٤].

المطلب الثاني: المعنى العام:

إنَّ البسملة تعنى أنَّ العبدَ يبدأ ويستعين بأموره بالله، وان هذا علامة للانتماء، اذ بها

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا ٢: ٩.

(٢) الحر العاملي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ٦: ١٦٩. أبواب قراءة القرآن.

(٣) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ١: ٢١.

(٤) الحر العاملي: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ٧: ١٧٠.



يبين العبد مرجعيته واعترافه بقدرته تعالى؛ يقول صاحب الميزان (فابتدأ الكلام باسمه عزَّ اسمه ليكون ما يتضمنه من المعنى معلمًا باسمه مرتبطا به، وليكون أدبًا يؤدب به العباد في الأعمال والأفعال والأقوال، فيبتدئوا باسمه ويعملوا به، فيكون ما يعملونه معلمًا باسمه منعوتًا بنعته تعالى مقصودا لأجله سبحانه، فلا يكون العمل هالكًا باطلًا مبتورًا؛ لأَنَّهُ باسم الله الذي لا سبيل للهلاك والبطلان إليه)[١].

المطلب الثالث: القراءة والصرف:

أولا: القراءة:

قرأ الجمهور (الرحمن) على الجر[٢]. وقرأ بالرفع والنصب، و(الرحيم) أيضا قُرات بالرفع والنصب والجمهور على الجر. قال النحاس (ت٣٣٨هـ): (و يجوز النصب في ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ على المدح، والرفع على إضمار مبتدأ، ويجوز خفض الأول ورفع الثاني، ورفع أحدهما ونصب الآخر[٣].

ثانيا: الصرف:

الاسم: اختلف في اشتقاقه فذهب البصريون إلى أَنَّهُ من السمو، وهو العلو، وعليه يكون فيه إبدال[٤]، أصله سمو، حذف حرف العلة، وهو لام الكلمة، وأبدل عنه همزة الوصل، ودليل الواو جمعه على أسماء وأسامي، وتصغيره سميّ، والأصل أسماو

---

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن١: ٧.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان١: ٩٢.

(٣) النحاس: أحمد بن محمد إعراب القرآن الحاشية: إبراهيم، عبد المنعم خليل ط١- ١٤٢١ هـ الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت ١: ١٥.

(٤) الإبدال: هو جَعْلُ مُطْلَقِ حَرفٍ مكانَ حَرْفٍ من غير إدْغَامٍ وَلا قَلْب.



وأسامو وسموي، فجرى فيها الإعلال بالقلب، وذهب الكوفيون إلى انه مشتق من السمة وهي العلامة[١].

الله: علم لا يطلق إلّا على الله، واختلف فيه هل هو مشتق أم جامد؟ فمن قال إنَّهُ مشتقٌ ارجعه إلى أصول منها: أنَّ أصله من أله يأله إذا عبد، وأصل الله الإلاه، نقلت حركة الهمزة إلى لام التعريف، ثم سكنت وحذفت الألف الأولى لالتقاء الساكنين، وأدغمت اللام في اللام الثانية، وحذفت الألف بعد اللام الثانية لكثرة الاستعمال، أو أنّ أصله لاه ثم أدخلت عليه الألف واللام.

ومنها: إنَّهُ من الوله وهو التحير، يقال: أله يأله إذا تحير - عن أبي عمرو - فمعناه أنه الذي تتحير العقول في كنه عظمته.

ومنها: إنَّهُ ألهت إلى فلان أي فزعت؛ إليه لأنَّ الخلق يألهون إليه، أي يفزعون إليه في حوائجهم. ومنها: انه من ألهت إليه أي سكنت إليه عن المبرد، ومعناه أن الخلق يسكنون إلى ذكره.

ومنها: إنَّهُ من لاه يليه إذا تستر واحتجب، كانه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه عن الأبصار.

وقيل هو جامد مرتجل، وهو رأي الأغلب، قال الخليل بن احمد: لو كان مشتقا للزم التسلسل[٢] والتسلسل باطل على الله.

الرحمن: صفة مشتقة من صيغ المبالغة، وزنه فعلان من فعل رحم يرحم باب فرح.

---

(١) ظ: المجاشعي، علي بن فضال: النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإرابه ط١- ١٤٢٨ هـ الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون مكان الطبع: بيروت:٣١.

(٢) والتسلسل هو ترتب علل ومعلومات بحيث يكون السابق علة في وجود لاحقه وهو هكذا.



الرحيم: صفة مشتقة من صيغ المبالغة، أو صفة مشبهة باسم الفاعل وزنه فعيل من فعل رحم يرحم(١).

المطلب الرابع: الإعراب:

بسم: الباء: حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الأعراب. اسم: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر. والمبتدأ محذوف تقديره: ابتدائي، ويجوز أن يكون التعليق بفعل محذوف تقديره أبدأ على رأي الكوفيين، وقد حذفت الألف في البسملة لكثرة الاستعمال، ولا تحذف في غيرها، بل تثبت كقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾. اللهّ: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الكسرة الظاهرة على آخره. الرحمن: نعت للفظ الجلالة مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. الرحيم: نعت ثان للفظ الجلالة تبعه في الجر(٢).

أمّا قراءة الرفع للرحمن والرحيم فهي على القطع فيكونان خبرين وأما نصبهما أي (الرحمنَ الرحيمَ) فهو على تقدير أمدح، فيكونان منصوبين.

المطلب الخامس: البلاغة:

١- إنَّ الجار والمجرور لا بد له من متعلق ومتعلق البسملة إمَّا اسم أو فعل، فان كان فعلا مضارعا فأنه يفيد التجدد والاستمرار، وحذف لكثرة دوران المتعلق به على الألسنة، وإذا كان المتعلق به اسمًا فانه يفيد الدوام والثبات، فإنَّ الابتداء باسم الله نهج

(١) الطبرسي: مجمع البيان١: ٩٢.

(٢) وهي ما حذف فيها المشبه.



دائم نمارسه في كل عمل وهو علامة الاتكال على الله تعالى.

٢- إنَّ لحذف المتعلق في البسملة فائدة، وهي صلاحيتها ليبتدئ بها كلُّ شارع في فعل، فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه، وأضاف أبو القاسم السهيلي فائدة أخرى إذ قال: (في حذفه فائدة، وذلك أنه موطن ينبغي أن لا يقدم فيه سوى ذكر الله تعالى، فلو ذكر الفعل، وهو لا يستغني عن فاعله، لم يكن ذكر الله مقدما، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، كما تقول في الصلاة الله أكبر، ومعناه من كل شيء، ولكن يحذف ليكون اللفظ في اللسان مطابقا لمقصود القلب، وهو أن لا يكون في القلب ذكر إلا الله..)(١).

٣- إنَّ حذف المتعلق في البسملة حذف من قبيل الإيجاز(٢).

٤- التكرير: لقد كرّر اللهّ سبحانه وتعالى ذكر الرحمن الرحيم؛ لأنَّ الرحمة هي الإنعام على المحتاج(٣)، وهذا التكرير يكون إما لتعظيم الموصوف، أو للتأكيد أو للترغيب والترهيب في حال بذلهما أو سلبهما.

٥- قدَّم سبحانه الرحمن على الرحيم مع أنَّ الرحمن أبلغ من الرحيم، ومن عادة

---

(١) أبو حيان: محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير ١: ٣٢.

(٢) الإيجازُ: هو جَمْعُ المعاني المُتكاثِرَةِ تحَتَ اللَّفْظِ اَلْقَلِيل مَعَ الِإبانةِ وَاَلِإفْصَاح، وَهُوَ نوْعَان: أحدهما: إِيجازُ قِصَرٍ، ويكَون بتَضمِين العِبارَاتِ الْقَصِيرَةِ معاني كثيرَةٍ مِنْ غَيْر حَذْفٍ. نحو قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(الأنعام: ٨٢)؛ لأن كلمة (الأمن) يدخل تحتها كل أمر محبوب. الآخر: إيجاز حَذْفٍ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ أو جملةٍ أَوْ أَكثَرَ مَعَ قَرينَة تُعَيِّن الْـمَحْذُوفَ. قال تعالى:﴿قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥).

(٣) الصافي: محمود: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة،ط٤-١٤١٨ هـ الناشر: دار الرشيد: دمشق١: ٢٢.



العرب في صفات المدح الترقي في الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: فلان عالم نحرير؛ وذلك لأنه اسم خاص بالله تعالى كلفظ (الله)؛ ولأنه لما قال (الرحمن) تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، وأردفه (الرحيم) كتتمة، والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف. وما هو من جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها. وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة[١].

٦- الإيجاز بإضافة العام إلى الخاص ويسمى مجاز القصر.

٧- قال درويش: (إذا جعلنا الباء للاستعانة فالكلام يكون استعارة مكنية[٢] تبعية لتشبيهها بارتباط يصل بين المستعين والمستعان به وإذا جعلت الباء للإلصاق فيكون الكلام مجازاً علاقته المحلية، نحو مررت بزيد أي بمكان يقرب منه لا بزيد نفسه)[٣]، لكن الزمخشري جعلها للملابسة (أعرب وأحسن)[٤] أي أحسن من جعل الباء للآلة أي أدخل في العربية، وأحسن لما فيه من زيادة التبرك بملابسة جميع أجزاء الفعل لاسمه تعالى[٥].

---

(١) الصافي: محمود: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ١: ٢٢.

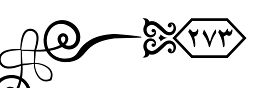
(٢) الاسْتِعارَةُ مِنَ المجاز اللّغَويّ، وهيَ تَشْبيهٌ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ، فَعلاقتها المشابهةُ دائمًا، وهي قسمانِ: الأول: الاستعارة تَصْريحيّةٌ، وهي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. الثاني: الاستعارة المَكْنيَّة، وهي ما حذف فيها المشبه به (المستعار منه)، ورُمز له بشيء من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

(٣) الدرويش: محيي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه ط٤- ١٤١٥ هـ الناشر: الإرشاد حمص١: ١٠.

(٤) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١: ٤.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١: ١٤٥.





المطلب السادس: ما يستفاد من أحكام من آية البسملة:

١- اختلفوا حول كونها آية من كتاب اللهّ أم لا، فابن مسعود، ومالك، والأحناف وقراء المدينة، والبصرة، والشام لا يرونها آية، وذهب الإمامية، وابن عباس، وابن عمر، والشافعي، وقراء مكة والكوفة إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة براءة، وأنه لا خلاف بين المسلمين في أن لفظ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنه جزء آية من قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1].

٢- ذهبت الإمامية والشافعية إلى الجهر بالبسملة في الصلاة ففي خبر صفوان قال: (صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام أيّاماً فكان يقرأ في فاتحة الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كانت صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخفى ما سوى ذلك)[2].

٣- تبدأ كلّ سور القرآن بالبسملة، كي يتحقّق هدفها الأصل المتمثل بهداية البشرية نحو السعادة، ويحالفها التوفيق من البداية إلى ختام المسيرة، وتنفرد سورة التوبة بعدم بدئها بالبسملة؛ لأنّها تبدأ بإعلان الحرب على مشركي مكة وناكثي الأيمان، وإِعلان الحرب لا ينسجم مع وصف الله بالرحمن الرحيم.

٤- تكتب بسم الله بغير ألف في البسملة خاصة استغناء عنها بباء الاستعانة خلافا لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3].

٥- يحرم مس البسملة للمحدث عند من ذهب إلى أنّها آية، وهو المشهور بين

---

(١) سورة النمل: ٣٠.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦: ٥٧.

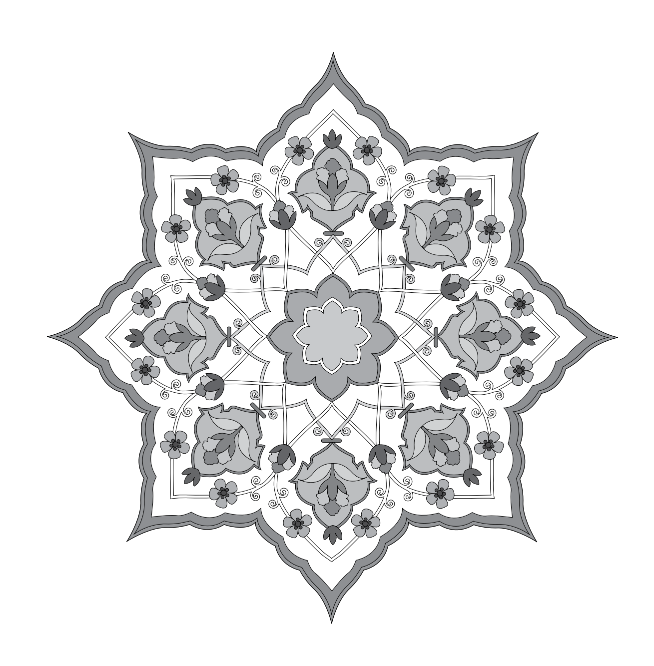
(٣) سورة العلق: ١.



المتقدِّمين والمتأخِّرين من الإمامية، بل الظاهر دعوى الإجماع في المسألة، وخالفهم في ذلك الشيخ[١]، وابن البراج[٢]، وابن إدريس[٣]والتزموا بكراهته.

٦- إِنَّ لفظ الرحمن لم يوصف في العربية بالإلف واللام إلا الله تعالى وقد نعتت العرب مسيلمة الكذاب به مضافا فقالوا: رحمان اليمامة.

والحمد لله ربّ العالمين

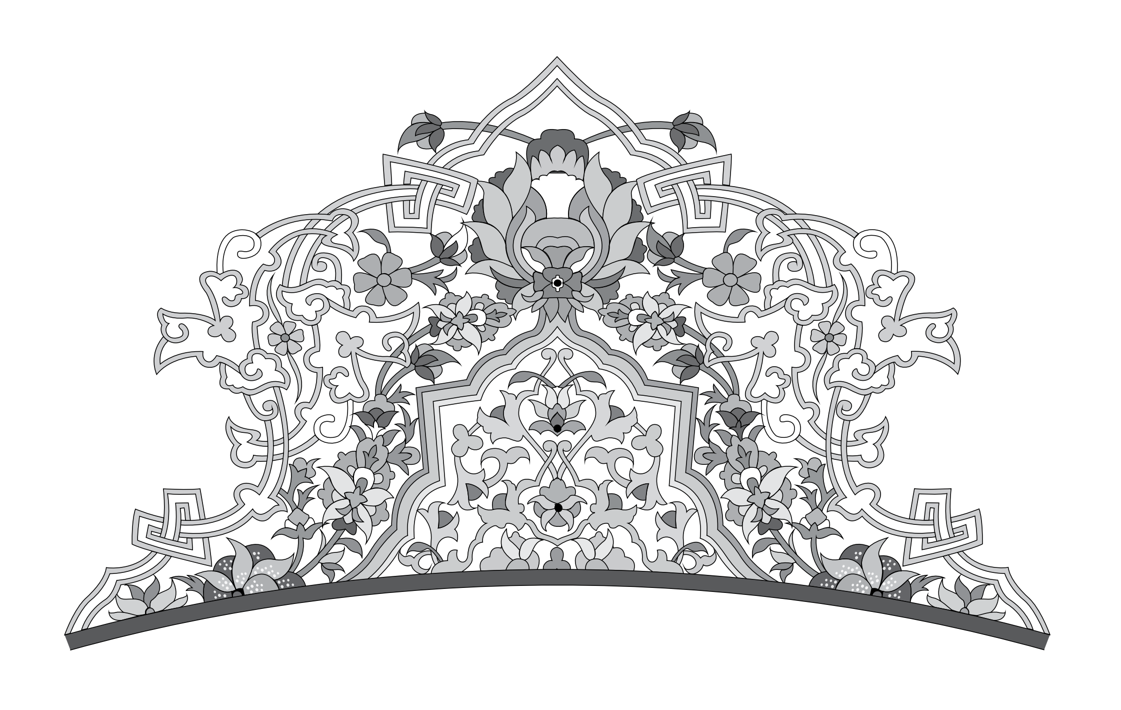




(١) ظ: الطوسي: المبسوط ١: ٢٣.

(٢) ظ: المهذب ١٤: ٣٢ وفيه: وأمّا المندوب فهو ما يقصد به مسّ المصحف.

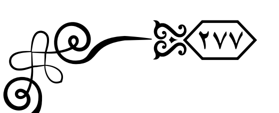
(٣) ظ: ابن ادريس: السـرائر ١: ١١٧.



الإعجاز القرآني

عند أهل البيت عليهم السلام

قراءة في الجذور والتأسيس



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المنان، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

بعد قرون من نزول القرآن الكريم نرى التأليف والكتابة في الإعجاز القرآني مُستمريَن، وبدأت تتعمق وتتوسع لتشمل كل المستويات، وكأن الأمر بات وليد اللحظة، فجذوة هذا النزاع أو كما يسمى التحدي باتت تتوقد كل يوم، بل كل ساعة ولا سيما أنَّ القرآن الكريم ترك الباب مفتوحا على مصـراعيه للتحدي.

وبدأت هذه التآليف تظهر على الساحة في كل وقت على حين نجد القرآن بين ايدينا شاخصاً قائما يتردد صوته، ويسمع الناس آياته فما الأمر العظيم الذي احتواه حتى استوعب حوالي ألفا وأربعمائة عام من الدرس والبحث والتأليف والتفسير الم تفِ هذه السنون في فهم هذا الكتاب والوقوف على ما فيه من معارف؟

فهذا في حد ذاته أمر محير ومعجز؛ اذ لو اردنا أنْ نعدّ ما كتب في القرآن من موسوعات وكتب ورسائل وتصانيف المطبوع منها وغير المطبوع لوقفنا مندهشين أمام ذلك الكم الكبير من النتاج، فهذه الوريقات جاءت تستجلي بواكير التأسيس لعلم الإعجاز القرآني ولا سيما بعد أن نسب هذا العلم إلى أشخاص غير المؤسسين، وإيمانا منا بأهل البيت عليهم، وانهم السباقون في كل علم، وما تمليه طبيعة المهمة



التي قاموا بها من التبليغ وإيصال تعاليم السماء إلى الناس نجد في متناثر الموروث الروائي لهم أنَّ لهم اليد الطولى في إقرار معالم هذا العلم وأسسه. هذا من جانب، ومن جانب آخر إنَّ من كان عدل القرآن هو الذي يكون له الحق في (الشهادة على القرآن الكريم، إذ لا يكون لأحد الحق في هذه الشهادة ما لم يمتلك مقوماتها، وأهلية الشهادة تتوافر على مقومات هذه النخبة المصطفاة، وهم أهل البيت عليه السلام، الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وآله في موارد كثيرة تؤكد أن لهذه الثلة المصطفاة القابلية على الشهادة وإمكانية الشهود القرآني الذي ينطلق من خلاله،... وهو التلازم بين القرآن وبين عترته وعدم الانفكاك بينهما، وأي تفكيك يفتعله البعض، إنما هو خلل في التكليف حيال القرآن الكريم، فالفصل بين العترة وبين القرآن هو تعطيل للقرآن بكل مفاصله، بل هو إلغاء لدور القرآن وإيقاف لحيويته كي لا يبقى سوى كتاب وعظ وإرشاد، في حين أكد النبي صلى الله عليه وآله أن هناك ملازمة ضرورية لا تنفصم عراها بين الجانبين فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب اللهّ وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»).

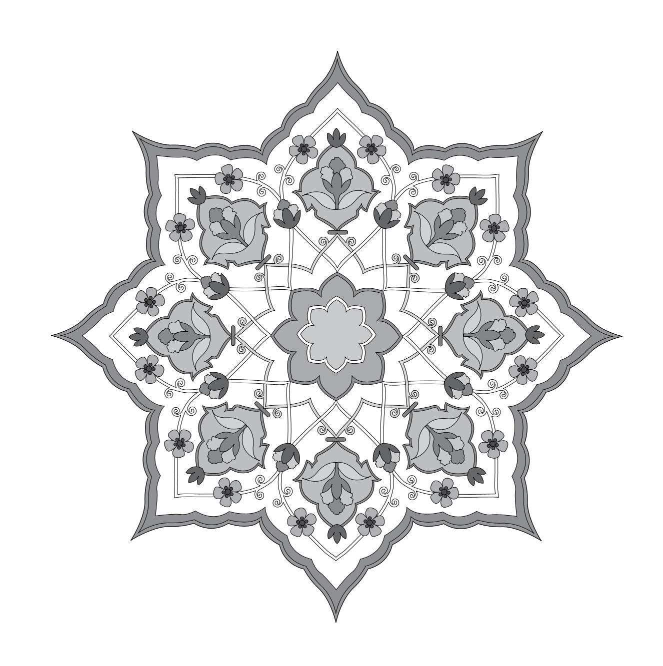
وحاولت في هذه العجالة أنْ أجمع بعض النصوص التي تسعفني في ما أريد إثباته من أنَّ لهم قدم السبق في هذا المجال أيضا وإلا فإنَّ النصوص كثيرة وتحتاج إلى وقفات طويلة لاستخراج تلك الكنوز منها.

وبعد أنْ جمعت مجموعة من الروايات من الكتب المعتبرة، قمت باستظهار ما فيها من معان تخص الإعجاز، القرآني فقسّمتُ البحث على مباحث خمسة بغية تحديد المحاور التي تضمنتها تلك النصوص، فجاء المبحث الأول في بيان معنى الإعجاز لغة واصطلاحا، والفرق بين المعجزة والكرامة، ثم بيان ضرورة المعجزة، والانتقال



إلى بيان معجزة الإسلام، ثم تعرضت في المبحث الثاني إلى موضوع الإعجاز، وسبب نشوئه، والتعريج على واضع هذا العلم الذي اختلف فيه، أما المبحث الثالث فكان الحديث فيه عن نسبة علم الإعجاز إلى غيره من العلوم، ثم بيان فضله والفائدة المتوخاة من دراسته، بعد ذلك تحدثنا عن شروط المعجزة وأنواعها، أمّا المبحث الخامس فكان يركز على أنواع الإعجاز، ومكامنه، وخصائصه في مرويات أهل البيت عليهم السلام، ثم ختمت البحث في مجموع من الاستنتاجات التي تم التوصل إليها.

وبعد هذا أقول لا يسعني إلّا أنْ اطلب العفو منكم سادتي، فإنْ سددت فبتوفيق من الله تعالى، وإنْ أخفقت فهذه بضاعتي مزجاة أرجو منكم قبولها.





المبحث الأول: تعريف الإعجاز وضرورته

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغة واصطلاحا:

أولا: الإعجاز لغة:

من أعجز وعجز إذا ضعف، وهو ما يقابل القدرة، ومن معاني الإعجاز الفوت والسبق، يقال: أعجزه الشيء، أي فاته، وإحداث العجز، يقال: أعجز فلان فلانا، أي صيّره عاجزا، ووجدان العجز، يقال: أعجز فلان فلانا، أي وجده عاجزا[١].

وردَّ ابن فارس العجز إلى اصلين هما الضعف ومؤخرة الشيء[٢].

ويرى الباحث إنَّهُ اصل واحد؛ لأنَّ الضعف هو ما يؤخر الشخص فلذا كان الأولى ان يعرف العجز بالضعف المقرون بالتأخر.

ثانيا: اصطلاحاً:

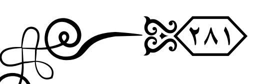
عُرف الإعجاز بتعاريف عديدة، وهذه التعاريف كان للقبليات المعرفية الأثر الكبير في صياغتها، إذ إنَّ مسألة الإعجاز ترتبط ارتباطا وثيقا بمجموع المنظومة المعرفية، ومن يتأمل ويدقق في تلك التعاريف يجد ذلك حاضـرا.

قال الشيخ المفيد (٤١٣هـ): (المعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى

(١) الفراهيد: كتاب العين ١: ٢١٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤: ٢٣٢.





المقرون بالتحدي، المتعذر على الخلق الإتيان بمثله)[١].

وقال الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ): (وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى)[٢].

وقال السيوطي (٩١١هـ): (المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة)[٣].

وعرفها السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ): (المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة، خارقا للعادة، وخارجا عن حدود القدرة البشـرية وقوانين العلم والتعلم؛ ليكون بذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وآله وحجته في دعواه النبوة ودعوته)[٤].

وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ): (إنَّ حقيقة المعجزة الأمر الخارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند التحدي..)[٥].

وقـال العلامـة الطباطبائـي (١٤٠٢هــ): هـو (الأمر الخـارق للعـادة، الدال على تصـرف مـا وراء الطبيعـة في عـالم الطبيعـة ونشـأة المـادة، لا بمعنـى الأمـر المبطـل لضـرورة العقل)[٦].

---

(١) النكت الاعتقادية: ٣٥.

(٢) تجريد الاعتقاد: ٢١٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣١١.

(٤) تفسير القرآن الكريم: ٣.

(٥) روح المعاني١٦: ٢٨٥.

(٦) الميزان في تفسير القرآن ١: ٧٣.



وعرّفها السيد الخوئي قدس سره (١٤١٣هـ): (أنْ يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه)[١].

ونلاحظ من التعاريف المتقدمة أنَّ اكثرها سدادًا هو ما ذكره السيد عبد الله شبر والسيد الخوئي اذ كانت ناظرة إلى حقيقة الإعجاز وفلسفته الأساس، التي هي أن تكون دليلاً على النبوة وشاهدا عليها.

ونذكر هنا مجموعة من الروايات تؤيد ما ذهبنا إليه منها:

ما رواه البرقي مرسلًا عن أبي جعفر عليه السلام: (إِنَّ القرآن شَاهِدُ الْـحَق)[٢].

ومنهـا: جـاء في تفسـير العسـكري عليـه السـلام، عـن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه: (فَتَعْلَمُـونَ بِعَجْزِكُـمْ عَـمَّا جَـاءَ بِـهِ أَنَّـهُ مُعْجِـزَةٌ وَأَنَّ ذَلِـكَ شَـهَادَةٌ مِـنَ الله تَعَـالَى بِالصِّـدْقِ لَـهُ)[٣].

ومنها: ما عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمُ الْـمُعْجِزَةَ؟ فَقَالَ عليه السلام: لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ، وَالْـمُعْجِزَةُ عَلَامَةٌ لله لَا يُعْطِيهَا إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيُعْرَفَ بِهِ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ)[٤].

وفي حديث آخر عن الإمام الرضا عليه السلام يؤكد هذا المعنى بقوله: (... جُعِلَ

(١) أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن ط٤-١٣٩٥-١٩٧٥م الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان:٣٣.

(٢) البرقي: المحاسن ١: ٢٦٨.

(٣) تفسير الإمام العسكري: ٥٠٥.

(٤) الصدوق: علل الشرائع ١: ١٢٢.



دَلِيلَ الْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد)(١).

فالظاهر من النصوص المتقدمة أنَّ الهدف الأساس من المعجزة هو ان تكون شاهدا على صدق دعوى النبي صلى الله عليه وآله، ودليلا عليها، فليس الغاية هي التحدي إذ لا تتفق مع الهدف الأسمى من بعثة الأنبياء، وهو إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ثالثا: الفرق بين المعجزة والكرامة:

تقدم في تعريف المعجزة إنَّها ما خرق العادة والمقرون بدعوى النبوة، ويأتي بها النبي عليه السلام إثباتا لنبوته، وأما الكرامة فلا تكون مقترنة بدعوى النبوة، وأيضاً المعجزة عمل يعجز عنه غير النبي، وأما الكرامة فلها مراتب ربما يصدر بعضها من غير النبي بل من غير الإمام المعصوم أيضاً(٢).

لكن نجد أنّ تخصيص المعجزة بالنبوة ما لم يدل عليه دليل، إذ نجد أنَّ الإمامة يمكن أنْ تقترن بالمعجزة: فعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمُ الْـمُعْجِزَةَ؟ فَقَالَ عليه السلام: لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ وَالْـمُعْجِزَةُ عَلَامَةٌ لله لَا يُعْطِيهَا إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيُعْرَفَ بِهِ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ)(٣).

وفي حديث آخر عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام

---

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٣٠.

(٢) التبريزي: الانوار الالهية:١ ٢٠.

(٣) الصدوق: علل الشرائع ١:١٢٢.



قَالَ: (عَشر خِصَالٍ مِنْ صِفَاتِ الْإِمَامِ الْعِصْمَةُ، وَالنُّصُوصُ، وَأَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَتْقَاهُمْ للهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِكِتَابِ الله، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْوَصِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَيَكُونَ لَهُ الْـمُعْجِزُ وَالدَّلِيلُ، وَتَنَامَ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامَ قَلْبُهُ، وَلَا يَكُونَ لَهُ فَيْءٌ وَيَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ)(١).

فهذه الرواية نص في أنّ من الخصال التي يجب أنْ تكون للإمام عليه السلام هي المعجزة، ولا سيما أنَّ الإمام هنا في مقام تحديد لوازم الإمامة.

المطلب الثاني: ضرورة المعجزة للنبوة وعلتها:

أولا: ضرورة المعجزة:

لا بد للنبي من إيتاء المعجز لكي يثبت دعواه وان كانوا عدولا صادقين في أقوامهم؛ إذ أنّ المتابعة للنبي لا تكون إلّا بعد أنْ يثقوا به، وهذه الثقة لا تحصل بمجرد الادعاء، بل تثبت بمجموعة من الأمور، والمعجزة من هذه الأمور فضلا عن الكمالات الأخرى التي يمنحها الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الناس لا يمكن أن يسلموا لهكذا أمور من دون دليل وبرهان على صدقه ولا سيما أمرا كهذا؛ إذ به تتحدد السعادة أو الشقاء فباتت إقامة البرهان على هكذا أمور من المسلمات بين الناس؛ لدفع احتمال الكذب.

وجاءت سنة الله عز وجل جريا على هذا الأمر ببعث الأنبياء بالمعجزات كي يصدق بهم الناس، ويشهد لهم بأنهم موفدون من السماء، وانهم قائمون على السفارة الإلهية إذ هذه السفارة في عهدنا تحتاج إلى ما يؤيدها من أوراق ووثائق تؤكد صحة



(١) الصدوق: الخصال ٢: ٤٢٨.

الانتهاء والسفارة عن تلك الدولة، وهذا من الأمور العقلية التي جبل عليها الناس، وبهذا صرح القرآن نفسه بقوله تعالى: ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[1]. أي علامة على صدق دعواه، كما في العصى واليد وإبراء الأكمه والأبرص وغيرها، فإرسال الأنبياء بالآيات كانت سنة جارية في الخلق.

ثانيا: علة المعجزة:

هنا يبيّن الإمام الصادق عليه السلام علة إرسال الأنبياء بالمعجزات، فعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمُ الْـمُعْجِزَةَ؟ فَقَالَ عليه السلام: لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ وَالْـمُعْجِزَةُ عَلَامَةٌ لله لَا يُعْطِيهَا إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيُعْرَفَ بِهِ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ)[2].

فظاهر النص إنَّ ثبوت النبوة أو الإمامة متوقف على دليل وهذا الدليل هو المعجزة، فمن ادعى أَنَّهُ نبي طولب بالعلامة والدليل على صدق دعواه، وعرّج الحديث على مسألة أخرى وهي أنَّ المعجزة بيد الله عز وجل لا تعطى لكاذب وعلل في ذيل الحديث على ذلك.

وفي حديث آخر عَنْ هِشَامِ بْنِ الْـحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: (أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَّ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ؟ فَقَالَ: إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقاً صَانِعاً مُتَعَالِياً عَنَّا، وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيماً مُتَعَالِياً لَمْ يَجُزْ أَنْ

(١) سورة الأنبياء: ٥.

(٢) الصدوق: علل الشرائع ١: ١٢٢.



يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَيُلَامِسُوهُ وَيُبَاشِرُهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ وَيُحَاجَّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ، يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَاؤُهُمْ، فَثَبَتَ الْآمِرُونَ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ وَالْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حُكَمَاءُ مُؤَدَّبُونَ بِالْحِكْمَةِ مَبْعُوثُونَ بِهَا غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مَا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ)[1].

في هذا النص بيّن الإمام عليه السلام سُنَّةَ الله عز وجل في خلقه من بعث الأنبياء، وأنَّ هذا البعث مقرون دائما بالدلائل والبراهين على صدق دعواهم وانزال الحجة ملزمة بانهم سفراء عن الله عز وجل.

وقد بيَّنَ السيد الخوئي (١٤١٣) في تعريفه للمعجزة فائدة المعجزة وضرورتها بقوله: (أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه. وإنما يكون المعجز شاهدا على صدق ذلك المدعي إذا أمكن أن يكون صادقا في تلك الدعوى)[2].

المطلب الثالث: معجزة الدين الإسلامي:

بعد أنْ تبيّن أنَّ المعجزة من الأمور الضرورية للدعوة، ولإثبات صدق الأنبياء

---

(١) الصدوق: علل الشرائع ١:١٢٠.

(٢) الخوئي: البيان في تفسير القرآن: ٣٣.



عليهم السلام نأتي ونبين ما هي معجزة الإسلام؟ وإنْ كانت لا تخفى على أحد لكن ارتأينا أنْ نبينها من خلال مرويات أهل البيت عليهم السلام: (أَنَّ قَوْماً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا لِلصَّادِقِ عليه السلام: أَيُّ مُعْجِزٍ يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: كِتَابُهُ الْـمُهَيْمِنُ الْبَاهِرُ لِعُقُولِ النَّاظِرِينَ مَعَ مَا أُعْطِيَ مِنَ الْـحَلَالِ وَالْـحَرَامِ وَغَيْرِهِمَا)[١].

فظاهر النص أنَّ معجزة النبي صلى الله عليه وآله هو القرآن الكريم، وأنه مهيمن على الكتب السماوية، وانه باهر للعقول.

وأكدت الكتب الكلامية الإمامية أنَّ هذه المسألة ثبتت بالتواتر والنقل ولا خلاف فيها بين المسلمين[٢].

ورب سائل يسأل أنَّ هناك معاجز أخرى ظهرت على يده الشريفة فما دورها؟

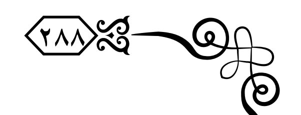
نقول: لا ينافي تعدد المعجزات على يده الشريفة؛ لأنَّ المعجزة الأساس هو القرآن، والتي كانت هي عين الرسالة، بل تكون المعجزات الأخرى مؤيدة وتتناسب مع المواقف والأذواق.

---

(١) الراوندي: الخرائج والجرائح ١: ١١١.

(٢) الحلي: الحسن بن يوسف: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤٨١.





المبحث الثاني: موضوع الإعجاز وسبب نشوئه وفائدته وفضله:

المطلب الأول: موضوع الإعجاز:

إنَّ موضوع الإعجاز هو كل ما يمكن أنْ يكون شاهدًا على صدق دعوى الأنبياء عليهم السلام سواء كانت معجزة عقليّة أم حسيّة، ويكون موضوعه حسب نوع المعجزة، فمعجزة القرآن الكريم هي ألفاظه وما اشتمل عليه من أسلوب ونظم ومعارف، وما يمكن أن يقتضي أن يكون فيه حكمة بالغة أو أي شيء نستطيع أن نقف عليه.

فموضوع الإعجاز القرآني منصب على الألفاظ التي سيقت بقوالب لا يقدر الإنسان على مجاراتها مع أنّها من كلام العرب نفسه، وفي الوقت ذاته بعد أن اتسعت دائرة البحث وتخصصت العلوم اصبح لكل علم معالمه الخاصة، وأنَّ بعض جزئيات هذه العلوم وجد لها إشارة أو تلميح في القرآن الكريم، كما في الإشارات الفلكية والجيلوجية، والبيلوجية، وعلم النباتْ والحشرات كما أنَّ المستوى التاريخي كالطوفان والهلاك الذي أصاب الأمم السبقة، والغيبي كان له نصيب في القرآن فدفعت هذه الإشارات غريزة الفضول إلى البحث عن تلك الحقائق التي تعرض لها القرآن، فهذه وغيرها كانت المادة الأساس في موضوع الإعجاز القرآني.



المطلب الثاني: سبب نشوء علم الإعجاز:

١- إنَّ طبيعة القرآن الكريم من حيث بناؤه وأسلوبه ونظمه دفعت الناس إلى دراسة الإعجاز لما فيه من أمور تستوجب الوقوف عليها، ففي القرآن الكريم إشارات لا يمكن أن يمرَّ عليها أي إنسان لديه أدنى معرفة بالأمور الأدبية أو الكونية أوالنفسية وغيرها.

٢- الفتوحات الإسلامية وانفتاح العرب على الثقافات الأخرى ودخول كثير من اتباع الديانات الأخرى إلى الإسلام الذين اصطحبوا معهم قبليات تحتاج إلى الإجابة وتمييز القرآن الكريم عن تلك الكتب في تلك الديانات.

٣- انتشار حركة الترجمة ونقل الكتب من والى العربية والاحتكاك بتلك المعارف مما أدى إلى انسحاب تلك العلوم ومقابلتها بالقرآن وما فيه من مفاهيم.

٤- من الأمور التي ساعدت على نشوء علم الإعجاز الفتوحات العلمية والاكتشافات الحديثة، التي دفعتنا لأنْ ندرسه ولمعرفة الإشارات القرآنية لتلك المعارف، ولا سيما أنَّ بعض تلك المعارف الموجودة في الكتب السماوية عارضت تلك الاكتشافات؛ بسبب احتوائها على الخرافة والتحريف مما جعل هذا الإشكال ينعكس على القرآن الكريم، وجعله في مرتبة تلك الكتب مما دفع العلماء المسلمين والمهتمين بالأبحاث القرآنية بالدفاع عن القرآن الكريم بتقويم دعائم علم الإعجاز على حين نجد أنَّ القرآن جاء موافقا للاكتشافات الحديثة.

٥- أنَّ يكون بابا من أبواب جذب الناس إلى هذا الدين العظيم، وبيان حقانيته واطلاعهم على حقيقة القرآن بأنه كلام الله عز وجل، وانَّ ما اشتمل عليه من معارف



هي معارف إلهية تهدف إلى إظهار المعاني العظيمة التي فيها سعادة الإنسان في الدارين.

٦- وإنَّ من أسباب نشوء الإعجاز، هو تقديم نظرية متكاملة عن المنظومة المعرفية القرآنية كي لا يقع المجال للمشككين في إعجاز القرآن.

المطلب الثالث: واضع هذا العلم:

يزعم بعضٌ أنَّ أول من وضع هذا العلم في القرن الثاني هو أبو عبيد (٢١٠هـ) في كتابه إعجاز القرآن، لكن من يتتبع أحاديث أهل البيت عليهم السلام يجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام كانت لهم قدم السبق في تأسيس هذا العلم، والناظر في مروياتهم يجد أنهم قد أشاروا إليه بكلمات صريحة، وقد سبقوا غيرهم، فقد روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ أنه قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمُ الْـمُعْجِزَةَ؟ فَقَالَ عليه السلام: لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ وَالْـمُعْجِزَةُ عَلَامَةٌ لله لَا يُعْطِيهَا إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيُعْرَفَ بِهِ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ)[١].

كما أنَّ الإمام الرضا عليه السلام بيَّن علة تنوع المعجزة، وسبب توافقها مع صنعة أهل ذلك العصر، إذ قال ابن السكّيت[٢] للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: (لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا واليد البيضاء وآلة السحر؟

(١) الصدوق: علل الشرائع ١:١٢٢.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقيّ الأهوازيّ الشيعيّ، أحد أئمّة اللغة والأدب، ذكره كثير من المؤرّخين وأثنوا عليه، وكان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة، ويُعدّ من خواصّ الإمامين التقيّين عليهما السلام وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر واللغة والنحو، له تصانيف كثيرة مفيدة، منها: كتاب تهذيب الألفاظ، وكتاب إصلاح المنطق.



وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فقال عليه السلام: إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصـره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات[1]، واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصـره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه، ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم)[2].

من هذا النص نعرف أن أهل البيت عليهم السلام لهم السبق في تأسيس هذا العلم؛ لأنَّ المعروف أنَّ تأريخ استشهاد الإمام الصادق عليه السلام (١٤٨هـ). فالفارق الزمني أكثر من ستين سنة كما لا يخفى ذلك أيضا في خطب الإمام علي الرضا عليه السلام وأحاديثه المستشهد في (٢٠٤هـ).

(١) الآفات الواردة على بعض الأعضاء، فتمنعها عن الحركة، كالفالج، واللقوة. ويطلق المزمن على مرض طال زمانه.

(٢) الكلينيّ: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ٢٤ كتاب العقل والجهل، ح٢٠.



المبحث الثالث: نسبة علم الإعجاز إلى العلوم الأخرى وفضله وفائدته:

المطلب الأول: نسبة علم الإعجاز إلى العلوم الأخرى:

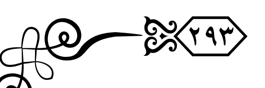
إنَّ علم الإعجاز كان وما زال على علاقة وطيدة باللغة العربية وعلومها؛ إذ من المستحيل النظر في القرآن الكريم من دون المعرفة باللغة العربية، والاطلاع على أساليبها بل إنَّها مقدمة لفهم الإعجاز؛ لأنَّ القرآن جاء على النهج العربي، ودليلا على رسالة النبي صلى الله عليه وآله، فمن لا يمتلك هذا الكم من اللغة لا يستطيع إدراك لطائف القرآن وحكمه، وهذا لا يقتصر على مستوى واحد من اللغة، وإنّما كل مستويات اللغة من الصرف، والبلاغة، والصوت.

كما إنَّ علم الإعجاز كان جزئية في علوم القرآن أمّا اليوم وبعد أنْ تحددت معالمه وارسيت قواعده فقد استقل، واصبح يفرد له البحث والتأليف، وان كانت بعض كتب علوم القرآن إلى اليوم تعرج على الإعجاز في أبحاثها.

أمّا باقي المعارف الأخرى ولا سيما بعد أن أصبحت كثير من العلوم اليوم بديهية احتيج إلى معرفة تلك العلوم كي يستطيع من يدرس الإعجاز أن يلتمس تلك الطرائف التي أشار القرآن إليها كما في الطب والفلك والفيزياء وغيرها من العلوم، بل المتأمل في تلك الآيات تدل بنفسها على ما فيها من نكات إذ تلامس ميولاته ورغباته.

فالذي يمر على آيات البحار أو الجبال أو النبات لا يمكن أن يمر عليها مرورا، عابرا بل هي تقرع في أذنه ناقوس التدبر والالتفات إلى حكمتها.





المطلب الثاني: فضل علم الإعجاز.

إنَّ كلَّ علم تكمن أهميته وفضله من موضوعه الذي يبحث فيه، فعلم الإعجاز يدرس كلام الله، فكفى بذلك فضلا إضافة على ذلك النصوص الحاثة على التدبر في كتابه وتعلمه وتعليمه، ففضل هذا العلم نابع من عقيدة الفرد بكتابه ومكانته. فالناظر في الآيات والأحاديث التي جاءت في فضل التدبر في القرآن وتعلمه يجد أنَّها كفيلة في بيان مكانة علم الإعجاز ويتجلى اكثر بمعرفة الفوائد التي يفضي إليها فهو على درجة من الفضل لأن يرتقي بالإنسان إلى افضل مراتب اليقين بعقيدته.

فقد جاء في فضل حملة القرآن النصوص الكثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

جاء في تفسير الإمام حسن العسكري، عَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليهما السلام أنه قَالَ: (حَمَلَةُ القرآن الْـمَخْصُوصُونَ بِرَحْمَةِ الله، الْـمُلَبَّسُونَ نُورَ الله، الْـمُعَلَّمُونَ كَلَامَ الله، الْـمُقَرَّبُونَ عِنْدَ الله، مَنْ وَالاهُمْ فَقَدْ وَالَى اللهَ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللهَ وَيَدْفَعُ اللهُ عَنْ مُسْتَمِعِ القرآن بَلْوَى الدُّنْيَا، وَعَنْ قَارِئِهِ بَلْوَى الْآخِرَةِ)[١].

وفي حديث عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَهْلَ القرآن فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْـمُرْسَلِينَ فَلَا تَسْتَضْعِفُوا أَهْلَ القرآن حُقُوقَهُمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ لَمَكَاناً عَلِيّاً)[٢].

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْخَطَّابِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: (ثَلَاثَةٌ لَا يَجْهَلُ حَقَّهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْرُوفٌ بِالنِّفَاقِ: ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَحَامِلُ

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ١: ١٣.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٠٣ح ١.



القرآن وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ)[١].

المطلب الثالث: فائدة دراسة الاعجاز:

إنَّ من الأمور التي يسأل عنها طالب العلم ما هي فائدة دراسة الإعجاز؟ بالتأكيد يكون هذا السؤال مطروحًا لدى كل من يسمع بهذا العلم، ولكن بعد أنْ يقف على أهميته المتمثلة بمعرفة منزلة القرآن الكريم والغاية من نزوله يتبيّن له لماذا ندرس هذا العلم ويمكن تصوير فائدته على مستويين هما:

المستوى الأول تنويري:

١ - إنَّه يُزيد الإنسانَ قناعةً واعتقادًا بحقانية هذا الكتاب وإلهيته، ولا سيّما إذا برهن العلم الحديث على هذه الحقائق التي لم تكن معروفة في ذلك الزمان.

٢- إنَّ طبيعة القرآن الكريم مشتملة على هذه الأمور، إذ أنَّ القرآن الكريم فيه إشارات بلاغيّة تعبّر عن مجموعة من الحقائق الكونيّة والأنفسيّة.

٣- إنَّ هذا القرآن هو من الله عز وجل لإخراج الناس من الظلمات إلى النّور.

المستوى الدفاعي:

١ - إثبات أنَّ القرآنَ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، والرد على من ادعى بأنَّ القرآن مختصٌ بزمان قد مضى.

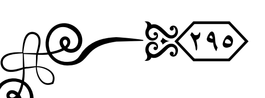
٢- جعل القرآن موطن جذب للآخر.

٣- إثبات أنهُ كلام الله تعالى وليس كلام البشر.

٤- معرفة مواطن الإعجاز، فنستطيع الرد على المعاندين والناكرين لكتاب الله تعالى.



(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٦٥٨ح٤.



المبحث الرابع: شروط المعجزة وأنواعها

المطلب الأول شروط المعجزة:

من التعاريف التي ذكرها العلماء للمعجزة نجد أنَّ لها شروطا وهي:

١- أنْ تكون المعجزة أمراً خارقاً للعادة: إذ لو كانت أمرا مألوفا عاديا لما كان معجزة جاء في تفسير العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: (وَ أَمَّا قَوْلُكَ لِي: وَلَوْ كُنْتَ نَبِيّاً لَكَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يُصَدِّقُكَ وَنُشَاهِدُهُ، بَلْ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا نَبِيّاً- لَكَانَ إِنَّمَا يَبْعَثُ مَلَكاً لَا بَشَراً مِثْلَنَا فَالْـمَلَكُ لَا تُشَاهِدُهُ حَوَاسُّكُمْ، لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ هَذَا الْهَوَاءِ، لَا عِيَانَ مِنْهُ، وَلَوْ شَاهَدْتُمُوهُ - بِأَنْ يُزَادَ فِي قُوَى أَبْصَارِكُمْ- لَقُلْتُمْ: لَيْسَ هَذَا مَلَكاً، بَلْ هَذَا بَشَرٌ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَظْهَرُ لَكُمْ بِصُورَةِ الْبَشَرِ- الَّذِي قَدْ أَلِفْتُمُوهُ لِتَفْهَمُوا عَنْهُ مَقَالَهُ، وَتَعْرِفُوا بِهِ خِطَابَهُ وَمُرَادَهُ، فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقَ الْـمَلَكِ- وَأَنَّ مَا يَقُولُهُ حَقٌّ بَلْ إِنَّمَا بَعَثَ اللهُ بَشَراً، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدِهِ الْـمُعْجِزَاتِ- الَّتِي لَيْسَتْ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ - الَّذِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ ضَمَائِرَ قُلُوبِهِمْ، فَتَعْلَمُونَ بِعَجْزِكُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ وَأَنَّ ذَلِكَ شَهَادَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالصِّدْقِ لَهُ، وَلَوْ ظَهَرَ لَكُمْ مَلَكٌ وَظَهَرَ عَلَى يَدِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْبَشَرُ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّكُمْ- أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي طَبَائِعِ سَائِرِ أَجْنَاسِهِ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ- حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ مُعْجِزاً. أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّ الطُّيُورَ الَّتِي تَطِيرُ- لَيْسَ ذَلِكَ مِنْهَا بِمُعْجِزٍ؛ لِأَنَّ لَهَا أَجْنَاساً يَقَعُ مِنْهَا مِثْلُ طَيَرَانِهَا، وَلَوْ أَنَّ آدَمِيّاً طَارَ كَطَيَرَانِهَا كَانَ ذَلِكَ مُعْجِزاً، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَهَّلَ عَلَيْكُمُ الْأَمْرَ، وَجَعَلَهُ بِحَيْثُ تَقُومُ عَلَيْكُمْ حُجَّتُهُ،



وَأَنْتُمْ تَقْتَرِحُونَ عَمَلَ الصَّعْبِ الَّذِي لَا حُجَّةَ فِيهِ)[١].

فالنص المتقدم وقف على أدق التفاصيل التي يجب توفرها في ما يقدمه مدعي النبوة لإثبات حجته، فلا يجوز التنزل بالخارق إلى مستوى يسلبه تلك الغرابة، ولا الترقي بالإنسان ليكون هو خارقا فلا يعتد بما يراه خارقا، وهذا يكون على نحو أنَّ القلوب تذعن بأنَّ ما جاء به النبي هو أمر خارج عن طوق نوع الإنسان.

فالقرآن الكريم يجده المتأمل خارقاً لِمَا الفه الناس من الكلام الفصيح، من حيث خصائصه اللفظيّة، والمعنائيّة، والأسلوبيّة، والصوتيّة، والنظميّة، وما يحويه بين جنباته من حقائق ومعارف شاملة وتامّة وكاملة، بحيث لم يعتد الناس احتواءها في كلام من دون أن يعتريه نقص أو خلل ما، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[٣].

٢- أنَّ المعجزة لا تكون الا للأنبياء: ذكر هذا الشرط بعض من كتب في الإعجاز، ولكن من خلال مراجعة الروايات وجد ان المعجزة غير مختصة بالانبياء، وانما تعم الحجج من المعصومين عليهم السلام، فقد روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ أنه قَالَ: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَعْطَاكُمُ الْـمُعْجِزَةَ؟ فَقَالَ عليه السلام: لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ وَالْـمُعْجِزَةُ عَلَامَةٌ لله لَا يُعْطِيهَا

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٥٠٦.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) سورة النساء: ٨٢.



إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَهُ لِيُعْرَفَ بِهِ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ)[1].

فظاهر النص عدم اختصاصها بالأنبياء، وهذا ظاهر من قول أبي بصير، إذ سأل الإمام (وأعطاكم) ثم اكد الإمام أن الحجج مشمولون بالمعجزة.

٣- مطابقة المعجزة لدعوى النبوّة والرسالة: أي أنَّ المعجزة تأتي موافقة لما يعرض، فإنْ طُلب منه مثلا شق القمر إلى نصفين لا بد أنْ تكونَ المعجزة على النحو الذي طلب، فلا يكون أربعة أو ثلاثة، فالقرآن عندما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله كان في بنائه وتركيبه وأسلوبه مطابقًا لما في الدعوى، وإنَّ أي إنسان عندما ينظر إلى المطالب العليا في القرآن الكريم يجد من دون أدنى شكّ ولا ريب أنَّها تنسجم تمام الانسجام مع ما صدح به صلى الله عليه وآله من تعاليم، وما كشف عنه من حقائق، ودعا إليه من اعتقاد وعمل، وصدر عنه من تبشير وإنذار، وقد تكلّم القرآن الكريم نفسه عن هذه المطابقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[3].

٤- اقتران المعجزة زماناً مع دعوى النبوّة والرسالة: من القراءة الدقيقة لتاريخ الدعوة الإسلامية نجد من دون شكّ ولا ريب أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عندما أعلن عن رسالته الإلهيّة وأفصح عنها للناس وبيّن لهم نصّها ومضمونها، كانت

---

(١) الصدوق: علل الشرائع ١: ١٢٢.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

(٣) سورة الحاقّة: ٤٠-٤٧.



مقرونة بالقرآن؛ لأنَّ القرآن هو عين الرسالة، وقد بيّن القرآن نفسه ذلك، إذ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله منذ أوّل البعثة الشريفة بقراءة القرآن وتلاوته وتفسيره للناس: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[(١)]، و﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)]، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[(٣)]، فلم يسبق نزول القرآن وإظهاره للناس على ظهور الرسالة دعوى الرسالة فيهم: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[(٤)]، ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[(٥)]، وكذلك لم يتأخّر عنها: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾[(٦)].

٥- اقتران المعجزة بالتحدّي: ذهب جماعة إلى أنَّ القرآن الكريم تحدى بكلامه الإنس والجنّ، ومن بينهم العرب الذين ابدعوا وبرعوا في لغتهم، ولم يذكره التاريخ لواحدة من الأمم المتقدّمة عليهم أو المتأخّرة عنهم، وبلغوا بها مبلغا لم يبلغه غيرهم، في تمام البيان، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ، ورعاية المقام، وسهولة المنطق[(٧)].

وذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى عدم اشتراطه، إذ يقول: ان المعجزات على نوعين: نوع موجه إلى الكفار، وهذا فيه تحدي، وآخر موجه إلى المؤمنين ليس فيه

(١) سورة العلق: ١.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

(٣) سورة القيامة: ١٦-١٩.

(٤) سورة يونس: ١٦.

(٥) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٦) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٧) الطباطبائيّ: الميزان في تفسير القرآن ١: ٦٨.



تحدي[١]. وقد ورد هذا التحدّي في القرآن ضمن خمس آيات، هي بحسب ترتيب نزولها على وفق الترتيب الآتي:

– قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٢].

– قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤].

– قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٥].

– قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٦].

وبالتأمّل في هذه الآيات، نلاحظ أنه لا وجه للتحدي لما قدمنا، وانما هو فقط دليل على صدق الدعوى.

(١) الخالدي: صلاح عبد الفتاح: البيان في إعجاز القرآن دار عمار الأردن – عمان.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

(٣) سورة يونس: ٣٨.

(٤) سورة هود: ١٣.

(٥) سورة الطور: ٣٣-٣٤.

(٦) سورة البقرة: ٢٣-٢٤.



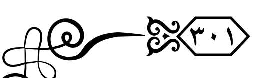
امّا الآيات التي يدل ظاهرها على تحدي، فكانت جوابا لحال من الأحوال أو الاعتراضات التي قدمها الكفار، فبعد أنْ عَرَضَ النبي آيات القرآن عليهم بدأت أولا الحرب الناعمة بتوهين القرآن، وابتداع الأباطيل حوله منها: إنَّهُ من الأساطير التي اكتتبها النبي خلال رحلاته، أو أَنَّهُ كانت تملى عليه من قبل رجل اعجمي، أو من قبل الجن أو افتراها فهنا جاء رد القرآن بأن يأتوا من مثله.

٦- العجز عن الإتيان بمثلها: لقد فتح القرآن باب التحدي حتى طالت فلم يستطع احدٌ من الإنس والجنّ من الإتيان بمثله، بل نزل مستوى التحدّي إلى الإتيان بمثل حديث منه، وطال وقت الاستنهاض، فلم يجيبوه إلا بالتوعد لأهله بالقتل والتنكيل، ولم يزدهم إلا عجزا، ولم يكن منهم إلا أن يغمدوا ألسنتهم ويشهروا سيوفهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١).

٧- إنَّ الإعجاز خاضع لقانون العلية: (فإن العلل المعنوية أيضا من العلل، ومشمولة لتلك القاعدة، كما أن العلل الطبيعية لا تنحصر في العلل الموجودة المكشوفة، لإمكان اكتشاف علل طبيعية أخرى في الآتي، وعليه فالإعجاز معلول من المعاليل، وله علة معنوية، وهذه العلة المعنوية قد تستخدم في الإعجاز الأسباب الطبيعية، كما دعا النبي صلى الله عليه وآله في حق معاند فسلط الله عليه سبعا فأكله، وقد يكتفي بالعلل المعنوية كإحياء الموتى أو أنبات شجر مثمر في دقائق قليلة، وكيف كان، فالنظام الإعجازي يقدم على النظام الجاري بإرادته تعالى، ومشيته، فليس المعجزة بلا سبب وعلة، حتى يقال: بأنه نقض لأصل العلية ومما ذكر يظهر ما في



(١) سورة هود: ٥.



مزعمة الماديين حول الإعجاز حيث تخيلوا أَنَّهُ ينافي أصل العلية)[١].

المطلب الثاني: أنواع المعجزة:

من تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت معجزات الأنبياء عليهم السلام على نبيّنا وآله وعليهم السلام وصورها نستطيع أن نحصـر المعجزات في نوعين:

أحدهما: المعجزات الحسية: وهي التي تدرك عن طريق الحواس الخمس، وتكون حاضـرة في ذلك المجتمع، وتركز غالبا على الأشياء التي تكون اقرب إلى ذلك المجتمع وطبيعته، وأنواعها كانت ظاهرة وحاضـرة في مجتمعات بني إسرائيل، وهذا يرجع إمّا لتدني المستوى العقلي أو لتعنتهم والتشكيك في كل شيء يقول السيوطي: (٩١١هـ): (وأكثر معجزات بني إسـرائيل كانت حسيّة لبلادتهم وقلة بصيرتهم)[٢].

وتمتاز المعجزة الحسية بأمور منها:

١- إنّها وقتية تنتهي بانتهاء عصـرها.

٢- إنّها لا تمثل الرسالة، وإنَّما هي أمرٌ خارج عن الرسالة غايتها إثبات صدق دعوى النبي.

٣- تكون في المجتمعات التي لا باع لها في العلوم النظرية.

٤- إنّها تكون في المجتمعات التي اعتادت على التكذيب والتعنت إذ كلما كانت المعجزة مادية تكون اكثر إلزاما.

(١) الخرازي: محسن: بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ١: ٢٤٣.
(٢) الإتقان في علوم القرآن٢: ٣١١.



الآخر: المعجزات العقلية: وهي التي تدرَك من قبل العقل الإنساني وتتعدّى إدراك الحواس المادّية، كالإتيان بحقائق العلوم من غير تعلّم، قال الراغب: (ما يُدرَك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً، والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلّم)[1].

الفرق بين المعجزات الحسية والعقلية:

فأمّا الحسّية: فيشترك في إدراكها العامّة والخاصّة، وهي أوقع عند طبقات العامّة والمتعنتين والمعاندين، وآخذة بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم. وأمّا العقلية: فيختصّ بإدراكها كملة الخواصّ من ذوي العقول الراجحة والأفهام الثاقبة الذين يغنيهم إدراك الحقّ.

المطلب الثالث: سبب التكذيب للمعجزة مع نفاذها وقاطعيتها:

إنَّ سبب تكذيب المعجزة لم يكن لجهة قصور المعجزة أو نقص الأدلة عن غايتها؛ وإنما ما وقع يرجع إلى أنَّ بعضهم استكثر على طائفة من الناس هذا الأمر إمّا حسدا أو بغضا وقد صرح القرآن بهذا في أكثر من مورد منها:

قوله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِين ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن ١: ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٩٠.

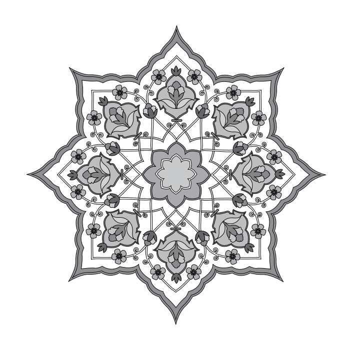


مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وجاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قَالَ: (وَ إِنَّمَا كَانَ كُفْرُهُمْ لِبَغْيِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَهُ- لِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ القرآن الَّذِي أَبَانَ فِيهِ نُبُوَّتَهُ وَأَظْهَرَ بِهِ آيَتَهُ وَمُعْجِزَتَهُ...)(٣).

فكفرهم وتفرقهم عنه لم يكن عن جهل، وإنَّما كانوا على علم بأن الذي جاء به هو من عند الله عز وجل، وإذا رجعنا إلى مفردة (بغيا) فيما يتعلق بهذا المضمون نجد انها تكررت خمس مرات في كتاب الله عز وجل، كلها تفيد أنَّ ما وقع من تكذيب بالآيات والمعجزات هو راجع إلى الحسد.



(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سورة النساء: ٥٤.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٤٠٢.



المبحث الخامس: أنواع الإعجاز القرآني عند أهل البيت عليهم السلام وخصائصه:

المطلب الأول: أنواع الإعجاز عند أهل البيت عليهم السلام:

من خلال تتبع الروايات الواردة عن أهل البيت نستطيع أنْ نبين ما هي أنواع الإعجاز:

١- الإعجاز الغيبي: وهو أنَّ القرآن الكريم أخبر بأمور غابت عن الحواس، ولم يطلع عليها احد سواء أكانت ماضية أم مستقبليّة لم تقع بعد، وهي روايات كثيرة نذكر منها:

ما روي عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (إِنَّ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ فِيهِ خَبَرُكُمْ وَخَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَنْ بَعْدَكُمْ وَخَبَرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَوْ أَتَاكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَتَعَجَّبْتُمْ)[1] إذ نجد أنَّ الرواية ذكرت مستويين من الإعجاز الغيبي وهو الغيب الماضي، والغيب المستقبل.

ومثلها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: (إِنَّ فِي القرآن مَا مَضَى وَمَا يَحْدُثُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَكَانَتْ فِيهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ فَأُلْقِيَتْ وَإِنَّمَا الِاسْمُ الْوَاحِدُ فِي وُجُوهٍ لَا تُحْصَى تَعْرِفُ ذَلِكَ الْوُصَاةُ)[2].

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٥٩٩.

(٢) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١٩٥:١.



ومنها: ما روي عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ الله وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ وَخَبَرُ مَا كَانَ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ)(١).

٢- الإعجاز في النظم جاء في حديث الإمام الرضا عليه السلام: (فَعَظَّمَ الْحُجَّةَ فِيهِ وَالْآيَةَ وَالْـمُعْجِزَةَ فِي نَظْمِه)(٢).

المطلب الثاني: خصائص إعجاز القرآن ومعالمه على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام:

١- إنَّ المعجزة لا يدخلها تلبيس، وإنّها جلية، وإنّها قاطعة على الخصم العذر؛ لأنَّها واضحة الدلالة كما أنَّها لا تُرد، جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: (فَلَمَّا بَهَرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ بِمُعْجِزَتِهِ، وَقَطَعَ مَعَاذِيرَهُمْ بِوَاضِحِ دَلَالَتِهِ، لَمْ يُمْكِنْهُمْ مُرَاجَعَتُهُ فِي حُجَّتِهِ، وَلَا إِدْخَالُ التَّلْبِيسِ عَلَيْهِ فِي مُعْجِزَتِهِ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ قَدْ آمَنَّا بِأَنَّكَ الرَّسُولُ الْهَادِي الْـمَهْدِيُّ، وَأَنَّ عَلِيّاً أَخُوكَ هُوَ الْوَصِيُّ وَالْوَلِيُّ)(٣).

٢- إنَّ المعجزة هي تكريم للنبي صلى الله عليه وآله وبيان للحجة، وأنَّ المعجزة يجب أنْ تكونَ للناس لا للنبي، جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام لِلْوَالِي: (وَأَنْتَ قَدْ كَذَبْتَ كَذِبَةً لَوْ تَعَمَّدْتَهَا وَكَذَبْتَهَا لَابْتَلَاكَ

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ٦١.

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٠.

(٣) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٩١.



اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِضربِ أَلْفِ سَوْطٍ، وَسِجْنِ ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْـمُطْبَقِ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ: بِزَعْمِكَ أَنَّكَ رَأَيتَ لَهُ مُعْجِزَاتٍ، إِنَّ الْـمُعْجِزَاتِ لَيْسَتْ لَهُ إِنَّمَا هِيَ لَنَا أَظْهَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِيهِ إِبَانَةً لِحُجَّتِنَا وَإِيضَاحاً لِجَلَالَتِنَا وَشَرفِنَا، وَلَوْ قُلْتَ: شَاهَدْتُ فِيهِ مُعْجِزَاتٍ، لَمْ أُنْكِرْهُ عَلَيْكَ، أَلَيسَ إِحْيَاءُ عِيسَى عليه السلام الْـمَيِّتَ مُعْجِزَةً أَهِيَ لِلْمَيِّتِ أَمْ لِعِيسَى أَوَلَيْسَ خَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ- فَصَارَ طَيْراً بِإِذْنِ الله [مُعْجِزَةً] أَهِيَ لِلطَّائِرِ أَوْ لِعِيسَى أَوَلَيْسَ الَّذِينَ جُعِلُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ مُعْجِزَةً، أَهِيَ لِلْقِرَدَةِ أَوْ لِنَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ فَقَالَ الْوَالِي: أَسْتَغْفِرُ اللهَ [رَبِّي] وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)[١].

٣- إنَّ المعجزة هي لإثبات النبوة، وعلامة صدق النبي صلى الله عليه وآله في دعواه، وأنَّها لا قصور في ذاتها، وإنَّما القصور في نفوسهم، جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قَالَ: (وَ إِنَّمَا كَانَ كُفْرُهُمْ لِبَغْيِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَهُ- لِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ القرآن الَّذِي أَبَانَ فِيهِ نُبُوَّتَهُ وَأَظْهَرَ بِهِ آيَتَهُ وَمُعْجِزَتَهُ)[٢].

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٣] الدَّلَالاتِ عَلَى نُبُوَّتِهِ..)[٤].

وقال الإمام علي عليه السلام: (وَ يَكُونَ - القرآن - بَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِين..)[٥].

٤- إنَّ معجزة القرآن خالدة، وأنَّها باقية على مرِّ الأزمان، وأنَّها صالحة لكل وقت، وأنها تجري في الناس، ومهيمنة على كل الكتب والمعجزات، ويدل على هذا المعنى

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام:٣١٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠٢.

(٣) سورة البقرة:٩٢.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٤٠٨.

(٥) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي (ط - دار الحديث) ١٥: ٤١٥.



مجموعة من الروايات منها:

ما روي عن الصدّيقة فَاطِمَةَ عليها السلام فِي خُطْبَتِهَا المعروفة إذ قَالَتْ: (لله فِيكُمْ عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ كِتَابُ الله بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ، وَآيٌ مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ وَبُرْهَانٌ مُتَجَلِّيَةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُدِيمٌ لِلْبَرِيَّةِ اسْتِمَاعُه...)[1]، اذ الظاهر من المقطع الأخير من الخطبة أنَّ الله عز وجل أدام استماعه للخلق.

ومنها: ما جاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (وَ جَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَه)[2]، وعن أبي عبد الله عليه السلام: (أَنَّ قَوْماً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا لِلصَّادِقِ عليه السلام أَيُّ مُعْجِزٍ يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: كِتَابُهُ الْـمُهَيْمِنُ الْبَاهِرُ لِعُقُولِ النَّاظِرِين)[3].

إنَّ المراد من الهيمنة هو الغلبة والقهر، فمن لا يكون باقيًا لا يسمى مهيمنا، فبقاؤه هو من لوازم الخاتمية التي تحتاج إلى الدوام والبقاء إلى قيام الساعة.

ومنها: ما روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قال: (... يَا خَيْثَمَةُ إِنَّ القرآن نَزَلَ [نَزَلَتْ] أَثْلَاثاً فَثُلُثٌ فِينَا وَثُلُثٌ فِي عَدُوِّنَا وَثُلُثٌ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ وَلَوْ أَنَّ آيَةً نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتُوا أُولَئِكَ مَاتَتِ الْآيَةُ إِذًا مَا بَقِيَ مِنَ القرآن شَيْ ءٌ إِنَّ القرآن يَجْرِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَآخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَلِكُلِّ قَوْمٍ آيَةٌ يَتْلُونَهَا هُمْ مِنْهَا فِي خَيْرٍ أَوْ شـر)[4].

---

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٦٧.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٧٤.

(٣) الراوندي: الخرائج والجرائح ١: ١١١.

(٤) الكوفي: فرات: تفسير فرات الكوفي: ١٣٨.

ومنها: قول الإمام الصادق عليه السلام: (قَالَ القرآن نَزَلَ فِي أَقْوَامٍ وَهِيَ تَجْرِي فِي النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(١).

ومنها: عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ أَبو عَبْدِ الله عليه السلام: (... جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، فَجَاءَ بِالقرآن، وَشَرِيعَتِهِ، وَمِنْهَاجِهِ، فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..)(٢).

ومنها: ما روي عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ قَالَ: قال عَلِيُّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام في وصف القرآن الكريم: (وَأَنَّهُ الْـمُهَيْمِنُ عَلَى الْكُتُبِ كُلِّهَا)(٣).

إنَّ الظاهر من الأحاديث المتقدمة بيان علة بقاء القرآن، وفلسفة دوامه إلى الساعة، فإنَّ الآية إذا كانت خاصة بقوم فبموتهم تنتهي فاعلية الآية وأشخاصها، فهنا أراد الإمام عليه السلام أنْ يبين أنَّ الآية لا ترتبط بمصداق معين، وإنَّما هي مفاهيم كلية تجري على مصاديق عديدة، ولذا قال المفسرون: إنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومنها: ما روي عن أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي القرآن الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قَالَ: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ قِبَلِ التَّوْرَاةِ وَلَا مِنْ قِبَلِ الْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَأَمَّا مِنْ خَلْفِهِ لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابٌ يُبْطِلُه)(٤).

---

(١) البرقي: المحاسن ١: ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٦٩.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢١.

(٤) القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٢: ٢٦٦.



إنَّ كلمة الإبطال في هذا النص ظاهرة في بقاء الفاعلية، وأَنَّهُ ناجزٌ وماضٍ في أحكامه لا ينسخه كتاب من الكتب السماوية الأخرى.

منها: ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (.. هُوَ حَبْلُ الله الْـمَتِينُ وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى وَطَرِيقَتُهُ الْـمُثْلَى الْـمُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ وَالْـمُنْجِي مِنَ النَّارِ لَا يَخْلُقُ[1] عَلَى الْأَزْمِنَةِ وَلَا يَغِثُ[2] عَلَى الْأَلْسِنَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ لِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ بَلْ جُعِلَ دَلِيلَ الْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد)[3].

الناظر إلى هذا الحديث يجده نصا في دلالته على أنَّ القرآن لم يأتِ لزمان دون زمان آخر، بل إِنَّهُ لم يقتصر على عربي أو اعجمي؛ لأنَّ لفظة كل تدل على العموم في قوله (كل إنسان) وانه باق جديد في كل وقت لا يخلق من كثرة الرد.

٦- وإنَّها عقلية كما تقدم في النقطة الرابعة.

٧- وإنَّها دليل على الرسالة، وهي الرسالة في الوقت ذاته بيَّن فيه الأحكام وجعله مصانا من أنْ يُحرفَ، ومما يستدل على أنَّ القرآن عين الرسالة قول الإمام علي عليه السلام: (وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله نَبِيُّ الْهُدَى وَمَوْضِعُ التَّقْوَى وَرَسُولُ الرَّبِّ الْأَعْلَى جَاءَ بِالْـحَقِ مِنْ عِنْدِ الْـحَقِّ لِيُنْذِرَ بِالقرآن الْـمُنِيرِ وَالْبُرْهَانِ الْـمُسْتَنِيرِ فَصَدَعَ بِالْكِتَابِ الْـمُبِين)[4]. وفي موضع آخر يقول: (وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِه).

---

(١) خلق الثوب: بلى.

(٢) غث حديث القوم: ردؤ وفسد.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٠.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٨: ٣٦٠.



فظاهر النص أنَّ الدعوة والإنذار كان بالقرآن، وأنَّ ما صدع به النبي من تعاليم هي من القرآن.

قال الإمام علي عليه السلام: (أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، بِكِتَابٍ كَرِيمٍ قَدْ فَضَّلَهُ وَفَصَّلَهُ وَبَيَّنَهُ وَأَوْضَحَهُ وَأَعَزَّهُ، وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. ضَربَ لِلنَّاسِ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَصرفَ فِيهِ الآيات لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ، أَحَلَّ فِيهِ الْحَلَالَ، وَحَرَّمَ فِيهِ الْحَرَامَ، وَشرعَ فِيهِ الدِّينَ لِعِبَادِهِ عُذْراً وَنُذْراً لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَيَكُونَ بَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِين..)[١].

وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام هذه الأمور بقوله: (.. هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى وَطَرِيقَتُهُ الْمُثْلَى الْمُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمُنْجِي مِنَ النَّارِ لَا يَخْلُقُ[٢] عَلَى الْأَزْمِنَةِ وَلَا يَغِثُ[٣] عَلَى الْأَلْسِنَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ لِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ بَلْ جُعِلَ دَلِيلَ الْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد)[٤].

وفي رواية أخرى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنِ الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام مَا بَالُ القرآن لَا يَزْدَادُ عَلَى النَّشرِ وَالدَّرْسِ إِلَّا غَضَاضَةً؟ فَقَالَ عليه السلام: لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْهُ لِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة)[٥].

---

(١) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي (ط – دار الحديث) ١٥: ٤١٥.

(٢) خلق الثوب: بلى.

(٣) غث حديث القوم: ردؤ وفسد.

(٤) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٠..

(٥) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار ٨٩: ١٥.



لماذا اختير الكلام أنْ يَكونَ معجزا؟

إنّ خصوصيّة اختيار الكلام ليكون سر إعجاز القرآن، يكمن في المقاربات الآتية:

أ- أبلغ المعجزات أثراً في مقام التصديق والتسليم هو ما شابه منها أرقى فنون العصر، وعجز أهل هذه الفنون وأربابها عن الإتيان بمثلها: رُوي أنّه سأل ابن السكّيت[١] الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقال: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا واليد البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فقال عليه السلام: (إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات[٢]، واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه، ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم)[٣].

ويُفهَم من هذه الرواية أنّ فلسفة تنوّع المعجزات واختيار إحداها لتكون معجزة

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقيّ الأهوازيّ الشيعيّ، أحد أئمّة اللغة والأدب، ذكره كثير من المؤرّخين وأثنوا عليه، وكان ثقةً جليلاً من عظماء الشيعة، ويُعدّ من خواصّ الإمامين التقيّين عليهما السلام وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر واللغة والنحو، له تصانيف كثيرة مفيدة، منها: كتاب تهذيب الألفاظ، وكتاب إصلاح المنطق.

(٢) الآفات الواردة على بعض الأعضاء، فتمنعها عن الحركة، كالفالج، واللقوة. ويطلق المزمن على مرض طال زمانه.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١: ٢٤ كتاب العقل والجهل، ح٢٠.

لنبيّ من الأنبياء عليهم السلام يدور مدار الخاصّيّة الغالبة على أهل عصر مَن يُجري الله تعالى على يديه المعجزة، لتكون أبلغ في التأثير، وأظهر في التحدّي، وآكد في تصديق الدعوة.

ب- إنّ دوامَ التصديق بالدين في كلّ زمان ومكان رهن باستمرار معجزته على اختلاف الزمان والمكان، فلمّا كانت رسالة القرآن رسالة عالميّة وخاتمة إلى يوم القيامة، فلا بدّ من أنْ تكون معجزة هذه الرسالة عالميّة وخالدة - أيضاً -، على اختلاف الزمان والمكان، ومن ثمَّ على اختلاف خصائص البيئات الاجتماعيّة الإنسانيّة. ولذا، كان الكلام، بما يشتمل عليه من خصائص لغويّة وصوتيّة ونظميّة ومعنايّة ومضمونيّة...، محلًّا للإعجاز.

ج- تقدّم أنّ نوع العناية بالتحدّي في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ﴾[1]، هو بكون القرآن متضمّناً لما يختصّ علمه بالله تعالى ولا سبيل لغيره إليه، لذا كان القرآن من العلم المخصوص به تعالى.

المطلب الثالث: مكمن الإعجاز في القرآن الكريم عند أهل البيت عليهم السلام:

تكاد تجتمع كلمة المسلمين على أنَّ مكمن الإعجاز وعنصره هو الفصاحة والنظم إذ عدَّ هذا الأمر ركنا أساسا في إعجاز القرآن، فالمتصفح لكتب الإعجاز يجد انها تتوسع فيه بحثا وتنقيبا وتحقيقا واعترف بذلك العدو قبل الصديق فهذا الوليد بن المغير - وهو من بلغاء العرب - يقول كلمته المشهورة بعد سماعه القرآن: (وَالله إِنَّ لَهُ



(١) سورة هود: ١٤.

لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَر)[١].

وممن قال كلمته في القرآن من الأعداء عتبة بن ربيعة بعدما سمعه قال: (أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإنْ يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم)[٢].

وذهب بعضهم إلى أنَّ القرآن معجز بالفصاحة فقط.

وذهب الرماني(٣٨٦هـ) إلى أنَّ إعجازه يكمن في سبعة أمور: أنْ لا يعارض مع وجود الدواعي وشدة الحاجة، وأنْ يكون متحديا لكافة الناس، وأنَّ الناس مصروفة عن معارضته، وبلاغته وأخبار الغيب الصادقة، وخروجه عن العادة وقياسه بكل معجزة[٣].

وذهب بعض إلى أنَّه معجز بالصرفة أي إنَّ الله تعالى صرف الناس عن معارضة القرآن، وهذا ما ذهب إليه النظام من شيوخ المعتزلة، ومن الإمامية الشيخ المفيد

---

(١) الطبرسي: الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى (ط – القديمة):٤٢.

(٢) ابن هشام: عبد الملك الحميري: السيرة النبوية: تح: تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ – ١٩٦٣م المطبعة: المدني القاهرة الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده مصر١: ١٩١.

(٣) الرماني: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن المعتزلي: النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،ط٣-١٩٧٦م تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف مصر: ٧٥.



(٤١٣هـ)[١]، وعلم الهدى السيد المرتضى(٤٣٦هـ)[٢].

اما مكامن الإعجاز عند أهل البيت عليهم السلام نجده على مستويات عدة منها:

ان مكامن الإعجاز هو الأخبار بالأمور الماضية والمستقبلة، فقد روي عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: (إِنَّ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ فِيهِ خَبَرُكُمْ وَخَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَنْ بَعْدَكُمْ وَخَبَرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَوْ أَتَاكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَتَعَجَّبْتُمْ)[٣].

ومثله ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: (إِنَّ فِي القرآن مَا مَضَى وَمَا يَحْدُثُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَكَانَتْ فِيهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ فَأُلْقِيَتْ وَإِنَّمَا الِاسْمُ الْوَاحِدُ فِي وُجُوهٍ لَا تُحْصَى تَعْرِفُ ذَلِكَ الْوُصَاةُ)[٤]. اذ نجد أنَّ الروايتين ذكرتا مستويين من الإعجاز الغيبي وهو الغيب الماضي والغيب المستقبل.

وفي رواية أخرى يذكر الإمام أبو الحسن الأول عليه السلام - يَعْنِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام - أنَّ مكمن الإعجاز أبعد مما يتصوره الإنسان إذ يقول: (وَ قَدْ وَرِثْنَا هَذَا القرآن فَفِيهِ مَا يُقَطَّعُ بِهِ الْجِبَالُ وَيُقَطَّعُ الْـمَدَائِنُ بِهِ وَيُحْيَا بِهِ الْـمَوْتَى وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْـمَاءَ تَحْتَ الْهَوَاءِ، وَإِنَّ فِي كِتَابِ الله لَآيَاتٍ مَا يُرَادُ بِهَا أَمْرٌ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللهُ بِهِ مَعَ مَا فِيهِ)[٥].

---

(١) المفيد: محمد بن محمد النعمان: اوائل المقالات: ٦٣.

(٢) الشريف المرتضى: علي بن الحسين: رسائل الشريف المرتضى: تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني إعداد: السيد مهدي الرجائي ط١-١٤٠٥ المطبعة: الخيام الناشر: دار القرآن الكريم - قم٢: ٣٢٦.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ٢: ٥٩٩.

(٤) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١: ١٩٥.

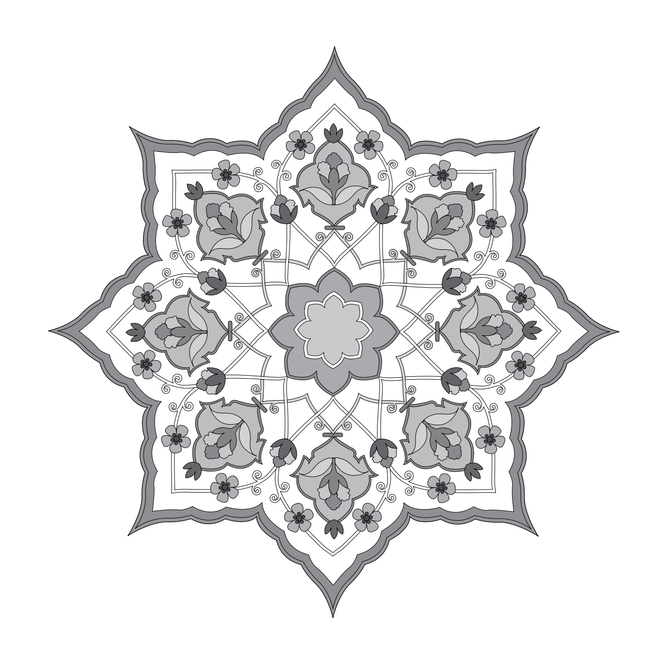
(٥) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام ١: ٤٧.



أمّا في رواية الإمام الرضا عليه السلام فإنها ذكرت النظم ففي حديث ينقله مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: (ذَكَرَ الرِّضَا عليه السلام يَوْماً القرآن فَعَظَّمَ الْحُجَّةَ فِيهِ وَالْآيَةَ وَالْـمُعْجِزَةَ فِي نَظْمِه)(١).

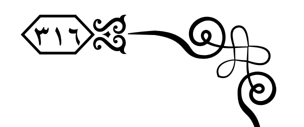
فنستطيع بعد هذه النصوص أن نقول: إنَّ الإعجاز له مستويات عدة، وانها لم تقصر على أمر معين، ولكل نصيب، وهذا يحتاج تأمل وبعد نظر والتزام المنهج الحق كي يستطيع الإنسان أنْ يقرر تلك المستويات.

والحمدُ لله رب العالمين





(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٣٠.



الخاتمة والنتائج:

من خلال ما تقدم والروايات التي جمعتها على عجالة نجد أنَّ هناك مجموعة من الأمور تجلت من هذه الوريقات ويمكن ذكرها على شكل نقاط وهي كالآتي:

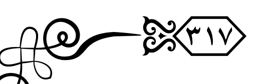
١- إنَّ أهل البيت عليهم السلام كانت لهم الريادة في تأسيس علم الإعجاز والوقوف على حقائقه وفلسفته. كما بينوا أقسامه ومكامنه وخصائصه.

٢- إنَّ نشوء علم الإعجاز جاء وليد مجموعة من الأمور من ضمنها الفتوحات وما انتجته من الإشكاليات التي انعكست على القرآن الكريم.

٣- يجب قراءة الإعجاز على نحو أَنَّهُ هداية، وليس تحديًا وهذا ما وجدناه في الروايات وتركز عليه.

٤- الانطلاق من الإعجاز لبناء منظومة معرفية نستطيع معها فهم القرآن فهما دقيقا قائما على الروايات التي وصلت إلينا عن أهل البيت عليهم السلام.





المصادر والمراجع:

١. ابن أبي جمهور: محمد بن زين الدين: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية؛ ط١-١٤٠٥ ق. دار سيد الشهداء للنشر قم - ايران.

٢. ابن إدريس: محمد بن إدريس: السرائر: في بيان المكاسب المباحة والمكروهة.

٣. ابن البراج: عبد العزيز القاضي: المهذب تحقيق: إعداد: مؤسسة سيد الشهداء العلمية إشراف: جعفر السبحاني،ط١-١٤٠٦هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤. ابن المقفع: عبد الله بن المبارك (ت ١٤٢ هـ): الأدب الكبير والأدب الصغير دار الرسالة ط٢ بيروت ١٩٨٦.

٥. ابن حجر: احمد بن محمود بن علي الهيتمي (ت٩٧٤): كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع،ط٤ البابي الحلبي مصر.

٦. ابن حيان: أثير الدين الأندلسي الغرناطي(٧٥٤ هـ): البحر المحيط دار الشروق بيروت ط١.

٧. ابن حيون: نعمان بن محمد المغربي: دعائم الإسلام، ط٢-١٤٢٧ هـ الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام قم - ايران.

٨. ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ط٢-١٤٠٤ هـ الناشر: جماعة المدرسين.

٩. ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني، ت ٥٨٨هـ، الناشر: علامة، ايران- قم، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٠. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام محمد هارون الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. الناشر: دار الفكر.

١١. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: الصاحبي



في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ط١ - ١٤١٨هـ-١٩٩٧م الناشر: محمد علي بيضون.

١٢. ابن فهد الحلي: أحمد بن محمد: عدة الداعي ونجاح الساعي ط١- ١٤٠٧ هـ الناشر: دار الكتب الإسلامي.

١٣. ابن قدامة: عبد الرحمن: الشرح الكبير الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٤. ابن قدامة: عبدالله: المغني الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت - لبنا.

١٥. ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي أيوب: بدائع الفوائد، (ت ٧٥١ هـ) دار الكتب العربية - بيروت.

١٦. ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب: إعلام الموقعين عن رب العالمين،ط١- ١٩٧٣،تح: عصام الدين الصبابطي نشر: دار الحديث القاهرة- مصر.

١٧. ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل. (ت: ٧٧٤): تفسير القرآن العظيم دار الحديث - القاهرة ١٩٨٦.

١٨. ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب دار صادر -بيروت ١٩٥٥.

١٩. ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب ط١-١٤٠٥هـ نشر وطبع: نشر أدب الحوزة قم - إيران.

٢٠. ابن ناقيا: عبد الله بن محمد بن الحسين: الجمان في تشبيهات القرآن،ط١-١٩٧٨ تح: محمود حسن أبو ناجي الشيباني الرياض.

٢١. ابن نجيم المصري: البحر الرائق تحقيق: ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط١- ١٩٩٧م طبع ونشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.





٢٢. ابن هشام: عبد الملك الحميري: السيرة النبوية: تح: تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ - ١٩٦٣م المطبعة: المدني القاهرة الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده مصر

٢٣. ابن هشام: عبد الملك: السيرة النبوية (ت ٢١٨ هـ) تح: مصطفى السقا وجماعته ط٣ -١٩٧٣بيروت.

٢٤. ابو حبيب: سعدي: القاموس الفقهي ط٢-١٩٨٨م طبع ونشر: دار الفكر دمشق - سوريا.

٢٥. الآبي: زين الدين أبي علي الحسن بن أبي طالب ابن أبي المجد اليوسفي: كشف الرموز تحقيق: الشيخ علي پناه الإشتهاردي، الحاج آغا حسين اليزديط١- ١٤٠٨هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٦. أحمد بن حنبل: مسند أحمد: الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان..

٢٧. اسبر: محمد سعيد: الجنيدي: محمود: الشامل في اللغة بيروت ط ١- ١٩٨٥م.

٢٨. الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل: مفردات الراغب (ت ٥٠٢) مفردات الفاظ القرآن الكريم تح: صفوان عدنان الدار الشامية ط١ ١٩٩٦ بيروت.

٢٩. الأصول الستة عشر: جمع من العلماء ط١- ١٣٦٣ ش طبع: دار الشبستري للمطبوعات قم - ايران.

٣٠. الأصول الستة عشر: جمع من العلماء ط١- ١٤٢٣ هـ الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية،. إيران؛ قم.

٣١. الأغر: نجيب كريم: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام ط١- ١٤٢٥ ه. ق،الناشر: دار المعرفة بيروت.

٣٢. الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ت ١٢٧٠) ط١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) دار





الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٣٣. امرؤ القيس: الديوان حسن السذوبي مطبعة الاستقامة القاهرة ط٣ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣م.

٣٤. الأميني: عبد الحسين احمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب ط٤- ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٣٥. الأنصاري: مرتضى: كتاب المكاسب: مجمع الفكر الإسلامي لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم،ط١- ١٤١٧هـ المطبعة: مؤسسة الهادي – قم الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصار.

٣٦. البحراني: الحدائق الناضرة المحقق الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٧. البخاري: صحيح البخاري ط بلا-١٤٠١ - ١٩٨١ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٨. البرقي: احمد ابن محمد ابن خالد: المحاسن، (ت ٢٧٤هـ او٢٨٠هـ) الناشر: دار الكتب الإسلامية، ايران- قم، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ.

٣٩. البقاعي: برهان الدين (ت٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية ط٧.

٤٠. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ٦٥٨ هـ دار الشروق بيروت ط١.

٤١. التبريزي: الأنوار الإلهية.

٤٢. الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة: صحيح الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان ط٢-١٤٠٣ - ١٩٨٣ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٥: ٣٢٨.





٤٣. التنوخي: محمد: معجم علوم العربية ط١-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار الجيل بيروت – لبنان: ٥٩.

٤٤. التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون.

٤٥. الثعلبي: أحمد بن محمد: الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي المحقق: ابن عاشور، أبي محمد مراجعة وتدقيق: الساعدي، نظير ط١- ١٤٢٢ هـ. ق الناشر: دار إحياء التراث العربي،بيروت.

٤٦. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان (ت ٢٥٥) دار البيان – بيروت.

٤٧. الجرجاني: علي بن محمد: التعريفات ط١- ٢٠٠٤م طبع ونشر: دار التراث العرابي بيروت – لبنان.

٤٨. الجزيري: عبد الرحمن الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت مع تعليقة محمد الغروي وياسر مازح ط١- ١٤١٩ – ١٩٩٨ م الناشر: دار الثقلين.

٤٩. الجلالين: جلال الدين محمد بن احمد المحلي والشيخ جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين طبعة مصر، مطبعة الشعب.

٥٠. الجميلي: السيد: الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، منشورات مكتبة التحرير، بغداد ط١، ١٩٨٢.

٥١. الجواهري: محمد حسن النجفي: جواهر الكلام تح: الشيخ عباس القوچاني، ط٣-١٣٦٧ ش المطبعة: خورشيد الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

٥٢. الجوهري: إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تح: احمد عبد الغفور عطار. ط٤- ١٩٨٧م طبع ونشر: دار العلم للملايين. بيروت لبنان.

٥٣. الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي دار المعرفة بيروت – لبنان.





٥٤. الحر العاملي: محمد بن حسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الناشر: مؤسسة آل البيت،لبنان: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٥. الحر العاملي: محمد بن حسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط١ - ١٤٠٩ طبع ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام قم - ايران.

٥٦. الحكيم: محسن: مستمسك العروة ١٤٠٤ الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران.

٥٧. الحكيم: محمد باقر: علوم القرآن ط٣- ١٤١٧هـ المطبعة: مؤسسة الهادي - قم الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

٥٨. الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ط٢- ١٩٧٩م الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر.

٥٩. الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ط٤-٢٠٠١م طبع ونشر: المؤسسة الدولية بيروت- لبنان.

٦٠. الحكيم: محمد سعيد: منهاج الصالحين ط١- ١٤١٥ - ١٩٩٤ م الناشر: دار الصفوة - بيروت - لبنان.

٦١. الحلبي: أبو الصلاح: الكافي في الفقه: فيما يحرم من المكاسب

٦٢. الحلي: الحسن بن يوسف: تحرير الأحكام تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري إشراف: جعفر السبحاني ط١- ١٤٢١هـ المطبعة: اعتماد. الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم - ايران.

٦٣. الحلي: الحسن بن يوسف: ذكرة الفقهاء ط١-١٤١٤هـ تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث المطبعة: ستاره - قم -ايران.

٦٤. الحلي: الحسن بن يوسف: مختلف الشيعة ط١- ١٤١٥ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.



٦٥. الحلي: الحسن بن يوسف: منتهى المطلب: تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ط١- ١٤١٥ طبع ونشر: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

٦٦. الحلي: يوسف بن الحسن: إرشاد الأذهان تحقيق: الشيخ فارس حسون،ط١- ١٤١٠هـ طبع ونشر: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٦٧. الحمداني: محمد صالح: منهج التفسير التحليلي للنص القرآني. ط١- ٢٠٠٩ هـ نشر مكز البحوث الإسلامية المعاصرة بغداد العراق.

٦٨. الحملاوي: احمد: شذى العرف، دار الكتب العالمية بيروت

٦٩. الخالدي: صلاح عبد الفتاح: البيان في اعجاز القرآن دار عمار الاردن- عمان.

٧٠. الخامنئي: علي: أجوبة الاستفتاءات ط١- ١٤١٥ - ١٩٩٥ م،: دار النبأ للنشر والتوزيع - الكويت.

٧١. الخرازي: محسن: بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ١: ٢٤٣.

٧٢. الخضري: محمد: أصول الفقه ط١- ٢-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار الحديث القاهرة- مصر.

٧٣. الخطيب: عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن دار العلم للطباعة ط١.

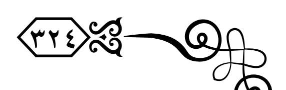
٧٤. الخفاجي: أحمد بن محمد: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي طبع دار صادر بيروت ط١.

٧٥. الخوئي: أبو القاسم: كتاب الحج ط١-١٤١٠هـ المطبعة: العلمية - قم الناشر: لطفي.

٧٦. الخوئي: أبو القاسم: مصباح الفقاهة: بقلم محمد على التوحيدي التبريزي الطبعة: الأولى المحققة المطبعة: العلمية الناشر: مكتبة الداوري قم - ايران.

٧٧. الخوئي: أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن ط٤- ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م الناشر:





دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٧٨. الخوئي: أبو القاسم: صراط النجاة مع تعليق الميرزا التبريزي ط١-١٤١٦هـ المطبعة: سلمان الفارسي الناشر: دفتر نشر برگزيده.

٧٩. الخوئي: حبيب الله الهاشمي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي ط٤ المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران الناشر: بنياد فرهنگ إمام المهدي (عج).

٨٠. الدامغاني: محمد الحنسي محمد: قاموس القرآن تح: عبد العزيز سيد الاهل - ط٢ - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٧.

٨١. الدوري: عبد الرحمن: وعليان: رشدي: أصول الدين الإسلامي جامعة بغداد ١٩٧٧.

٨٢. الدويش: أحمد بن عبد الرزاق: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الناشر: دار العاصمة.

٨٣. الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز: الكبائر ط١ بغداد مطبعة منير.

٨٤. الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح (ت٦٦٦هـ) ناشر دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ط١.

٨٥. الرازي: مفاتيح الغيب: (ت ٦٠٦ هـ) ط٢ دار الفكر بيروت.

٨٦. الراوندى: قطب الدين، سعيد بن هبة الله، الدعوات (للراوندي) سلوة الحزين، انتشارات مدرسه إمام مهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - قم، ط١- ١٤٠٧هـ.

٨٧. الراوندي: سعيد بن هبة الله قطب الدين: الخرائج والجرائح: ت ٥٧٣هـ الناشر: مؤسسة الإمام المهدي ه، ايران - قم الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨٨. الراوندي: قطب الدين: فقه القرآن تح: السيد أحمد الحسيني،ط٢-١٤٠٥هـ





الناشر: مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي.

٨٩. الرضا عليه السلام: صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ط١- ١٤٠٦هـ مشهد- ايران.

٩٠. الرضي: محمد بن أحمد: حقائق التأويل: تح: محمد رضا آل كاشف الغطاء الناشر: دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان:١٢٠.

٩١. الرضي: محمد بن أحمد: نهج البلاغة: الإمام علي عليه السلام: جمع الشريف تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده،ط١- ١٤١٢هـ المطبعة: النهضة الناشر: دار الذخائر - قم - ايران.

٩٢. الرعيني: الحطاب: مواهب الجليل تح: الشيخ زكريا عميرات ط١-١٤١٦ - ١٩٩٥ م الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٩٣. الرماني: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن المعتزلي: النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،ط٣-١٩٧٦م تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف مصر.

٩٤. الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي: تاج العروس من جواهر القاموس: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ط٢.

٩٥. الزرقاني: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن ط١- ١٩٩٦ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٩٦. الزركشي: البرهان: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١-١٣٧٦ - ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

٩٧. الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي(ت ٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق: عبد الرزاق



المهدي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٨. الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: دار المعرفة بيروت -ط١.

٩٩. الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل طبع دار الشروق بيروت ط١.

١٠٠. الزمخشري: محمود جار الله (ت ٥٣٨هـ) أساس البلاغة: طبع دار صادر بيروت ط١

١٠١. الزوزني: أبو عبدالله الحسين بن احمد: شرح المعلقات العشر،١٩٧٩م دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

١٠٢. زيدان: عبد الكريم: أصول الفقه الدار الإسلامي عمان الأردن ط٥ ١٩٩٦.

١٠٣. الزيدي: قاصد ياسر. الأستاذ بكلية التربية للبنات بجامعة بغداد بالعراق. نشر في مجلة العرب (محرم وصفر ١٤٢٧هـ).

١٠٤. زين الدين: محمد أمين: كلمة التقوى ط١- ١٤١٣هـ المطبعة: إسماعيليان الناشر: مؤسسة إسماعيليان - قم.

١٠٥. السامرائي: سعد مزهر جاسم: حكم السماع في الشريعة- رسالة ماجستير بغداد ١٩٩٨.

١٠٦. السجستاني: سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود تحقيق: تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام ط١- ١٤١٠ - ١٩٩٠ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠٧. السمرقندي: نصر بن محمد: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ط١- ١٤١٦ هـ. ق المحقق: العمروي، عمر الناشر: دار الفكر بيروت.

١٠٨. سيد قطب: في ظلال القرآن: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ط٥.





١٠٩. سيد قطب: في ظلال القرآن: دار الشروق ١٩٨٢م بيروت.

١١٠. السيستاني: علي: مناسك الحج،ط١- ١٤١٣هـ المطبعة: شهيد - قم.

١١١. السيوطي: جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن تحقيق: سعيد المندوب ط١-١٩٩٦م المطبعة: - دار الفكر- لبنان.

١١٢. السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

١١٣. السيوطي: جلال الدين: لباب النقول في أسباب النزول،جلال الدين السيوطي الهاشميه دمشق ١٣٥٨.

١١٤. الشافعي: سليمان بن عمر العجيني (ت ١٢٠٤ هـ): الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية طبع دار صادر بيروت ط٢.

١١٥. الشبر: السيد علي الحسيني: العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى،ط - ١٣٨٥هـ.

١١٦. الشنقيطي: محمد الأمين بن المختار: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار ط١ دار المعارف العثمانية في إسطنبول.

١١٧. الشنقيطي: محمد الأمين بن المختار: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ط١-١٩٩٣ بيروت.

١١٨. الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،ط١- ١٤١٩هـ المطبعة: ستاره،قم- ايران.

١١٩. الشيرازي: محمد الحسيني: الفقه المحرمات،طط٢- ١٤٠٩هـ طبع: دار العلوم بيروت - لبنان.

١٢٠. الشيرازي: محمد الحسيني: المسائل المتجددة كتاب الإلكتروني.



١٢١ . الشيرازي: محمد الحسيني: تقريب القرآن إلى الأذهان ط١-١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٢٢ . الشّيرازي: ناصر المكارم: الفتاوي الجديدة إعداد وتنظيم: أبو القاسم عليّان نژاد كاظم الخاقاني.

١٢٣ . الصابوني: محمد علي: صفوة التفاسير دار الفكر - بيروت - ط ٢ ١٩٩٨.

١٢٤ . الصدر: محمد باقر: نشأة التشيع والشيعة تح: عبد الجبار شرارة ط١-١٩٩٧م المطبعة: قدس الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

١٢٥ . الصدر: حسن: الشيعة وفنون الإسلام.

١٢٦ . الصدر: محمد باقر: دروس في علم الأصول: الحلقة الأولى.

١٢٧ . الصدوق: ابن بابويه، محمد بن علي: الأمالي ط٦- ١٤١٨ هـ الناشر: كتابچى طهران- ايران.

١٢٨ . الصدوق: ابن بابويه محمد بن علي: الخصال ت ٣٨١هـ الناشر: جماعة المدرسين بقم ايران- قم الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

١٢٩ . الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) تح: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي ط١-١٤٠٤هـ طبع ونشر: مطابع مؤسسة الأعلمي. بيروت - لبنان.

١٣٠ . الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: معاني الأخبار ط١- ١٣٧٩هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التاع لجماعة المدرسين قم - ايران.

١٣١ . الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: معاني الأخبار محقق مصحح: غفاري، علي أكبر ط١-١٤٠٣ هـ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ايران - قم.

١٣٢ . الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: من لا يحضره الفقيه ط٢- ١٤١٣ هـ



تحقيق: مصحح: غفاري، علي أكبر الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ايران.

١٣٣. الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: التوحيد، تح: جامعه مدرسين ط١- ١٣٩٨ق قم - ايران.

١٣٤. الصدوق: ابن بابويه، محمد بن علي: اعتقادات الإمامية ط٢- ١٤١٤هـ الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد إيران- قم.

١٣٥. الصدوق: ابن بابويه، محمد بن على: علل الشرائع. ط١- ١٣٨٥هـ تحقيق: محمد صادق بحر العلوم. طبع ونشر: المكتبة الحيدرية النجف - العراق.

١٣٦. الصفار: فاضل: أصول الفقه وقواعد الاستنباط ط١-١٤٣٠هـ،منشورات الاجتهاد.

١٣٧. الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، ط٢- ١٤٠٤ ق. مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم - ايران.

١٣٨. الصفوري: الشيخ عبد الرحمن الشافعي: نزهة المجالس ومنتخب النفائس قديم طه عبد الرؤوف سعد ك مكتبة زهران القاهرة.

١٣٩. طبارة: عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن الكريم ط١٤ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٥.

١٤٠. الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ط١-١٩٩٧م طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان.

١٤١. الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير تحقيق: حمدي عبد المجيد الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٤٢. الطبراني: سليمان بن أحمد التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم ط١- ٢٣/ ١٢/ ١٤٢٨ هـ. ق الناشر: دار الكتاب الثقافي أربد.





١٤٣. الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن: تفسير مجمع البيان ط١- ١٤١٥ - ١٩٩٥ م طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

١٤٤. الطبرسي: الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن (ت ٥٤٨) ط٢ - دار إحياء التراث - بيروت.

١٤٥. الطبرسي: الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن (ت ٤٥٨ هـ) طبع دار الحياة بيروت ط٥.

١٤٦. الطبرسي: الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى(ط- قديمة) ط٣- ١٣٩٠ ه الناشر: الإسلامية طهران.

١٤٧. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ت ٣١٠هـ) دار الفكر للطباعة بيروت ط٤.

١٤٨. الطبري الآملي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى لشيعة المرتضى المكتبة الحيدرية،ط٢- ١٣٨٢ هـ النجف.

١٤٩. الطريحي: فخر الدين: مجمع البحرين (ت ١٠٨٥ هـ) دار الكتب العلمية بيروت تح: احمد الحسيني.

١٥٠. الطوسي: محمد بن الحسن: الاستبصار في ما اختلف فيه من اخبار.

١٥١. الطوسي: محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي ط١- ١٤٠٩هـ طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

١٥٢. الطوسي: محمد بن الحسن: المبسوط.

١٥٣. الطوسي: محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام ط٤-١٤٠٧هـ. دار الكتب الإسلامية طهران- ايران

١٥٤. العامري: حميد احمد عيسى: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٦.





١٥٥. العاملي: السيد محمد جواد: مفتاح الكرامة تح: الشيخ محمد باقر الخالصي، ط١- ١٤٢١ طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٥٦. العاملي: جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ط٥- ٢٠٠٥م. ١٤٢٥هـ.

١٥٧. عبد الباقي: محمد فؤاد: العجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الحديث القاهرة ١٩٩٦ ط١.

١٥٨. عبد الباقي: محمد فؤاد: معجم ألفاظ القرآن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ط٢.

١٥٩. عبد الرحيم: القرآن والترجمة طبعة النجف الأشرف ١٣٧٥هـ.

١٦٠. عتر: عز الدين: علوم القرآن ط١-١٩٩٣ مطبعة الصبح دمشق.

١٦١. العريضي: على بن جعفر، مسائل عليّ بن جعفر ومستدركاتها، ط١- ١٤٠٩ ق نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم- ايران.

١٦٢. العسكري: الإمام الحسن بان علي: التفسير الإمام العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ) الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف،ايران-قم الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

١٦٣. عكاشة: محمود: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ط١-٢٠١٣م دار النشر للجامعات القاهرة - مصر.

١٦٤. علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافة والمعارف القرآنية ط٢- ١٣٨٦ق،طبع ونشر: بوستاني كتاب قم - ايران.

١٦٥. علي: عثمان فورزي: التخييل والتجسيم في القرآن الكريم ط١-٢٠١٨.

١٦٦. العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العيّاشي: ط١-١٤٢٢ هـ المطبعة العلمية طهران - ايران



١٦٧. الغروي: علي: شرح العروة الوثقى - الطهارة تقرير بحث السيد الخوئي ط٢- ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م الناشر: مؤسسة إحياء آثار الأمام الخويي (موسوعة الإمام الخوئي).

١٦٨. الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥): إحياء علوم الدين / ط١ دار الكتب العلمية بيروت.

١٦٩. الغزالي: محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ): منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية

١٧٠. الفارابي: أبو إبراهيم إسحاق ابن إبراهيم: ديوان الأدب (ت ٣٥٠ هـ) ط١ ٢٠٠٤ مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر.

١٧١. الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٧٢. الفراهيدي: الخليل بن احمد: العين: تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي ط٢- ١٤١٠هـ الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

١٧٣. الفضلي: عبد الهادي: خلاصة المنطق مؤسسة الفكر الإسلامي ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م ط١.

١٧٤. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ط١-٢٠٠٣م طبع ونشر: دار أحياء التراث العربي.

١٧٥. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير ط١- ١٤١٤هـ طبع ونشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٧٦. القاسمي: محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى معاني التأويل ١٣٣٢هـ دار المعارف المصرية ط٢.

١٧٧. القدسي: ابن أبي الشريف (ت ٩٠٦) م: المسامرة بشرح المسايرة السعادة



مصر.

١٧٨. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن (ت: ٦٧١) مطبعة الشعب.

١٧٩. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن (ت ٦٧١ هـ) طباعة دار العلم ط٤.

١٨٠. القشيري: عبدالكريم بن هوزان: الرسالة القشيرية (ت ٤٦٥ هـ) دار التربية – بغداد.

١٨١. القطان: مناع: علوم القرآن.

١٨٢. القطيفي: الشيخ أحمد آل طعان البحراني: الرسائل الأحمدية تحقيق: دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث، ط١ – ١٤١٩هـ المطبعة: أمين الناشر: دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث.

١٨٣. قلعجي: محمد رواس: معجم لغة الفقهاء دار النفائس ط١ – بيروت ١٩٨٥

١٨٤. القمي: أبو القاسم: القوانين المحكمة ط١ – ١٤٣٠هـ تح: رضا حسين صبح طبع ونشر: دار المرتضى بيروت – لبنان

١٨٥. القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي، (ت القرن الثالث)، الناشر: دار الكتاب، ايران– قم، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ).

١٨٦. القيسراني: محمد بن طاهر: السماع تح: أبو الوفاء المراغي اصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٧٠

١٨٧. القيسي: د. نوري حمودي وجماعته: تاريخ الادب العربي قبل الإسلام، جامعة بغداد ط٢ – ٢٠٠٠.

١٨٨. الكتاني: محمد: موسوعة المصطلح في التراث العرابي، ط١ طبعة: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.



١٨٩. الكرباسي: محمد جعفر إبراهيم: الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء، مطبعة النجف، ط١.

١٩٠. كعب بن زهر: الديوان تحقيق: علي فاعور ط١ - ١٩٩٧ طبع ونشر: بيروت - لبنان.

١٩١. الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ط٥- ١٣٦٣ ش المطبعة: حيدري الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

١٩٢. الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي:، ت٣٢٩هـ الناشر: دار الكتب الإسلامية، ايران طهران، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٩٣. كنجو: د. خالص: الطب محراب الإيمان مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧١.

١٩٤. الكوثر: مجلة نصف شهرية عدد ٤١ النجف الأشرف ٢٠٠٠.

١٩٥. الكوفي الأهوازي: حسين بن سعيد الزهد ط٢- ١٤٠٢ هـ الناشر: المطبعة العلمية قم

١٩٦. كيوان: عبد: أصول الرسم والتلوين دار مكتبة الهلال الطبعة الرابعة ٢٠٠٠.

١٩٧. المامقاني: غاية الآمال في شرح المكاسب والبيع طبعة حجرية.

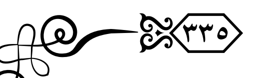
١٩٨. المتقي الهندي: كنز العمال: تح: الشيخ بكري حياني تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

١٩٩. المجاشعي: علي بن فضال: النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإرابه ط١- ١٤٢٨ هـ الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون مكان الطبع: بيروت.

٢٠٠. المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، الناشر: دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيرت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٠١. المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ط٢- ١٤٠٣





ق طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ٩٠: ٤.

٢٠٢. المحمدي: فتح الله: سلامة القرآن من التحريف سنة الطبع: ١٤٢٤هـ الناشر: مؤسسة فرهنگي وهنري مشعر تهران - ايران.

٢٠٣. مخلوف: حنين محمد: صفوة البيان ط١ وزارة الأوقاف الكويتية.

٢٠٤. المدرسي: محمد رضا: التشيع من رئى التسنن نقله إلى العربية: عبد الرحيم الحمراني ط١- ١٤٢٦ - ١٣٨٤ش المطبعة: نينوى الناشر: صحيفة المعرفة قم- ايران: ٧٢.

٢٠٥. المرتضى: علم الهدى علي بن الحسين: أمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) ط١- ١٩٩٨ م تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل الناشر: دار الفكر العربي مكان الطبع: القاهرة.

٢٠٦. المرتضى: علم الهدى، علي بن الحسين: فرائد الغوالي على شواهد الأمالي: السيد موسوعة عامة تبحث في العلم والتفسير والعقيدة والتاريخ والأدب تأليف سماحة الحجة الكبير المغفور له الشيخ محسن آل الشيخ صاحب الجواهر (قدس سره) ١٢٩٥ - ١٣٥٥ مطبعة الأدب النجف الأشرف ط١.

٢٠٧. المرتضى: علي بن الحسين: رسائل الشريف المرتضى: تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني إعداد: السيد مهدي الرجائي ط١-١٤٠٥ المطبعة: الخيام الناشر: دار القرآن الكريم - قم

٢٠٨. المروج: السيد جعفر الجزائري: هدى الطالب إلى شرح المكاسب ط٢- ١٣٨٣ ش،المطبعة: جزائري - قلم،الناشر: انتشارات دار المجتبى عليه السلام.

٢٠٩. مصباح الشريعة؛ منسوب إلى جعفر بن محمد عليه السلام، ط١- ١٤٠٠ق طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٢١٠. معرفة: محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن،ط١-٢٠١١م طبع ونشر: دار التعارف بيروت - لبنان.



٢١١. مغنية: محمد جواد: معالم الفلسفة الإسلامية دار إحياء التراث بيروت.

٢١٢. المفيد: محمد بن محمد: الإفصاح في الإمامة ط١-١٤١٣ هـ الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد قم.

٢١٣. المفيد: محمد بن محمد بن النعمان: النكت الاعتقادية ورسائل أخرى ط٢-١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية تحقيق: رضا المختاري طباعة نشر توزيع: دار المفيد بيروت-لبنان.

٢١٤. المفيد: محمد بن محمد بن النعمان: أوائل المقالات: تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ط٢- ١٤١٤ - ١٩٩٣ م الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢١٥. مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان المحقق: شحاتة، عبد الله محمود، المتوفى سنة ١٤٢٣ هـ. ق. ط١-١٤٢٣ هـ. ق الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢١٦. المنتظري: حسين علي: الأحكام الشرعية على مذهب أهل البيت عليهم السلام الناشر: نشر تفكر ط١-١٤١٣هـ مطبعة: القدس قم - ايران

٢١٧. المهائمي: علي بن أحمد: تفسير القرآن: المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ط٢- ١٤٠٣ هـ. ق الناشر: عالم الكتب بيروت.

٢١٨. النائيني: كتاب المكاسب والبيع: تقرير: محمد تقي الآملي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٢١٩. النحاس: أحمد بن محمد إعراب القرآن الحاشية: إبراهيم، عبد المنعم خليل ط١- ١٤٢١ هـ الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت.

٢٢٠. النراقي: احمد بن محمد: مستند الشيعة. ط١-١٤١٩هـ المطبعة: ستارة تحقيق الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم- ايران.

٢٢١. النورى: حسين بن محمد تقى، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ٢٨ جلد،





مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم، چاپ: أول، ١٤٠٨.

٢٢٢. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب ط١- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٢٣. النيسابوري: محمد منير الدمشقي: ارشاد الراغبين في الكشف عن أي الذكر المبين مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٥.

٢٢٤. النيسابوري: مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري: صحيح مسلم الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.

٢٢٥. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين: تفسير غرائب القرآن بهامش جامع البيان للطبري.

٢٢٦. الهلالي: سليم بن قيس: كتاب سليم بن قيس ط١-١٤٠٥ هـ، الناشر: الهادي إيران- قم.

٢٢٧. الهيتمي: علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومتع الفوائد.

٢٢٨. ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام؛، ط١- ١٤١٠ طبع: مكتبه فقيه قم - ايران

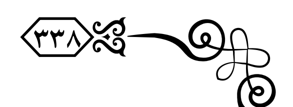
٢٢٩. اليزدي: محمد كاظم: العروة الوثقى: ط١-١٤٢٠ نشر وتحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٣٠. اليزدي: محمد كاظم: حاشية المكاسب ط١- ١٣٧٨ هـ الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم - إيران.

الموسوعات والمجلات

٢٣١. الموسوعة الفقهية الكويتية.





المحتويات





الفصل الثاني



الفصل الثالث



الفصل الرابع



الفصل الخامس



الفصل السادس



